

مجلة

مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »

تشرين الأول « أكتوبر » سنة ١٩٦٩ م رجب سنة ١٣٨٩ هـ

(١) تطور اللغة في العصر العباسي

أرى قبل الشروع في الكلام على تطور اللغة في عصر بني العباس أن تتفق على معنى التطور وهذه اللفظة من الألفاظ التي أحدثها عصرنا ، ومعناها على ما أعتقد تنابع الصيغ أو الأشكال التي انتقلت الألفاظ بموجبها من وجه إلى وجه ، فإذا كان هذا هو معنى تطور اللغة فاللغة قد انتقلت على ترادف السنين من شكل إلى شكل ، ولا يزال هذا الانتقال يستمر في عصرنا ، وإذا كنّا نعجب من الوقوف على مظاهر تطورها فقد يكون عجيباً أشد من دلالة هذه المظاهر على نمو اللغة ، على استمدادها للحياة

(١) ألقى الأستاذ شفيق جبري عضو مجمع اللغة العربية بدمشق خمس محاضرات في جامعة الكويت في شهر آذار الماضي ، وهذا هو القسم الأول من المحاضرة الأولى : تطور اللغة في العصر العباسي .

مهما يباغتها من الأمور ، لقد جاءت يبراهين قاطعة على أنها أهل للحياة ، فلم تمنعها الموانع من تتبع مجرى هذه الحياة في كل عصرٍ من عصورها ، في الجاهلية والإسلام ، في زمن بني أمية وبني العباس ، حتى في عصرنا هذا الذي نعيش فيه ، وهذا موطن من مواطن افتخارنا بلغة العرب .

وإني لأرجو أن لا تكون دراستنا لتطور اللغة في زمن بني العباس أو في أي زمنٍ مجرد دراسة لانتقال الألفاظ من وجهٍ إلى وجهٍ ، أو لإحياء ألفاظ وموت ألفاظ ، أو لغير ذلك من الأساليب التي تدلّ على تطور اللغة ، فما الذي ينعنا من أن نرى ورآء هذا التطور تطور أمةٍ بأجمعها ، إني لا أستطيع أن أقرأ مثلاً فصول الموسيقى في كتاب مفاتيح العلوم الذي سأسير إليه ، ولا أن أطلع على ما احتوته هذه الفصول من آلات الموسيقى عند العرب كالصنّج والطنبور والربّاب والمِعْزفة والعود وغير ذلك من الآلات ، ولا أستطيع أن أقف على ما عرفه العرب من ألفاظ النغمات والألحان والإيقاعات والنقرات ، إني لا أستطيع أن أقف على هذا كله وعلى أمثاله من الأمور الداخلة في الموسيقى إلاّ تصورت الأمة التي مالت إلى هذا الفن وتصورّت بعدها قصور الخلفاء الذين شغفوا بهذا الفن شغفاً لا تحضرني عبارة لوصفه أو لوصف ما أدّى إليه هذا الشغف من الإفراط في إكرام المغنين والقيان مما جاء ذكره في كتاب الأغاني ، إني لا أستطيع أن أقف على هذا كله إلاّ تصورت حضارة العصر الذي استفاضت فيه الموسيقى وغيرها من الفنون والعلوم ، فلست أدرس تطور اللغة للاطلاع على تغيّرات صيغها وأشكالها وأكتفي بهذا الاطلاع ، وإنما أدرس هذا التطور لأن ورآء حضارة أفصحت عنها اللغة وتطورها .

فلنشرع بعد هذه المقدمة في موضوعنا .

في رأي «دوزي» صاحب المعجم المشهور أن لغة العرب ، وهو يعني بذلك لغة الشعر القديم والقرآن والسنة لم يطل عهدها أكثر من قرنين على التقريب ، ثم ماذا حدث بعد ذلك ، لقد طرأ على اللغة من آخر القرن الأول الهجري تغيير عظيم ، إلى أي شيء أدّى هذا التغيير ، لقد أدّى إلى غناها ونموها ، وهذه نتيجة لامدوحة عنها ، إنها نتيجة الانتصارات السريعة الخارقة التي انتصرها العرب بعد الرسول ﷺ ، لقد خالط العرب بعد تلك الانتصارات شعوباً شتى غلبوا عليها ، فتفوهت تلك الشعوب بلسان الفاتحين وإن كانت تلحّن في كلامها ، لقد كان لتلك المخالطة أثر في العرب أنفسهم فاختلّ النحو على ألسنتهم واستعملوا ألفاظاً قبلوا وجوه معانيها واقتبسوا كثيراً من التعابير من لغات الأمم المغلوبة ، أهل الشام والفرس والقبط والبربر والإسبان والترك .

على أن مخالطة الأعاجم لم تكن السبب الأوحده ولا كانت السبب الأعظم في فساد اللغة ، فقد وجد الفاتحون أنفسهم في حالةٍ حديثةٍ لا عهد لهم بمثلها ، فسوّاء أكانوا أهل بدوٍ أم كانوا أهل حضر يقيمون بمدن صغيرة ويمعيشون عيشة بسيطة ، إنهم نقلوا فجأة من عالم إلى عالم ، نقلوا إلى عالم كل شيء فيه كان جديداً بالنسبة إليهم ، نقلوا إلى مدن كبيرة يشيع فيها البدخ والترف وتستفيض فيها حضارات قديمة ، حضارات الرومان والفرس ، ومما زاد في شرفهم أنهم نشطوا لدراسة الفنون والعلوم التي لم يكن لهم عهد بها ، فحدث بعد هذا أن انقلبت أفكارهم وأخلاقهم كل منقلب ، فأصاب اللغة ما أصابهم ، فقد انتقلت من بيئة البداوة إلى بيئة الحضارة المصقولة ، افتقرت من جهة وغنيت من جهة ثانية ، كيف افتقرت ، لقد سقط كثير من فيض الألفاظ التي كانت تضايق لغة الأدب ، سقط ما يقرب من ثلث اللغة ، سقطت الألفاظ التي كانت تعبّر عن حالات بدوية ، ولم يكن كثير

منها يستعمل استعمالاً عاماً في أي عصرٍ من المصور ، وأئن سقطت تلك الألفاظ فقد اعتاضت عنها اللغة ألفاظاً جديدة تعبر عن أشياء وعن أفكار كانت مجهولة ، فقلب العرب بفضل عبقرية لغتهم معاني ألفاظٍ من وجه إلى وجه .

لقد حدث هذا الانقلاب في كل الأقاليم التي غلب عليها العرب ، ولكن الانقلاب كان على درجات متفاوتة ، ومما أعان على التمجيد في خلق اللغات المختلفة ترامي أطراف الدولة ، فكل ناحية من هذه الأطراف كان لها لغة خاصة .

ولم يسمع المحافظين من رجال اللغة أن يشهدوا مثل هذا الأمر دون الاعتراض ، لم يسمع المحافظين على صفاء اللغة من رجال النحو والشرح والفقه أن يُغضوا على مثل هذا الأمر ، فكأنهم لم يحيطوا بطبيعة الأشياء ، ولا أدركوا أن كل شيء في هذا العالم عرضة للتغيير ، ولا سيّما اللغات التي تتغير بتغير الأفكار ، إنها مرتبطة بالجماعات التي تنطق بها وبالكتّاب الذين يستخدمونها ، وفي رأي «دوزي» ان أولئك الرجال ، رجال اللغة كانوا يريدون أن يجملوا لغتهم جامدة لا تتحرك ، فهم أعداء كل توليد ، على أن «دوزي» قد اعترف بأن مجهودات علماء اللغة لم تكن باطلة ، فبفضلهم وبفضل دراسة القرآن لم تتشعب العربية ، فلم تتولد عنها لغات ثانية كما تولدت عن اللغة اللاتينية ، إلا أنهم مع هذا كله لم يستطيعوا أن يسدّوا طبيعة مجرى الأمور ، فقد كان من الكتّاب من يستعمل اللغة العامة ، وقد ضرب «دوزي» مثلاً لذلك الرحالة المقدسي الذي عاش في القرن العاشر الميلادي ، فقد اضطر من أجل المحافظة على ما يسمّونه : اللون المحلي إلى أن يستخدم في وصف كل إقليم من الأقاليم التي زارها لغة ذلك الإقليم .

فالنبي يهمننا من كل ما جاء في هذه المقدمة الصادقة في أكثر محتوياتها
إنما هو قول صاحبها : كل شيء في هذا العالم عرضة للتغيير ، ولا سيما
اللغات التي تتغير بتغير الأفكار .

فلنتنظر في هذه التغيرات ، مظاهر تطور لغتنا مختلفة ، فإما أن تتغير
معاني ألفاظها القديمة ، فتتقل هذه المعاني من أفق إلى أفق وإما أن تحدث
ألفاظ جديدة بأسلوب من الأساليب ، بالتعريب والتوليد مثلاً ، وإما أن
تموت ألفاظ لم تبق حاجة إليها .

نبدأ بالمظهر الأول ، بالتغير الخطير ، وأعني به مجيء الإسلام وما أفضى
إليه هذا المجيء من تطور اللغة ، فلنستمن بإمام من أئمة اللغة ، فلنسمع
ما قاله ابن فارس في فقه اللغة :

« كانت العرب في جاهليتها على إرث من إرث آبائهم في لغاتهم وآدابهم
ونسائكهم وقرابينهم ، فلما جاء الله تعالى بالإسلام حالت أحوال ونسخت
ديانات وأبطلت أمور ، ونقلت من اللغة ألفاظ عن مواضع إلى مواضع آخر
بزيادات زبدت وشرائع شرعت وشرائط شرطت ، فمفسى الآخر الأوّل ،
فكان مما جاء في الإسلام ذكر المؤمن والمسلم والكافر والمنافق ، وإن
العرب إنما عرفت المؤمن من الأمان والإيمان وهو التصديق ، ثم زادت
الشريعة شرائط وأوصافاً بها سميّ للؤمن بالإطلاق مؤمناً ، وكذلك الإسلام
والمسلم إنما عرفت منه إسلام الشيء ثم جاء الشرع من أوصافه ما جاء ،
وكذلك كانت لا تعرف من الكفر إلا الغطاء والستر ، فأما المنافق فاسم
جاء به الإسلام لقوم أبطنوا غير ما أظهروا ، وكان الأصل من نفاقاء اليربوع ،
ولم يعرفوا في الفسق إلا قولهم : فسقت الرطبة إذا خرجت من قشرها ،
وجاء الشرع بأن الفسق الإفحاش في الخروج عن طاعة الله تعالى ،

ومما جاء في الشرع الصلاة وأصله في لغتهم الدعاء ، وكذلك الصيام وأصله
عندهم الإمساك ، ثم زادت الشريعة النية وحظرت الأكل والمباشرة وغيرها
من شرائع الصوم ، وكذلك الحج لم يكن فيه عندهم غير القصد ، ثم زادت
الشريعة ما زادت من شرائط الحج وشعائره ، وكذلك الزكاة لم تكن العرب
تعرفها إلا من ناحية التَّهَاء ، وزاد الشرع فيها ما زاد ، وعلى هذا سائر
أبواب الفقه ، فالوجه في هذا إذا سئل الإنسان عنه أن يقول فيه اسمان :
لغوي وشرعي ، ويذكر ما كانت العرب تعرفه ثم ما جاء به الإسلام وكذلك
سائر العلوم كالنحو والعروض والشعر ، كل ذلك له اسمان : لغوي وصناعي .
ما الذي نستنتجه من كلام ابن فارس ، إننا نستنتج من هذا الكلام
أن الإسلام لما جاء جاء بأفكار جديدة لا عهد للعرب بها ، ولا بدءاً لهذه
الأفكار من ألفاظ تعرب عنها ، فإذا لم تكن الألفاظ بقيت الأفكار مطوية
في ذهن صاحبها ، إلا أن هذه الأفكار لم تكن مطوية في الذهن ،
فقد وجدت لها ألفاظاً تفصح عنها وتثبتها في الأذهان ، كيف وجدت
هذه الألفاظ ، إنها لم تخرج اختراعاً ، فلم تعرب ولم تولد ، وإنما نقلت
معاني ألفاظ قديمة من وجه قديم إلى وجه حديث ، فعبّرت عن الدين
الجديد هذه الألفاظ المنقولة ، عبّرت عن كل ما يشتمل عليه هذا الدين
من صلاة وصوم وزكاة وحج وغير ذلك من الأفكار الإسلامية .

ولم تتغير معاني الألفاظ الإسلامية وحدها وإنما تغيرت أيضاً معاني أسماء
الأيام ، فالسبت في الجاهلية : شيار ، والأحد : أول ، والاثنين : أهون
وأوهد ، والثلاثاء : جُبَار ، والأربعاء : دُبَار ، والخميس : مؤنس ،
والجمعة : عَرُوبَة .

وكما تغيرت معاني أسماء الأيام فقد تغيرت معاني أسماء الشهور ، فالحرّم
في الجاهلية : المؤتير ، وصفر : ناجر ، وربيع الأول : خَوَّان ، وربيع

الآخر : وَبُصَان ، وَمُجَادَى الأولى : الْحَنَيْن ، وَمُجَادَى الآخرة : رُبِّي ،
ورجب : الأصم ، وشعبان : العاذل ، ورمضان : نائق ، وشوّال : وعّل ،
وذو القعدة : وَرْنَة ، وذو الحجة : بَرَك .

وهذا باب طويل لم ندخل منه إلاّ للدلالة على تطوّر اللغة ، فالهمّ
أن نعرف أن اللغة لا تثبت على حال من الأحوال ، فإذا عرضت أفكار
جديدة تستلزم أسماءً جديدة وجب على اللغة أن تضع لما يتحدث من المسميات
أسماء مستحدثة ، على نحو ما هو معروف في الألفاظ الإسلامية ، وإذا عجزت
اللغة عن إحداث أسماء لمسميات بقيت المسميات في أذهان أصحابها ميتة
لا يجدون سبيلاً إلى التعبير عنها ، وتعرف مرونة اللغة بهذا التصرف الذي
يتصرفه علماءها في الاهتداء إلى التعبير عن الأفكار الحديثة .

وإذا كنّا نشير إلى تطور اللغة بنقل معاني ألفاظ عن مواضع إلى مواضع ،
فلا بأس بأن نذكر في هذا المقام أن من الألفاظ ما وضع في الأصل خاصاً
ثم استعمل عاماً ، أي من الألفاظ ما ينقل من معناه الخاص إلى معنى عام
من ذلك مثلاً : الورد إتيان الماء ثم صار إتيان كل شيء ورّداً ، والقرب :
طلب الماء ثم صار يقال قرب لكل طلب والنشجعة أصلها : طلب الفيت
ثم صار كل طلب انتجاعاً ، والأمثلة كثيرة .

وعلى خلاف الأمر فقد يوضع اللفظ عاماً ويستعمل خاصاً ، فالبغض عام
والفيرك فيما بين الزوجين خاص والتشهي عام والوحم للحبلى خاص .
غير أن هذا الباب يدخل في أبواب اللغة وقد مررنا به مروراً ،
فلنستمر في موضوعنا .

ولم يكن تطور اللغة في الألفاظ الإسلامية وحدّها ، وإنما كان هذا شأنها في العلوم التي حدثت بعد الإسلام كالنحو والمروض والشعر ، فإذا رجعنا إلى النحو مثلاً وجدنا فيه ألفاظاً نقلت معانيها من مواضع إلى مواضع ، لترجع مرّة ثانية إلى ابن فارس ، قال : وزعم قوم أن العرب العاربة لم يعرفوا نحواً ولا إعراباً ولا رفعاً ولا نصباً ولا همزاً ، والدليل على ذلك ما حكاه بعضهم عن بعض الأعراب ، قيل له : أتهمز إسرائيل ، فقال : إني إذن لرجل سَوّءٌ : وإنما قال ذلك لأنه لم يعرف من الهمز إلا الضغط والعصر ، وقيل لآخر : أتجبر فلسطين ، فقال : إني إذن لقوي !

على أي شيء يداننا كلام ابن فارس ، انه يداننا على أن بعض الألفاظ كانت لها معانٍ محدّدة فلما استحدث العرب علم النحو اضطروا إلى استحداث ألفاظ لكل باب من أبوابه كالمهمز والجُرّ والرفع والنصب وغيرها ، فنقلوا معاني ألفاظٍ من مواضع إلى مواضع ، واصطلحوا على المعاني المنقولة ، واختلاصة ان كثيراً من الألفاظ نقلت من أصلها اللغوي إلى أصل جديد طبقاً للتطور ، مثل الألفاظ الإسلامية أو ألفاظ النحو والمروض كالمديد والطويل وغيرها .

وقد نجد مثل هذا التصرف في فنون الحضارة وعلومها التي حدثت بعد الإسلام ، وما أغان أننا نستطيع أن ندرك ما عملته اللغة بعد ظهور الإسلام ولا سيما في عصر بني العبّاس إلا إذا أطلعنا على الألفاظ التي وضعها العلماء لعلومهم ، فإذا تمدّينا صدر الإسلام ووصلنا إلى عصر بني العبّاس وقفنا على ألفاظ في الفنون والعلوم لا يحصيها الإحصاء ، وإذا دلّتنا هزم

الألفاظ على شيء فإنها تدلّنا قبل كل شيء على مرونة اللغة كما قلت فضلاً عن استعمادها للإفصاح عمّا يفاجئها من الأفكار والمذاهب ، إلا أن الكلام المجرد لا يوضح الفكرة التي نعنيها ، فلا بدّ من الاستشهاد حتى نرى بأعيننا قوة لغتنا ، وإني أعتقد أنّ كتاب : مفاتيح العلوم للخوارزمي يوضّح لنا أكمل توضيح ما يزيد ، وأرى أن الإشارة إلى فقرة مما ورد في مقدمة الكتاب تعلمنا بمحتويات هذا الكتاب الجامع لمفاتيح العلوم وأوائل الصناعات ، المتضمن ما بين كل طبقة من العلماء من المواضع والاصطلاحات التي خلت منها أو من جلّها الكتب الخاصرة لعلم اللغة .

فهذه الإشارة تبين لنا الأفق المديد الذي اشتمل عليه كتات مفاتيح العلوم ، وأريد بهذا الأفق الألفاظ التي اصطلح عليها العلماء في علومهم . وقد أحب المؤلف أن يستشهد في مقدمته بثلاثة ألفاظ من باب ضرب المثل فقال :

ومثال هذه المواضع لفظة الرجعة فإنها عند أصحاب اللغة المروّة الواحدة من الرجوع لا يكادون يعرفون غيرها ، وهي عند الفقهاء الرجوع في الطلاق الذي ليس بيائن ، وعند المتكلمين ما يزعمه بعض الشيعة من رجوع الإمام بعد موته أو غيبته ، إلى غير معاني هذه اللفظة عند الكتاب والمنجّمين .

ولفظة الفك فإنها عند أصحاب اللغة والفقهاء مصدر فك الأسير أو الرهن أو الرقبة ، وأحد الفكين وهما اللّحيان ، وعند أصحاب العروض إخراج جنس من الشعر من جنس آخر تجميعها دائرة ، وعند الكتاب تصحيح اسم المرتزق في الجريدة بعد أن كان وضع عنها .

ولفظه الوند عند اللغويين والمفسرين أحد أوتاد البيت أو الجبل من قوله تعالى : « والجبال أوتادا » ، وعند أصحاب العروض ثلاثة أحرف اثنان متحركان وثالث ساكن ، وعند المنجّمين أحد الأوتاد الأربعة التي هي الطاليع والغارب ووسط السماء ووند الأرض .

إلا أن هذا الاستشهاد المختصر لا يشفي الغليل ، فهو لا شيء إذا قيس بالألفاظ المستحدثة التي تضمنتها كتاب مفاتيح العلوم ، على أنه لا سبيل إلى الإتيان على ذكر كل هذه الألفاظ ، وحسبنا أن نعرف أن المؤلف جعل كتابه مقالين : إحداهما لعلوم الشريعة وما يقترن بها من العلوم العربية ، والثانية لعلوم المعجم من اليونانيين وغيرهم من الأمم .

وإذا رجعنا إلى فهرست أبواب الكتاب وفصوله وجدناه طويلاً ، ولذلك فإثنا نكتفي بذكر بعض العلوم التي أشار إليها المؤلف وذكر ألفاظها المستحدثة التي لكل واحدٍ منها معنيان : معنى لغوي في الأصل ، ومعنى اصطلاح عليه علماء كل علم .

لقد أشار الخوارزمي في كتابه إلى أبواب كثيرة ، إلى الفقه ، وعلم الأصول ، وعلم الكلام ، كما أشار إلى النحو والعروض والفلسفة والمنطق والابيضاح والخطابة والشعر والطب والتشريح والحساب والهندسة والجبر والمقابلة والفلك والموسيقى وجرّ الأثقال والكيمياء ، وإلى أبواب كثيرة غير التي ذكرتها .

فكيف تكون حالة العلوم في زمن بني المباس لولا اجتهد العلماء في التصرف في اللغة ومفرداتها ، كيف تكون حالة هذه العلوم لو عجزت اللغة عن

وضع ألفاظ لها تدرك بها أسرارها ، كيف تستفيض هذه العلوم في عصر ظهورها وكيف نصل إلينا بعد ظهورها لولا هذه الألفاظ المستحدثة التي وضّحتها وفصلتها ، ولماذا لا أقول صورّتها للمقول تصويراً .

إنني لا أرى سبيلاً إلى ذكر ألفاظ كل علمٍ على حدة ، فهذا أمر لا يستوعبه إلاّ معجم ، لقد ألفنا ألفاظ النحو والمروّض والشرع والفقه فلا حاجة بنا إلى تكرارها ، ولكن ما عسانا أن نقول في ألفاظ الجبر والهندسة مثلاً ، فالهندسة كلمة فارسية وأصلها : اندازه ، أي المقادير ، قال الخليل ! المهندس الذي يقدر مجاري القيني ومواقعها حيث تحترق ، وهو مشتق من الهندزة وهي فارسية ، فصيّرت الزاي سيناً في الإعراب ، لأنه ليس بعد الدال زاي في كلام العرب ، فلما دخلت الهندسة في علوم العرب وأصلها باليونانية : جومطريا ، لم تألف أذواق العرب هذه اللفظة فوضّموها لها اسماً وسمّوها : هندسة ، فلم يقفوا عند عقبة تعترضهم ، ثم دخلوا في تفاصيل هذا العلم فوضّموها ألفاظ الخطوط والبسائط والمجسمات ، وقسموا كل خط أقساماً فقالوا : مستقيم ومقوّس ومنحنٍ وقالوا : خطوط متوازية وخطوط متلاقية ثم قالوا : زوايا مسطّحة ومجسّمة ، ثم قالوا : زاوية قائمة ومنفرجة وحادة ، ثم قالوا : المحيط والقوس والأضلاع ثم قالوا : القاعدة والقطر والممود والقوس والسهم .

وهذا باب لا نهاية له إذا تبسّطنا فيه ، ولكنّا لم نجد لنا مندوحة عن ذكر بعض الألفاظ المستحدثة حتى نعرف تطور اللغة في زمن بني العبّاس ، وإذا قابلنا بين هذا العصر الذي ظهرت فيه العلوم ووضعت لهذه العلوم الألفاظ التي تحتاج إليها وبين عصر الجاهلية أو عصر صدر الإسلام استطعنا

أن ندرك تطور اللغة الإدراك كله ، واستطعنا أن نحيط بمظمة هذه اللغة ، فاللغة الفنية ، اللغة العظيمة هي التي لا تعجز عن استيعاب ما يدخلها من العلوم والمذاهب والأفكار ، هي التي تستطيع أن تضع لهذه العلوم وهذه المذاهب وهذه الأفكار ما يلزمها من الألفاظ وهذا ما فعلته اللغة في زمن بني العباس ، وهذا الدليل الواضح على تطورها .

وإذا كنا نغنى بتطور اللغة على ألبام بني العباس فأننا لا نستغني عن الرجوع إلى كتاب الأغاني الذي وردت فيه ألفاظ كثيرة تدل على المراكب والملابس والمآكل وغير ذلك مما أحدثته حضارة العصر ، فقد استفادوا من ألفاظ موضوعية وتصرفوا فيها بعض التصرف فأطلقوها على مسميات مما اقتضته الحاجة ، وإني لا أتوسّع في الاستشهاد ، وإنما أقتصر على أمثلة بسيطة ، من هذا القبيل مثلاً لفظة الرطلية ، ولا شك في أن معناها الإناء الذي يسع رطلاً من النبيذ ونحوه ، وهكذا نجد أنهم اشتقوا من لفظة الرطل لفظة الرطلية التي تسع هذا الرطل وهي أدق من الإناء أو الوعاء ، فالإناء عام والرطلية خاصة ، والتخصيص من شروط الدقة في مفردات اللغة .

ومن هذا الشكل لفظة العرسيات ، وهم يريدون بذلك الطعام الذي يصنع في الأعراس ، فكلمة استفحلت عندهم مذاهب الحضارة واتسعت الحياة الاجتماعية استطاعوا أن يخلقوا لهذه الحياة ما يناسبها من الألفاظ الدالة عليها .

وقد استشهد المرحوم الأستاذ أحمد أمين بلفظة : ندر الرجل وتندر إذا جاء بالنادرة وتندر بفلان وتنادر عليه إذا جعله موضع نادرته . وهذه المادة من مستحدثات اللغة في العصر العباسي ، وردت في كتاب الأغاني .

وقد ذهبوا مذاهب أبعد فاشتقوا من الأسماء صيغاً تدلّ على التشبه بأصحاب هذه الأسماء ، سواء أكانت أعلاماً أم كانت أسماء مدنٍ أو حيوان ، من قبائل العرب قبيلة اسمها اللهازم وردت في شعر الفرزدق ، فقالوا : تلهم فلان إذا دخل في هذه القبيلة أو تشبه بأهلها وكذلك اشتقوا من اسم معبد المغني فعلاً فقالوا : هذا صوت تمعبد فيه ابن سريج ، أي تشبه بمعبد في الفناء ، ووضعوا لفظة البرمكة المشتقة من برمك جدّ يحيى بن خالد البرمكي .

أمّا البلدان فقالوا : تبعده فلان إذا انتسب إلى بغداد أو تشبه بأهلها . وأمّا الحيوان فقد نجد في الأغاني فعل : تقنفذ ، إذا تشبه بالقنفذ في مشيته .

(للبحث تمة)

شفيق جبري



الاصطلاحات الفلسفية

- ٣٣ -

العرف

Coutume في الفرنسية

Custom في الانكليزية

العرف العادة ، وهو قسماً : العرف العام ، والعرف الخاص .
أما العرف العام فهو مجموع العوائد والتقاليد العامة المنتشرة في المجتمع ،
وأما العرف الخاص فهو مجموع ما يتعمده الفرد من أنماط السلوك .
والفرق بين العرف والمادة عند القدماء أن استعمال العادة في الأفعال ،
والعرف في الأقوال . الا أن المحدثين يفرقون بينها بطريق آخر فيقولون :
العرف خارجي والعادة داخلية وخارجية معاً . لذلك قال بعضهم : العرف
لا يثبت الا بالتكرار ، على حين أن العادة قد تثبت بمرة .

العرفان

Gnose في الفرنسية

Gnosis في الانكليزية

Gnosis في اللاتينية

العرفان هو العلم بأسرار الحقائق الدينية ، وهو أرقى من العلم الذي يحصى
لعامة المؤمنين ، أو لأهل الظاهر من رجال الدين .

- ٧٠٠ -

والعارف (Gnostique) هو الذي لا يقنع بظاهر الحقيقة الدينية بل بغوص على معناها لمعرفة سرها . كالعارفين من اليهود والأفلاطونيين والمسيحيين وغيرهم وهم خمس فرق : (١) الفلسطينيين (٢) والسريانيون (٣) والمصريون (٤) والاسيويون (٥) وأنصار الأفلاطونية الحديثة الذين أخذوا بنظرية التوفيق بين المقائد المختلفة .

ويطلق اسم العرفانية أو الغنوصية (Gnosticism) على المذهب الذي انتشر في القرنين الثاني والثالث للميلاد وامتد بطريق الأفلاطونية الحديثة إلى فلاسفة الإسلام ، وخلاصته أن العقل البشري قادر على معرفة الحقائق الإلهية وإن الحقيقة واحدة وإن اختلف تعليمها ، وإن الموجودات فاضت عن الواحد ولها مراتب مختلفة أعلاها مرتبة العقول المفارقة ، وأدناها مرتبة المادة ، وهي مقر الشر والمدم . أما النفس التي هبطت إلى هذا العالم فانه لا خلاص لها إلا بالمعرفة ، بل الخلاص بالمعرفة أفضل من الخلاص بالإيمان والأعمال الصالحة . ومع أن بعض العرفانيين يقولون بالاثنية ويمزجون تعليمهم بشيء من الوهم والخيال ، فإن العرفانية المسيحية تقول إن الخلاص لا يتم إلا بطريق الحكمة . وللناس في نظرها ثلاث مراتب : أولاها مرتبة العارفين وخلاصهم بالحكمة ، وثانيها مرتبة المؤمنين وخلاصهم بالإيمان ، وثالثها مرتبة الجهال وهم هالكون لا محالة . وكل مذهب يزعم أنه يمكن تفسير حقائق الوجود تفسيراً عقلانياً ، فهو مذهب عرفاني وضده المذهب اللاعرفاني (Agnosticism) وهو القول بأن العقل البشري عاجز عن إدراك الحقائق الإلهية .

ويطلق اصطلاح علم العرفان (Gnoséologie) على نظرية المعرفة (Théorie de la connaissance) ويرادفه لفظاً لاستمولوجيا (Epistémologie) ومعناه فلسفة العلوم . والفرق بين اللفظين أن الأول يبحث في منشأ المعرفة

وطبيعتها وقيمتها وحدودها بحثاً نظرياً محضاً ، على حين أن الثاني يبحث في موضوعات العلوم وطرقها وقوانينها ومبادئها بحثاً انتقادياً وتحليلياً مبنياً على الواقع والتجربة .

المشق

(راجع لفظ الحب)

المشق إفراط الحب ، وله في اصطلاح الحكماء معنيان .

الأول هو المشق الغريزي أو الجذب الطبيعي المحرك لجميع الموجودات ، فإن في كل واحد منها عشقاً غريزياً لكمال كماله كعشق الأجسام الكيماوية بعضها لبعض ، أو عشق الحيوان للغذاء ، أو عشق الفتيان للوجوه الحسان . قال ابن سينا : « من أدرك خيراً فانه بطباعه يمشقه ، وكل واحد من الموجودات يمشق الخير المطلق عشقاً غريزياً » (رساله المشق) .

والثاني هو المشق الإلهي أو المحبة الخالصة التي يدعو اليها الصوفية ويصفونها بقولهم : ان الجوهر الإلهي في الإنسان إذا صفا من كدورة المادة اشتاق إلى شبيهه ، ورأى بين عقله الخير الأول المحض فأمرع إليه ، وحينئذ يفيض عليه نور ذلك الخير فيتحد به ويشعر بلذة لاتشبهها لذة ، وهذه المرتبة أعلى مراتب الوصول وهي لاتقبل الزيادة والنقصان ، فيها ينكر العارف معروفه والماشق معشوقه ، فلا يبقى هنالك عارف ولا معروف ولا عاشق ولا معشوق ، بل عشق واحد مطلق هو الذات الحق الذي لايدخل تحت رسم ولا اسم ولا نعت ولا وصف .

وعشق الذات هو الإفراط في حب الذات ويسمى في اصطلاحنا

بالنرجسية (Narcissisme) . راجع هذا اللفظ .

العصاب

Névrose	في الفرنسية
Neurosis	في الانكليزية

يطلق لفظ العصاب على الخلل العقلي الناشيء عن اضطراب الوظائف النفسية كالفكرة المتسلطة (Idée fixe) ، ومرض الشك ، وفقدان الذاكرة والخوف ، والتحذير ، واضطراب الكلام ، أو اضطراب الغريزة . وليس لهذا العصاب سبب عضوي معروف وان كان متصلاً بحياة المريض النفسية والاجتماعية ، وهو مصحوب بألم شديد وبخلل في التوازن العقلي ، إلا أنه لا يغير شخصية صاحبه ولا يفقده هويته ووحدته .

و قد بين بعض العلماء أن هذا العصاب ينشأ عن صراع داخلي بين القوى النفسية ، وبين بعضهم الآخر أنه ينشأ عن اضطراب أو توقف في تطور الوظائف (راجع كتاب بيير جانه Les névroses : Pierre Janet) ويطلق اصطلاح عصاب القلق (Névrose d'angoisse) عند (فرويد) على شعور المرء بالضيق النفساني المحض الذي ليس له سبب واضح . وقد سمي هذا العصاب بالحصار النفساني أو الجزع أو الكرب ، وهو وإن كان مصحوباً بالخوف من الوقوع في المكاره إلا أنه ليس نتيجة هذا الخوف .

المضلي (الحس)

Sens musculaire	في الفرنسية
Muscle sens, Muscular sens	في الانكليزية

الحس المضلي هو الحاسة التي تدرك الاحساسات الناشئة عن تقلص

م (٢)

المحركات أو ارتخائها . وهو يختلف عن الحس المفصلي (Sens articulaire)
الذي ينشأ عن أطراف الأعصاب المتصلة بحركات المفاصل .
(راجع الحس الحركي Sens Kinesthésique) .

العضو

Organe	في الفرنسية
Organ	في الانكليزية
Organum	في اللاتينية

العضو جزء من الجسم الحي كالقلب والدماغ والمعدة والكبد .. الخ .
ولكل عضو من أعضاء الجسم وظيفة معينة يقوم بها ، تقول : أعضاء الحس
وأعضاء الحركة ، ويرادفه لفظ الجهاز ، وهو قسم من جسم الإنسان
يعمل لغاية معلومة كجهاز التنفس ، وجهاز الهضم ، وكل جهاز يؤدي
عملاً يسمى آلة .

ويطلق لفظ العضو أيضاً على الرجل المشترك في هيئة أو شركة أو
جماعة ونحو ذلك ، تقول : عضو المجمع العلمي ، وعضو المجلس البلدي الخ ..

العضوي

Organique	في الفرنسية
Organic	في الانكليزية

العضوي هو المنسوب إلى العضو ، ويطلق على كل جسم مركب من
أجزاء ذات وظائف متميزة ومتناسقة تقول : الكل العضوي ، أي الكل
المعني وتقول أيضاً : الوظائف العضوية والكيمياء العضوية .

والعضوي ضد الميكانيكي أو الآلي ويطلق على كل نمو ناشئ عن تأثير قوة مركزية داخلية تعمل لغاية معينة فإذا كان نمو الجسم ناشئاً عن اجتماع الأسباب الداخلية والخارجية الفاعلة ولم تكن هذه الأسباب خاضعة لقوة مركزية توجهها إلى غاية معينة لم يكن ذلك النمو عضوياً .

والكائن العضوي (Organisme) هو الكائن الحي .

والمذهب العضوي (Organicisme) ضد المذهب الحيوي (Vitalisme) وهو القول أن الحياة تنشأ عن التنظيم والتعضية ، أي عن تكون الأعضاء واتصافها ببعض الصفات الحيوية الخاصة . ذلك هو المعنى الذي أخذ به (سيسيه - Saisset) في قوله إن لبعض الأجسام خواص زائدة على الخواص الفيزيائية والكيميائية وهي انصافها بالتقلص والتهيج والإحساس ، وإن الحياة تنشأ عن تكون الأعضاء المتصفة بهذه الصفات ، والمذهب العضوي في علم الاجتماع هو القول إن المجتمع كائن حي وإن علم الاجتماع قسم من علم الحياة .

العِظَم والعَظَمَة

Grandeur

في الفرنسية

Greatness

في الانكليزية

Grandis

وهو مشتق من اللفظ اللاتيني

العظمة صفة العظیم وهي مادية أو معنوية . أما المادية فهي من الجسم ما ضخم منه ويرادفها العظم ، تقول : عظم الجبل ، وعظم البحر ، وأما المعنوية فهي الكبرياء والجبروت والنخوة والزهو ، تقول : عظمة الملك ، وعظمة الفكر وحب العظمة .

والعظم في الرياضيات يسمى مقداراً وهو كل ما يزيد وينقص ، ويرادفه الكم وهو متصل أو منفصل .

والفرق بين العظمة والجلال أن العظمة تستعمل في الأجسام وغيرها على حين أن الجلال لا يستعمل إلا في غير الأجسام .

وعظمة الله وجوبه الذاتي أي استقلاله واستغناؤه عن غيره ، أما كبريائه فهي ألوهيته أي استغناؤه عما سواه واحتياجه ما سواه إليه .

والعظيم تقيض الحقير كما أن الكبير تقيض الصغير . فقد يكون الشيء كبيراً ولا يكون عظيماً ، أو يكون صغيراً ولا يكون حقيراً ، لأن العظيم هو العظيم بصفاته المعنوية لا بصفاته المادية .

والفرق بين العظيم والكثير أن العظيم يستعمل في الأجزاء المتصلة والأجزاء المنفصلة ، على حين الكثير لا يستعمل إلا في الأجزاء المنفصلة . والدليل على ذلك أن الجبل وهو متصل الأجزاء ينعت بالعظيم ولا ينعت بالكثير ، وإن المال وهو منفصل الأجزاء ينعت بالعظيم والكثير معاً . وقد يستعمل العظيم في الخير والشر تقول إن الله ذو فضل عظيم وإن الشرك لظلم عظيم .

والأعظام عند الرياضيين أقسام الكم المتصل كالخط والسطح والجسم والمكان والزمان ، وإذا نسبت بعضها إلى بعض يقال لها مقادير .

وجنون العظمة (Folie des grandeurs , Mégalomanie) حالة نفسية شاذة مصحوبة بفقدان الجهد المادي والمعنوي تدفع صاحبها إلى المبالغة في طموحه ومطامعه ، حتى يتوهم أنه ملك أو نبي أو إله ، أو أنه أعظم الناس ثروة أو قوة أو مرتبة .

(راجع لفظ المقدار) .

العفة

Tempérance في الفرنسية

Temperance في الانكليزية

Temperantia في اللاتينية

العفة هيئة للقوة الشهوانية متوسطة بين الشره الذي هو إفراط هذه القوة والتمود الذي هو تفريطها . قال مسكويه : « وأعني بالشره الانهك في اللذات والخروج فيها عما ينبغي ، وأعني بخمود الشهوة السكون عن الحركة نحو اللذة الجميلة التي يحتاج إليها البدن في ضروراته ، وهي ما ترخص فيه الشريعة والعقل ، (تهذيب الأخلاق ، ص : ٢٧ من طبعة بيروت ١٩٦٦ ، تحقيق قسطنطين زريق) والعفة إحدى الفضائل الأربع الرئيسية التي ذكرها أفلاطون ، وهي الحكمة والعفة والشجاعة والعدالة .

والفضائل التي تحت العفة كثيرة ، منها الحياء ، والدعة والصبر ، والسخاء ، والحرية ، والقناعة ، والدماثة ، والانتظام ، والمسألة ، والوقار ، والورع . وكل فضيلة من هذه الفضائل فهي وسط بين رزيلتين ، فالحياء وسط بين الوقاحة والخرق ، والسخاء وسط بين التبذير والبخل والقناعة هي الاعتدال في الأكل والشرب والزينة الخ . . وكل من جاوز حد الاعتدال في مأكله ومشربه أو في فعله وسلوكه ، أو في إرضاء رغباته وشهواته لم يكن عفيفاً .

العقاب

Peine , chatiment	في الفرنسية
Pain	في الانكليزية
Pœna	في اللاتينية

العقاب ما يلحق الإنسان بعد الذنب من المحنة في الآخرة ، فاذا خرج المؤمن من الدنيا على طاعة وتوبة استحق الثواب ، وإذا خرج من غير توبة عن ذنب ارتكبه استحق العقاب .

والعقوبة ما يلحق الإنسان من المحنة بعد الذنب في الدنيا ، ولها في قانون العقوبات درجات متفاوتة أشدها عقوبة الإعدام وأخفها عقوبة الحبس أو الغرامة .

والفرق بين العقاب والعذاب أن العقاب جزاء الشر ، على حين أن العذاب هو الألم الشديد جزاءً كان أو لا . تقول : السفر قطعة من العذاب وكل ماشق على النفس فهو عذاب أي شعور بالألم . وهو مادي أو معنوي . (راجع لفظ الألم) .

المقـد

Contrat	في الفرنسية
Contract	في الانكليزية
Contractus	في اللاتينية

المقد المهد ، إلا أن المهد إلزام مطلق والمقد إلزام على سبيل الاحكام . وهو اتفاق بين طرفين أو أكثر يلتزم كل منهم بمقتضاه تنفيذ ما اتفقوا عليه .

وعقد العمل (Contrat du travail) عقد يلتزم شخص بموجبه أن يعمل في خدمة شخص آخر لقاء أجر .

والعقد الاجتماعي (Contrat social) اتفاق اقتراضي بين أفراد المجتمع يوجب على كل منهم وهو في الحالة الطبيعية أن يمهّد إلى حكم « الإدارة العامة » في جميع مآلديه من قدرات خاصة تنظم بها حياة الكل . قال روسو :
« إن الإنسان يربح بالعقد الاجتماعي حريته المدنية، وإن خسر به حريته الطبيعية .
(J. J. Rousseau , Contrat social , I. VIII)

العقدة

في الفرنسية	Complexe
في الانكليزية	Complex
في اللاتينية	Complexus

العقدة مشكلة تعترض حياة الشخص فينشأ عنها اضطراب في النفس . وهي جملة من التصورات المشحونة بالانفعالات الشديدة تنمو على هامش الشعور الواضح حتى تبلغ درجة السيطرة عليه .

والعقد في علم التحليل النفسي كثيرة منها عقدة النقص أو الصفة ، وتسمى مركب النقص (Complexe d'infériorité) وعقدة اوديب (Complexe d'Oedipe) وعقدة الكترا (Complexe d'Electre) . وغيرها .
أما عقدة النقص فهي موقف عاطفي يسيطر على المرء من جراء شعوره بضعفه العضوي أو الجنسي ، فيحمله ذلك في كثير من الأحيان على كبت عواطفه ، ويولد فيه حالة عصبية تختلف شدتها باختلاف الظروف المحيطة به والوسائل المتوافرة لديه .

وأما عقدة (اوديب) فهي ميل جنسي مظهره عشق الولد لأمه ، وقد أطلق عليها هذا الاسم نسبة إلى (اوديب) الملك الذي قتل أباه وتزوج أمه . وتألف هذه العقدة من جملة من التصورات والعواطف المتضاربة شعورية كانت أو غير شعورية تتجلى في ميل الولد إلى أمه وغيره عليها من والده .

وأما عقدة (الكترا) فهي ضد عقدة (اوديب) وتتميز بميل جنسي مظهره عشق الفتاة لأبيها . وقد أطلق عليها هذا الاسم نسبة إلى (الكترا) التي أرادت أن تنتقم من أمها لتهدمها أسباب قتل أبيها (آغاممنون) ومن صفات هذه العقدة أنها مصحوبة بتعلق الفتاة عن وعي أو غير وعي بوالدها ، وبكرهها لأمها ، وباضطراب تصوراتها وعواطفها من جراء شعورها بالإثم .

وعقدة (الكترا) عند البنات نظير عقدة (اوديب) عند البنين (راجع فرويد 7-30 S. Freud , über Psychoanalyse) ويونغ Yung . L'homme à la découverte .

العقل

في الفرنسية Raison , intelligence , intellect

في الانكليزية Reason, understanding intelligence

intellectual powers

في اللاتينية Ratio, intelligentia intellectus

العقل في اللغة هو الحِجَر والنهي ، وقد سمي بذلك تشبيهاً بعقل الناقة ، لأنه يمنع صاحبه من المدول عن سواء السبيل كما يمنع العقال الناقة من الشرود . والجمهور يطلق العقل على ثلاثة أوجه (راجع معيار العلم للغزالي ص ١٦٢ .)

الأول يرجع إلى وقار الإنسان وهيئته ويكون حده أنه هيئة محدودة للإنسان في كلامه واختياره وحركانه وسكناته .

والثاني يراد به ما يكتسبه الإنسان بالتجارب من الأحكام الكلية فيكون حده أنه معان مجتمعة في الذهن تكون مقدمات تستنبط بها الأغراض من المصالح .
والثالث يراد به صحة الفطرة الأولى في الإنسان فيكون حده أنه قوة تدرك صفات الأشياء من حسننها وقبحها وكاملها ونقصانها .

أما الكندي (رسالة في ماهية العقل والإبانة عنه ، ورسالة في حدود الأشياء ورسومها) والفارابي (مقالة في معاني العقل) وابن سينا (رسالة الحدود) وغيرهم من الفلاسفة فانهم يطلقون العقل على المعاني التالية ، وهي :

١ - أول هذه المعاني هو القول إن العقل « جوهر بسيط مدرك للأشياء بحقائقها » (الكندي ، رسالة في حدود الأشياء ورسومها) وهذا الجوهر « ليس مركباً من قوة قابلة للفساد » (ابن سينا ، الإشارات ص ١٧٨) وإنما هو « مجرد عن المادة في ذاته مقارن لها في فعله » (تعريفات الجرجاني) وهذا القول بجوهرية العقل مع نفي العرضية عنه موجود في أكثر كتب الفلاسفة ، فالفارابي عندما يتحدث عن القوة التي تدرك المعقولات يقول إنها « جوهر بسيط مقارن للمادة ، يبقى بعد موت البدن ، وهو جوهر أحدي ، وهو الإنسان على الحقيقة » (عيون المسائل ، ص ٦٤) . وابن سينا لا يتحدث عن القوة الماقلة إلا ليطلق عليها اسم الجوهر ، وهو يسمى الجوهر المتبري* من المواد من كل جهة عقلاً ، وهو النفس الناطقة التي يشير إليها كل أحد بقوله : أنا .

٢ - والمعنى الثاني للعقل هو القول إنه قوة النفس التي بها يحصل تصور المعاني وتأليف القضايا والأقيسة . والفرق بينهما وبين الحس أن

الحس لا يستطيع أن يجرد الصورة من المادة على حين أن العقل يستطيع أن يأخذ الصورة مجردة عن المادة ولواحقها من كل وجه . وله عند فلاسفة الإسلام عدة مراتب : أولها مرتبة العقل الهولاني (Intelligence matérielle) وهو الاستعداد المحض لإدراك المقولات ، وثانيها العقل بالملكة (Intelligence · Habitude) وهو العلم بالضروريات واستعداد النفس بذلك لاكتساب النظريات ، وثالثها العقل بالفعل (Intelligence en acte) وهو القدرة على امتنباط النظريات من الضروريات ورابعها العقل المستفاد (Intelligence acquise) ، وهو أن تكون النظريات حاضرة عند العقل لاتغيب عنه ، وفوق العقل الإنساني عقل مفارق وهو العقل الفعال (Intelligence active) الذي تفيض منه الصور على عالم الكون والفساد ، فتكون موجودة فيه من حيث هي فاعلة ، أما في عالم الكون والفساد فهي لا توجد إلا من جهة الانفعال . وهذا الفرق بين الفعل والانفعال يذكرنا بقول (أرسطو) ان العقل الفاعل (Intellect agent) هو العقل الذي يجرد المعاني أو الصور الكلية من لواحقها الحسية الجزئية على حين العقل المنفعل (Intellect passif) هو الذي ترسم فيه هذه الصور المجردة .

٣ - والمعنى الثالث للعقل هو القول إنه « قوة الإصابة في الحكم » أي تمييز الحق من الباطل والخير من الشر والحسن من القبيح (ديكارت ، مقالة الطريقة القسم الأول ص ١ من ترجمتنا) وهذا التمييز لا يحصل عن قياس وفكر بل يحصل مباشرة بالفطرة والطبع . فكأن العقل كما قال (الرازي) غريزة يلزمها العلم بالأمور الكلية والبدئية . وقد أشار (ديكارت) إلى هذا المعنى بقوله : ان القاعدة الأولى لطريقته هي أن لا يتلقي على الإطلاق شيئاً على أنه حق ما لم يتبين يدها العقل أنه كذلك .

فالعقل بهذا المعنى مضاد للحق ، لأن الحق قلة العقل وفساده ووضع الشيء في غير موضعه مع العلم بقبحه وهو مضاد أيضاً للهوى لأن الهوى يمنع المرء من الإصابة في الحكم على حين أن العقل يمنع النفس من العدول عن سواء السبيل وبينها عن اتباع هواها .

٤ - والمعنى الرابع للعقل هو القول إنه قوة طبيعية للنفس مهيئة لتحصيل المعرفة العلمية ، وهذه المعرفة مختلفة عن المعرفة الدينية المستندة إلى الوحي والإيمان . قال ابن خلدون : « ان العلوم التي يخوض فيها البشر ويتداولونها في الأمصار تحصيلاً وتعليماً هي على صنفين : صنف طبيعي للانسان يهتدي اليه بفكره ، وصنف ثقلي يأخذه عن وضعه . والأول هو العلوم الحكيمة والفلسفية ، وهي التي يمكن أن يقف عليها الإنسان بطبيعة فكره ، ويهتدي بمداركه البشرية إلى موضوعاتها ومسائلها وانحاء براهينها ووجوه تعليمها حتى يقفه نظره ويحمله على الصواب من الخطأ فيها من حيث هو إنسان ذو فكر ، والثاني هو العلوم النقلية الوضعية ، وهي كلها مستندة إلى الخبر عن الواضع الشرعي ، ولا مجال فيها للعقل إلا في الحاق الفروع من مسائلها بالأصول ، (المقدمة ، ص ٣٥) ومعنى ذلك أن موضوع الدين معرفة الحقائق التي أوحى بها الله ، أما موضوع العلم فهو معرفة الحقائق التي يستطيع الإنسان أن يحصلها بعقله الطبيعي دون معونة خارجية . ولهذا العقل الطبيعي في نظر ابن خلدون ثلاث درجات أولاهها درجة العقل التمييزي وثانيها درجة العقل التجريبي ، وثالثها درجة العقل النظري .

٥ - والمعنى الخامس للعقل هو القول إنه مجموع المبادي القبلية (A priori) المنظمة للمعرفة كبداً عدم التناقض ، ومبدأ السببية ومبدأ الضائية . وتتميز هذه المبادئ بضرورتها وكليتها وبعدم تعلقها بالتجربة . قال لينز : « يتميز الإنسان عن الحيوان بأدراكه للحقائق الضرورية والأبدية ،

فهي التي تولد فيه العقل والعلم وتسمو به إلى معرفة ذاته ومعرفة الله ،
 (Monodologie - 29) . وقد انتشر هذا المعنى في الفلسفة الحديثة بتأثير
 (كانت) حتى أصبح الفلاسفة يقولون إن إدراك العقل للعالم لا يتم بما
 يحصل له من مدركات تجريبية فحسب ، بل يتم بما لديه من معاني فطرية .
 فإذا قال الفلاسفة التجريبيون : لا يوجد في العقل شيء لم يوجد قبل في
 الحس والتجربة صحح الفلاسفة العقليون هذا القول بإضافة قيد واحد عليه
 وهو قولهم : إلا العقل نفسه . ومعنى ذلك أن جملة المبادئ والمعاني الأولية
 التي يكشف عنها الفكر موجودة في العقل قبل الحس ، وأن العقل
 الغريزي ليس صفحة بيضاء لم تنتقش بنقش ، وإنما هو ذو رسوم فطرية
 تنظم معطيات التجربة . وبعض المعاني الكلية كمعنى الكامل والمطلق
 والانهائي ملازمة للعقل لا تفارقه ، وبعضها الآخر كمعنى الزمان والمكان
 والعلة والغاية والوحدة حاصلة للعقل بواسطة الفكر . والفرق بين العقل
 والفكر أن العقل هو مجموع المبادئ الضرورية والمعاني الكلية التي تنظم
 المعرفة على حين أن الفكر هو حركة النفس في المقولات من المطالب
 إلى المبادئ تارة ، ومن المبادئ إلى المطالب أخرى . أما الفرق بين العقل
 والاستدلال فهو أن العقل نور يدرك المبادئ الضرورية بذاته إدراكاً
 حدسياً مباشراً على حين أن الاستدلال هو النظر في شروط الطباق هذه
 المبادئ على موضوعات الفكر لاستخراج النتائج الصحيحة من
 المقدمات الصادقة .

٦ - والمعنى السادس للعقل هو القول انه الملكة التي يحصل بها
 للنفس علم مباشر بالحقائق المطلقة . وإذا قلنا بوحدة العقل وموضوعه دل
 العقل حينئذ على المطلق نفسه . فكأن هذا العقل شيء مستقل عنا ، ونحن
 نتلقاه من الخارج كما نستنشق الهواء المحيط بنا ، وكل واحد منا كما يقول

(بوسوبه) يشعر بأن في داخله عتلاً محدوداً ، لا يصحح أحكامه إلا باستلزام عقل كلي ثابت لا يتغير ، فأين يوجد هذا العقل الكلي ، انه الله الذي أنطلق إليه ، إنه الموجود ، للانهائي الكامل الذي يتجلى لنفسي مباشرة . فكأن هذا العقل الذي أشار إليه (بوسوبه) شبيه بالعقل الفعال الذي تكلم عليه الفارابي وابن سينا ، فالله عقل ، وليس عقل الإنسان سوى عقل مستفاد تفيض عليه المعقولات من العقل الإلهي . ومع أن (كانت) قد أعلن أن معرفة هذا العقل المطلق ممتعة فإن خلفاءه ولا سيما (شيلينغ) يقولون بإمكان معرفته ، وهكذا يتدرجون إلى القول بعقل مستقل عن الفكر أي بمحس شبيه بالهام الشاعر ، يكافح الشك أو الباطل أو الضلال الذي يظهر على مسرح الفكر كأن هنالك فوق الفكر منطقة نورانية أو منطقة سلام دائم يقبض فيها العقل على الحقائق المطلقة دون الاستعانة بالفكر . وقد خلق الله هذا العقل لإدراك هذه الحقائق ، كما خلق العين لإدراك الألوان والأشكال والأذن لإدراك الأصوات . (راجع كتاب فكتور كوزان (Victor Cousin Du vrai , du beau , et du bien , 3= leçon, 161.

٧ - وبطلنى لفظ العقل أيضاً على مجموع الوظائف النفسية المتعلقة بتحصيل المعرفة كالإدراك الحسي ، والتداعي ، والذاكرة والتخيل ، والحكم والشعور والاستدراك ويقابله في اللغة الفرنسية لفظ (Intelligence) وهو ملكة الفهم وضده المحس والغريزة . أما ملكة الفهم السريع فتسمى ذكاء .

٨ - العقل المحض والعقل العملي (Raison pure et raison pratique) يطلق (كانت) هذين الاصطلاحين على كل ماهو قبلي في الفكر أي على اللغة المتعالية التي تتضمن مبادئ المعرفة القبلية المستقلة عن التجربة . فاذا نظرت إلى العقل من جهة اشتاله على المبادئ القبلية للمدركات العلمية كان

نظرياً أو تأملياً ، وإذا نظرت إليه من جهة اشتباهه على المباديء القبلية لقواعد الأخلاق كان عملياً . وإذا كان العقل النظري محضاً تارة ومبنياً على التجربة أخرى فإن العقل العلمي لا يمكن أن يكون إلا محضاً . وللعقل عند (كانت) معنى أخص وهو إطلاقه على ملكة الفكر المتعالية التي بها تدرك المعاني المثالية كعاني النفس والله والعالم ، وهو بهذا المعنى ليس مضاداً للتجربة وإنما هو مضاد لملكة الفهم ، وله ناحية عملية خاصة وهي أن موضوعات الأخلاق (Postulats de la morale) . كاقول بالحرية وخلود النفس ووجود الله متعلقه به .

٩ - العقل المؤلف والعقل المؤلف (Raison constituante et raison

(constituée

العقل المؤلف عند (لالاند) هو الملكة التي يستطيع بها كل إنسان أن يؤلف من إدراك العلاقات مباديء كلية وضرورية ، وهي واحدة عند جميع الناس . أما العقل المؤلف عنده فهو مجموع المباديء والقواعد التي يُعتمد عليها في الاستدلال ، وهي تتغير بتغير الزمان والأفراد ، إلا أنها تتجه مع ذلك إلى الوحدة ، فكان العقل المؤلف هو العاقل ، وكأن العقل المؤلف هو المعقول .

١٠ - والعقلي (Rationnel) هو المنسوب إلى العقل ، تقول : المباديء العقلية والعلوم العقلية . قال (هيجل) كل عقلي فهو موجود بالفعل ، وكل موجود بالفعل فهو عقلي .

والعقلي أيضاً هو المنطقي ، تقول : يجب أن يصبح العلم الرياضي نقطة الابتداء في كل تربية عقلية (أي منطقية) ، وتقول علم الميكانيك العقلي أي

النظري ، وهو العلم الذي يستنبط جميع مسائله من معاني القوة والكتلة والقصور الذاتي وغيرها .

والحياة العقلية (Vie intellectuelle) في علم النفس مقابلة للحياة الانفعالية (Vie affective) والحياة الفاعلة (Vie active) والقيم العقلية مقابلة للقيم الأخلاقية أو الفنية .

١١ - والعاقل (Raisonnable) هو الناطق أي المتصف بالعقل وكل من قال في الانسان انه عاقل عنى بذلك أن عقله يميزه من الحيوان .
والعاقل أيضاً هو الذي يفكر تفكيراً صحيحاً ويحكم على الأشياء حكماً صادقاً ويعمل عملاً صالحاً ، فلا يسمى عاقلاً حتى يكون خيراً ، بخلاف الجاهل الذي يستعمل فكره في فعل الشر ، فلا يسمى عاقلاً وإنما يسمى داهياً أو ماکراً .

والعاقل أيضاً هو الذي يعرف كيف يكبح جماح نفسه ويعرض عن كل ما يجاوز نطاق قدرته ويوقعه في المهالك ، ولذلك قيل : دولة الجاهل من الممكنات ، ودولة العاقل من الواجبات .

والعاقل أخيراً هو الذي يتقيد بالذوق والعرف العام ، أو بأحكام القيم المقبولة في زمانه ، ويرادفه المعتدل والمتزن .

١٢ - والمقول (Intelligible) ضد المحسوس ، وهو المعنى الكلّي ، والمقولية (Rationalité ou intelligibilité) صفة المقول كمقولية بعض البادي* التي نستخرجها من الارتباط الضروري بين التطورات . ولما كانت المحسوسات منبع الكثير من الخطأ والضلال وكان حاكم العقل يكذب حاكم الحس كانت المعرفة اليقينية مؤلفة من المقولات لامن المحسوسات ، والمقول في بعض المذاهب الفلسفية مرادف للموجود الحقيقي ، تقول : عالم المقولات وعالم المثل ، وتقول أيضاً : معقول الحيوانية ، ومعقول الانسانية ومعقول الحرية ، وهي ممان

كلية لها في نظر بعض الفلاسفة ثلاثة أنماط من الوجود : وجودها متكررة في المحسوسات ، ووجودها في العقل البشري بعد الكثرة ، ووجودها في عالم المعقولات قبل الكثرة .

١٣- ومبدأ المعقولية الكلية (Principe de l'universelle intelligibilité) اصطلاح أطلقه (فويه) في كتابه « فلسفه افلاطون » على الايمان بمعقولية الأشياء وهو القول إن كل موجود فهو مؤلف من قوانين العقل الأساسية . فإذا شك المرء في شيء لم يشك فيه لذاته بل شك في قدرته هو على معرفة ذلك الشيء . وإذا قلت إن كل شيء معقول أردت بهذه المعقولية ان لكل شيء صورة عقلية تفسره .

١٤- العقلانية أو المذهب العقلي (Rationalisme) .

المذهب العقلي هو القول بأولية العقل ويطلق على عدة معان :

أ - الأول هو القول إن كل موجود فله علة في وجوده بحيث لا يحدث في العالم شيء إلا وله مرجح معقول .

ب - والثاني هو القول إن المعرفة تنشأ عن المباديء العقلية القبلية والضرورية لا عن التجارب الحسية ، لأن هذه التجارب لاتفيد علماء كلياً والمذهب العقلي بهذا المعنى ضد المذهب التجريبي (Empirisme) الذي يزعم أن كل ما في العقل فهو متولد من الإحساس والتجربة .

ج - والثالث هو القول إن وجود العقل شرط في إمكان التجربة فلا تكون التجربة ممكنة إلا إذا كان هنالك مباديء عقلية تنظم معطيات الحس . مثال ذلك ان المثل عند (افلاطون) والمعاني النظرية عند (ديكارت) والصور القبلية (Formes a priori) عند (كانت) متقدمة على التجربة . فإذا عدت هذه المثل وتلك المعاني والصور شرطاً ضرورياً وكافياً لحصول

المعرفة كانت العقلانية مطلقة ، وإذا عدتها شرطاً ضرورياً فقط كانت العقلانية نسبية .

د - والرابع هو الإيمان بالعقل وبقدرته على إدراك الحقيقة وسبب ذلك في نظر العقليين أن قوانين العقل مطابقة لقوانين الأشياء الخارجية وأن كل موجود معقول ، وكل معقول موجود . فإذا صح عندهم أن العقل قادر على الإحاطة بكل شيء دون عون خارجي يأتيه من القلب أو الغريزة أو الدين كان مذهبهم مضاداً لمذهب الايمانين (Fidéistes) ومذهب المتصوفين .

هـ - والعقلانية عند بعض علماء الدين هي القول ان العقائد الايمانية مطابقة لأحكام العقل . ولهذا العقلانية ثلاثة أوجه : الأول هو القول ان العقل شرط ضروري كاف لمعرفة الحقائق الدينية ، والثاني هو الإعراض عن جميع العقائد التي لا يمكن إثباتها بالمبادئ العقلية ، والثالث هو الدفاع عن العقائد الايمانية بعد فرضها صحيحة من الشرع من حيث يمكن أن يستدل عليها بالأدلة العقلية ، (مقدمة ابن خلدون ص : ٤٦٦)

العقيدة

Dogme	في الفرنسية
Dogma	في الانكليزية
Dogma	في اللاتينية

العقيدة هي الحكم الذي لا يُقبل الشك فيه لدى معتقده ، ويرادفها الاعتقاد والمعتقد . وتطلق في الفلسفة على الرأي المعترف به بين أفراد مذهب واحد كالعقيدة الرواقية والعقيدة المركسية . وتطلق في الدين على

م (٣)

ما يؤمن به الإنسان ويمتقده كمقيدة وجود الله وبعثة الرسل والعقاب والثواب وغيرها .

والاعتقادية أو الوثوقية أو التوكيدية (Dogmatisme) مذهب الذين يؤمنون بقدرة العقل على الوصول إلى اليقين وهي ضد الريبية (Scepticisme) وضد الانتقادية (Criticisme) .

وقد يطلق لفظ الوثوقي أو التوكيدي تهكماً على من يتعصب لرأي يسلم به دون تمحيص ، ويحاول فرضه على غيره دون برهان .

العكس

Conversion في الفرنسية

Conversion في الانكليزية

Conversio في اللاتينية

العكس استدلال مباشر يقوم على تصوير الموضوع محمولاً والمحمول موضوعاً مع بقاء السلب والإيجاب بحاله ، والصدق والكذب بحاله ، وله قيمان : الأول هو العكس المستوي أو التام كما في الكلية السالبة والجزئية الموجبة فإن كل واحدة منها تنعكس مثل نفسها . فإذا قلت : لا شيء من (آ) (ب) صدق : لا شيء من (ب) (آ) ، وكذلك إذا قلت بعض (آ) (ب) صدق بعض (ب) (آ) .

والثاني هو العكس الجزئي أو العكس بالعرض كما في الكلية الموجبة التي تنعكس جزئية موجبة . فإذا قلت كل (آ) (ب) صدق بعض (ب) (آ) . أما الجزئية السالبة فلا تنعكس ، فليس إذا صدق قولنا ليس كل إنسان كاتباً يجب أن يصدق ليس بعض الكاتب بإنسان .

وللفظ (Conversion) في الفرنسية والانكليزية معنيان آخران الأول هو الرجعة وهي الحركة المضادة لحركة الصدور في الفلسفة الافلاطونية الحديثة ، لأن الصدور هو فيض العقل والنفس والعالم تنالياً ، ثم فيض الموجودات الفردية عن الواحد أو الخير أما الرجعة فهي عودة هذه الأشياء إلى مبدئها الأصلي . والثاني هو تحول الانسان من مبدأ سياسي أو خلقي إلى آخر أو اعتناقه ديانة غير ديانته .

العلاقة

Rapport . relation	في الفرنسية
Relation	في الانكليزية
Relatio	في اللاتينية

العلاقة بالفتح الارتباط ، وبالكسر ما يعلق به السيف ونحوه . فالفتوح يستعمل في الأمور الذهنية ، والمكسور في الأمور الخارجية المحسوسة . وتطلق العلاقة في اصطلاح المنطقيين على ما يسببه يستعجب شيء شيئاً آخر . كعلاقة المقدم بالتالي في القضايا الشرطية المتصلة ، مثل قولنا في اللزوميات إذا كانت الشمس طالعة فالنهار موجود .

وللعلاقة في الفلسفة الحديثة معنيان ، أحدهما عام ، والآخر خاص . فالعلاقة بالمعنى العام تطلق على كل ارتباط بين موضوعين أو أكثر من موضوعات الفكر بحيث يدرك العقل علاقة أحدهما بالآخر بفعل واحد

لا ينقسم ، كعلاقة التشابه أو التباين أو المية أو التماثل أو العلية أو الغائية أو التضاد .

والعلاقة بالمعنى الخاص هي تناسب بين كميتين أو أكثر . مثال ذلك أن علاقة (ب : ج) أو $\frac{ب}{ج}$ هي قياس كمية (ب) بنسبتها إلى كمية (ج) أو هي خارج قسمة (ب) على (ج) ، ولذلك قيل إن العلاقة هي تناسب بين الأشياء أو المقياس المشترك بينها .

والعلاقة في علم البيان المناسبة بين المعنى الأصلي والمعنى المراد في المجاز والكناية والعلائق ما يتعلق به الإنسان من أسباب الدنيا وشواغلها . قال الفريسي : « وكان قد ظهر عندي أنه لا مطلق في سعادة الآخرة إلا بالتقوى وكف النفس عن الهوى ، وإن رأس ذلك كله قطع علاقة القلب عن الدنيا بالتجافي عن دار الغرور ، والانتابة إلى دار الخلود ، والاقبال بكنه المهمة على الله تعالى ، وإن ذلك لا يتم إلا بالاعراض عن الجاه والمال ، والهرب من الشواغل والعلائق . ثم لاحظت نفسي فإذا أنا منغمس في العلائق ، وقد أحدثت بي من الجوانب ، ولاحظت أعمالي وأحسنها التدريس فإذا أنا فيها مقبل على علوم غير مهمة ولا نافعة في طريق الآخرة » (المنقذ من الضلال ص ١٠٣ من طبعتنا ، الطبعة السابعة بيروت ١٩٦٧) .

وقد تكون علاقة الإنسان بالإنسان علاقة صداقة أو عداوة أو علاقة لشراك في مسكن أو مهنة أو طائفة أو ديانة أو وطن الخ .. وأعلى هذه العلائق كلها العلائق الانسانية المجردة .

(راجع : النسبة ، والإضافة)

العلة

Cause في الفرنسية

Cause في الانكليزية

Causa في اللاتينية

العلة في اللغة معنى يحل بالحل فيتغير به حال ذلك المحل بلا اختبار .
ومنه سمي المرض علة لأنه يحلوه بتغير حال الشخص من القوة إلى الضعف .
وكل وصف حل يحل وتغير به حاله ممّا فهو علة ، وصار المحل معلولاً
له كالجرح مع الجروح وغير ذلك ، وبعبارة أخرى كل أمر يصدر عنه
أمر آخر بالاستقلال أو بانضمام الغير إليه فهو علة لذلك الأمر ، والأمر
معلول له ، فيتعلل كل واحد منها بالقياس إلى تعقل الآخر ، (كليات
أبي البقاء) .

والعلة عند الأصوليين ما يجب به الحكم .

والعلة عند الحكماء ما يتوقف عليه وجود الشيء ويكون خارجاً مؤثراً
فيه (تعريفات الجرجاني) فعلة الشيء ما يتوقف عليه ذلك الشيء إما في
ماهيته كالمادة والصورة أو في وجوده كالغاية والفاعل .

والعلة ترادف السبب إلا أنها قد تغيّر فيراد بالعلة المؤثر والسبب
ما يفضي إلى الشيء في الجملة أو ما يكون باعثاً عليه . وقد قال بعضهم : السبب
ما يتوصل به إلى الحكم من غير أن يثبت به ، أما العلة فهي ما يثبت به
الحكم . ومعظم الفلاسفة الإسلاميين كالكندي والفارابي وابن سينا وابن رشد
يفضلون استعمال لفظ العلة على لفظ السبب إلا الفراءى وعلما الكلام قلّتهم
يستعملون لفظ السبب للدلالة على العلة .

والعلل عند (أرسطو) أربعة أقسام : (١) العلة المادية (Cause materielle) وهي ما لا يترجم عن وجودها بالفعل حصول الشيء بالفعل ، بل ربما كان بالقوة كالخشب والحديد بالنسبة إلى السرير ، (٢) والعلة الصورية (Cause formelle) وهي ما يجب عن وجودها بالفعل وجود الشيء بالفعل كالشكل والتأليف للسرير . (٣) والعلة الفاعلة (Cause efficiente) وهي ما تكون مؤثرة في المعلول موجودة له كالنجار الذي يصنع السرير . (٤) والعلة الغائية (Cause finale) وهي ما يكون الشيء لأجلها كالجُلوس على السرير ، فهو الغاية التي من أجلها وجد .

وقد أخذ فلاسفة الاسلام وفلاسفة القرون الوسطى في أوربة بهذه النظرية الأرسطية وقدموا العلة الغائية على سائر العلل . مثال ذلك قول ابن سينا : والغاية تتأخر في حصول الوجود عن المعلول إلا أنها تتقدم سائر العلل في الشيئية ، « ومن الين أن الشيئية غير الوجود في الأعيان، فإن المممي له وجود في الأعيان ووجود في النفس وأمر مشترك ، فذلك المشترك هو الشيئية ، والغاية بما هي شيء ، فلها تتقدم سائر العلل ، وهي علة العلل في أنها علة .. وبما هي موجودة في الأعيان قد تتأخر .. وذلك لأن العلل إنما تصير عللاً بالفعل لأجل الغاية ، وليست هي لأجل شيء آخر ، وهي توجد أولاً نوعاً من الوجود فتصير العلل عللاً بالفعل ، ويشبه أن يكون الحاصل عن الخير هو أن الفاعل الأول والمحرك الأول في كل شيء هو الغاية » (النجاة ص ٣٤٥) .

والعلة الأولى (Prima causa) هي العلة التي لا علة لها ، أو علة العلل ، أو العلة النهائية ، وتطلق عند الحكماء على الله وحده .

والعلة الثانية (Cause seconde) هي العلة التي لا فعل لها إلا بتأثير

العلة الأولى وهي قريبة (Prochaine) أو بعيدة (Eloignée) .

وفرقوا بين العلة الأساسية (Cause principale) والعلة الادائية (Cause instrumentale) والعلة المباشرة (Cause directe) والعلة غير المباشرة (Cause indirecte) ، والعلة التامة والعلة الناقصة والعلة الممدة . أما العلة الأساسية فهي العلة التي تنفرد بالتأثير في الشيء ، وأما العلة الادائية فهي الآلة التي سيتم بها وجود الشيء ، وأما العلة المباشرة فهي التي تحدث الشيء بلا وسط ، وأما العلة غير المباشرة فهي التي تحدث الشيء بوسط ، وأما العلة التامة وتسمى بالمستقلة فهي تمام ما يتوقف عليه الشيء في ماهيته ووجوده أو في وجوده فقط ، وأما العلة الناقصة فهي بخلاف ذلك . وأما العلة الممدة فهي التي يتوقف عليها وجود المملول من غير أن يجب وجودها مع وجوده .

وقد وسع (ديكارت) معنى العلة الآرسطى فأطلقه على العلاقات الطبيعية والعلاقات المنطقية معاً . وهذا متفق مع روح مذهبه الذي يمد العلاقات المنطقية أسماً للعلاقات الطبيعية . فإذا قلت إن (آ) علة (ب) أردت بذلك أن وجود (آ) يستلزم وجود (ب) اضطراراً . ومعنى ذلك أن العلاقات السببية شبيهة بالقياسات الاقترافية التي يكون فيها وجود المقدم شرطاً لوجود التالي .

أما مالبرانش فانه يطلق معنى العلة التامة على الشيء الذي يؤثر في غيره من دون أن يفقد شيئاً من طبيعته أو من قدرته على التأثير ، وهذه العلة التامة مختلفة عن العلة الظرفية (Cause occasionnelle) التي لا تفرض بين الأشياء أي ارتباط ضروري بل تقول بالحصول عنده لا بالحصول به ، على النحو الذي ذهب إليه (الفزالي) .

وأما (كانت) فإن العلة عنده تدل على تركيب خاص قوامه أن شيئاً مثل (آ) يوجب أن يصدر عنه وفقاً لقاعدة معينة شيء آخر ، مثل (ب) يختلف عنه تماماً ، ومعنى ذلك أن علاقة العلة بالمعلول ليست تركيباً تجريدياً ، وإنما هي تركيب عقلي ، وهي لا نكتفي بملاحظة حدوث المعلول بعد العلة ، بل تتضمن وجوب هذا الحدث وضرورته .

وأما (استوارت ميل) فإنه يطلق لفظ العلة على الظاهرة أو الظواهر المتقدمة التي تكون الظاهرة المسماة بالمعلول قالية لها دائماً . وهذا المعنى وإن كان حالة خاصة من مفهوم العلة عند (كانت) إلا أنه يختلف عنه بإهمال ما في تعاقب الظواهر من ارتباط منطقي أو ضروري . وهو بهذا المعنى قريب بعض الشيء من مفهوم العلة الظرفية المتضمن معنى الحدث عنده .

والعلة مطلقاً متقدمة على المعلول تقدماً ذاتياً . إلا أنها من جهة ما هي موجودة بالفعل مقارنة للمعلول في الزمان .

العلم

Science	في الفرنسية
Science	في الانكليزية
Scientia	في اللاتينية

العلم هو الإدراك مطلقاً تصوراً كان أو تصديقاً ، يقينياً كان أو غير يقيني وقد يطلق على العقل ، أو على المعرفة إطلاقاً ، أو على إدراك الكل مفهومًا كان أو حكماً ، أو على الاعتقاد الجازم المطابق للواقع ، أو على إدراك الشيء على ما هو به ، أو على إدراك حقائق الأشياء وعلاها ، أو على إدراك المسائل عن دليل ، أو على الملكة الحاصلة من إدراك تلك المسائل .

والفرق بين العلم والمعرفة أن العلم يقال على إدراك الكلّي والمركب على حين أن المعرفة تقال على إدراك الجزئي أو البسيط . وقد يقال إن مفهوم العلم أخص من مفهوم المعرفة لأن المعرفة قسماً معرفة عامية (Connaissance vulgaire) مشتملة على آراء وأحكام عفوية تكسبنا إياها التجربة ، ومعرفة علمية (Connaissance scientifique) تبحث عن علل الأشياء وتكشف عن قوانينها الطبيعية الثابتة وإذا علمنا أنه لا علم إلا بالكليات أدركنا أن غاية العلم هي الكشف عن العلاقات الضرورية بين ظواهر الأشياء ، وهي غاية نظرية ، بخلاف المعرفة العامة التي تتقيد بالنتائج العملية ولا يبلغ العلم نهايته إلا بتأليف المعاني وتنسيقها ونظمها وتنظيمها في قوانين جامعة .

ومعنى ذلك كله أن من شرط العلم أن يتضمن درجة كافية من الوحدة والتصميم ، وأن يكون بحيث يستطيع الناس أن يتفقوا في الحكم على مسأله لا بالاستناد إلى أذواقهم ومصالحهم الضرورية ، بل بالاستناد إلى ما بين هذه المسائل من علاقات موضوعية يكشفون عنها بالتدريج ويحققونها ويثبتونها بطرق محدودة .

ولكل علم موضوع ومنهج يميزانه من غيره ، إلا أن الفلاسفة يصنفون العلوم المختلفة ويرتبونها صنفاً صنفاً ، ليبينوا ما بين موضوعاتها ومناهجها من تشابه ووحدانية .

ولنذكر الآن بعض هذه التصنيفات على سبيل المثال .

١ — من تصنيفات العلوم في الفلسفة القديمة تصنيف أرسطو الذي زعم أن عقولنا تطلب العلم الاطلاع أو الإبداع أو الانتفاع ، وأن العلوم تنقسم بحسب هذه النيات الثلاث إلى علوم نظرية (كالرياضيات والطبيعات) وعلوم شعرية (كالبلغة والشعر والجدل) وعلوم عملية [كالأخلاق والاقتصاد والسياسة] . ومنها تصنيف ابن سينا الذي زعم أن العلوم

نظرية وعملية ، وكل قسم من هذين القسمين ينقسم عنده إلى ثلاثة أقسام ، فأقسام العلوم النظرية هي العلم الطبيعي والعلم الرياضي والعلم الإلهي ، وأقسام العلوم العملية هي علم الأخلاق ، وتدير المنزل ، وتدير المدينة . ومنها تصنيف ابن خلدون الذي زعم أن العلوم صنفان الأول هو العلوم العقلية وهي طبيعية للإنسان من حيث هو ذو فكر ، وتسمى بالعلوم الحكيمة وتشتمل على أربعة علوم المنطق ، والعلم الرياضي ، والعلم الطبيعي ، والعلم الإلهي ، والثاني هو العلوم النقلية المستندة إلى الخبر عن الواضع الشرعي ، وتشمل التفسير والقرآن والحديث وعلم الفقه وعلم الفرائض وعلم أصول الفقه وعلم الكلام وغيرها .

٣ - ومن تصنيفات العلوم في الفلسفة الحديثة تصنيف (يكون) وتصنيف (آمبر) وتصنيف (أوغومست كومت) .

الأول مبني على الملكات العقلية الضرورية لتحصيل العلم ، وهي ثلاث ملكات : العقل وهو أساس العلوم الفلسفية ، والخيال وهو أساس العلوم الشعرية ، والذاكرة وهي أساس العلوم التاريخية .

والثاني تصنيف العلوم بحسب موضوعاتها وهي قسمان ، العلوم الكونية وموضوعها المادة ، والعلوم المعنوية وموضوعها الفكر ، ولكل من هذين القسمين الكبيرين فروع مختلفة .

والثالث تصنيف العلوم بحسب موضوعاتها ، وهي ستة علوم أساسية : علم الرياضيات ، وعلم الفلك ، وعلم الفيزياء ، وعلم الكيمياء ، وعلم الحياة ، وعلم الاجتماع ، وقد رتب العلوم على هذا النحو عملاً بالمبادئ التالية : وهي مبدأ ازدياد التعميد وتناقص التعميم ، ومبدأ التعلق والاستقلال النسبيين ، ومبدأ النشوء التاريخي ، ومبدأ التعليم . (راجع كتابنا في المنطق ص ١٣٦ - ١٤٠) .

العلوم التطبيقية (Sciences appliquées) - هي العلوم التي تطبق قوانين العلم النظري لبلوغ غايات معينة كعلم الطب وعلم الكهرباء الصناعية وعلم الاقتصاد الزراعي فهي علوم تطبيقية تستمد مبادئها من العلوم النظرية المقابلة لها ، فعلم الطب فرع من علم الحياة ، وعلم الكهرباء الصناعية فرع من علم الفيزياء .

العلوم الإنسانية (Sciences humaines) اصطلاح حديث يطلق على العلوم المسماة بالعلوم المعنوية أو الأخلاقية ، وهي تبحث في أحوال الناس وسلوكهم أفراداً وجماعات . وليس كل علم يت إلى حياة الإنسان بسبب ، علماً إنسانياً ، لأن علم تشريح بدن الإنسان مثلاً ليس قسماً من العلوم الإنسانية وإنما هو قسم من العلوم الحيوية أو الطبيعية .

العلم الأوسط (Science moyenne) - للعلم الإلهي في نظر مولينا (Molina) ثلاثة أقسام وهي العلم بالممكنات ، والعلم بالحوادث الحاضرة ، والعلم بالحوادث الشرطية . أما العلم بالممكنات فهو علم المعقولات ، وأما العلم بالحوادث الحاضرة فهو العلم بالمحسوسات ، وبين هذين العلمين علم شرطي يبحث فيما يمكن أن يحدث من الأشياء عند تحقق بعض الشروط ، ويسمى هذا العلم الشرطي بالعلم الأوسط .

والعلوم القاعدية (Sciences normatives) هي العلوم المؤلفة من أحكام انشائية أي أحكام قيم خاضعة للنقد كعلم الجمال ، وعلم الأخلاق ، وعلم المنطق وغيرها .

والعلوم الخفية (Sciences occultes) هي علم السحر ، والطلسمات ، والنجوم والكيمياء والسيما ، وعلم أسرار الحروف ، وعلم استحضار الأرواح وغيرها .

والملي (Scientifique) هو المنسوب إلى العلم تقول المعرفة العلمية والروح العلمية (Esprit scientifique) ويطلق هذا الاصطلاح الأخير على العقل المنظم الواضح الذي لا يقبل بصدق حكم إلا بعد تحقيقه ، والتدقيق فيه ، وإقامة البرهان عليه .

وفي وسمك إطلاق اسم العلم على علم بمينه أو على مجموع العلوم ، فإذا قلت إن تقدم المجتمع الإنساني رهن بتقدم العلم عنيت بذلك مجموع العلوم ، وإذا قلت إن العلم قد برهن على أن كل نجم ثابت فهو شمس دل لفظ العلم هنا على علم معين وهو علم الفلك .

والعلم في الاصطلاح الحديث ضد الأدب ويطلق على العلوم الصحيحة (Sciences exactes) كالرياضيات والفلك وعلى العلوم الطبيعية كالفيزياء والكيمياء والبيولوجيا ، وهذا الاصطلاح الذي ثبتته أنظمة الجامعات بانقسامها إلى كليات علمية وكليات أدبية لا يخلو من الاضطراب ، لأن بعض الدراسات الإنسانية التي تتم في كليات الآداب كعلم النفس وعلم الاجتماع تريد أن تتصف بصفات العلم الصحيح . وإذا كانت لم تبلغ هذه الغاية حتى الآن ، فرد ذلك إلى حداثة نشأتها . . وقد فرق حكماؤنا في الماضي بين العلم الحسولي والعلم الحضورى . فالحسولي هو حصول صورة الشيء عند المدرك ويسمى انطباعياً والحضورى هو حضور الأشياء أنفسها عند العالم كعلمنا بذواتنا وبالأمر القائمة بها . ومن هذا القبيل علمه تعالى بذاته وبسائر الموجودات . وفرقوا أيضاً بين العلم الفعلي الذي لا يؤخذ عن الغير ، والعلم الانفعالي الذي يؤخذ عن الغير .

وفرقوا أخيراً بين العلم الضرورى وهو ما يحصل من غير فكر وكسب ، والعلم الاكتسابى وهو عقلي وعملي ، فالمعقل هو ما يحصل بالتأمل والنظر ويسمى بالعلم النظرى ، والملي هو ما يحصل بالعمل والتجربة .

العمل

Action	في الفرنسية
Action	في الانكليزية
Actio	في اللاتينية

العمل هو الفعل والمهنة والصنعة تقول عمل عملاً فعل فعلاً عن قصد .
والفرق بين العمل والفعل (Acte) أن العمل أخص والفعل أعم ، لأن
الفعل قد ينسب إلى الجمادات كما في قولنا فعل الطبيعة أو فعل الحرارة ،
أما العمل فلا يطلق إلا على الفعل الذي يكون من العاقل بفكر وروية
وقصد . وهو يحتاج إلى امتداد الزمان أما الفعل فقد يتم دفعة من غير
بطء . ولهذا قرن العمل بالعلم حتى قال بعضهم إنه مقلوب عنه تنبيهاً إلى
أنه من مقتضاه .

وقد يطلق العمل على كل فعل حادث على الفاعل نفسه دون تأثير
خارجي فيعم بهذا المعنى أفعال القلوب والجوارح ، أو يطلق على التأثير
الذي يحدثه الفاعل في غيره ، فاذا نسب العمل إلى الفاعل كان فعلاً ،
وإذا نسب إلى القابل كان انفعالاً . ومعنى ذلك أن الفعل والانفعال اسمان
لملاقة واحدة وإن اختلف معناهما باختلاف نسبتها .

وقد يراد بالعمل الفعل المهني أو الصناعي كقول ابن خلدون : « الأعمال
أصل المكاسب » (المقدمة ص ١٥٠) وقوله : « والممران ووفوره ونفاق
أسواقه إنما هو بالأعمال وسمي الناس في المصالح والمكاسب » (المقدمة
ص ٢٨٧) ، وقوله : « المكاسب إنما هي قيم الأعمال ، فاذا كثرت
الأعمال كثرت قيمها » (المقدمة ص ٣٦٠) وقوله : « فلا بد في الرزق
من سمي وعمل ولو في تناوله وابتغائه من وجوهه » (المقدمة ص ٣٨١) .

وإذا أطلق العمل على النشاط الإنساني دل على الجهد المعنوي أو الأدبي الذي يبذله الفاعل للتغلب على أنانيته .

والفرق بين العمل والفكر أن العمل يدل على النشاط المعنوي من جهة ما هو مجموعة من الملكات ، أو على كل ما يحيط بالفكر من عناصر فاعلة تتقدمه أو تهبطه أو تصحبه أو تحاوزه ، إلا أن العمل متصل بالفكر وإن اختلف عنه . قال ابن خلدون : « أول العمل آخر الفكرة ، وأول الفكرة آخر العمل ، فلا يتم فعل للإنسان في الخارج إلا بالفكر في هذه المرتبات لتوقف بعضها على بعض ثم يشرع في فعلها ، وأول هذا الفكر هو المسبب الآخر ، وهو آخرها في العمل ، وأولها في العمل هو المسبب الأول ، وهو آخرها في الفكر ، ولأجل العثور على هذا الترتيب يحصل الانتظام في الأفعال البشرية ، (المقدمة ، ص ٨٣٩ من طبعة بيروت) ويطلق العمل في علم الميكانيك على حاصل ضرب الطاقة في الزمان ، وفي علم النفس على كل نشاط تلقائي أو مكتسب ذهني أو جسمي ، وفي علم الأخلاق على كل فعل يهدف إلى غاية ويصدر عن إرادة ، وفي علم الاقتصاد على كل مجهود يبذله الإنسان لتحصيل منفعة ، وفي الفن المسرحي على الحادثة التي تدور عليها القصة . والأعمال الأربعة في علم الحساب هي الجمع والطرح والضرب والقسمة .

ومن المبادئ المتعارفة بين العلماء مبدأ الاقتصاد في العمل وهو أن الطبيعة لا تتبع في أفعالها إلا أقصر الطرق وأقربها ، وهي لاتفعل شيئاً عبثاً بل تريد أن تحصل على أكبر النتائج بأقل جهد . قال ابن خلدون : « ان الطبيعة لا تترك أقرب الطرق في أفعالها وترتكب الأعوص والأبعد ، (المقدمة ص ٥٢٩) .

والعملي هو المنسوب إلى العمل وهو ضد النظري . مثال ذلك قول ابن سينا : إن العلم قسمان نظري وعملي ، وقد سمي النظري نظرياً لأن غايته التصوي هي النظر وسمي العملي عملياً لأن غايته هي العمل (ابن سينا) .

وجملة القول إن معنى العمل قريب من معنى الفعل والتأثير والشغل والجهد ، وله ناحيتان إحداهما نسبته إلى الفاعل من جهة شعوره الداخلي بالجهد ، والثانية نسبته إلى الحركات الخارجية من جهة ما هي مظاهر لذلك الجهد . وإذا نسبته مجازاً إلى أفعال الطبيعة كعمل الماء في النار أو عمل الحرارة في الأجسام ، تخيلت أنه أشبه شيء بجهد يبذله الشيء للتأثير في غيره . ذلك معنى قولهم : إن لكل شيء في الطبيعة عملاً ، وإن ما لا يعمل لا بقاء له . وذلك أيضاً معنى قول (فاوست) في البدء كان العمل . وفي هذا القول الأخير إشارة إلى أزلية الصيرورة من جهة ما هي حالة للأشياء ناشئة عن أسباب كامنة فيها ، كما أن فيه تنبيهاً إلى تقدم اللاعقلي على العقلي وإلى اتصاف جميع الكائنات بأحوال تتضمن بذل جهد شبيه بالجهد الذي تشعر به في داخلنا .

وفلسفة العمل (Philosophie de l'action) مقابلة لفلسفة النظر . والمقصود بالعمل في هذه الفلسفة ، كل نشاط انساني مشتمل على الفكر والإرادة والتحقيق الفعلي وكل فلسفة تقدم العمل على النظر ، أو تربط أحدهما بالآخر كالبرغماتية والادائية أو الذرائعية فهي فلسفة عملية .

وتطلق فلسفة العمل أيضاً على فلسفة (موريس بلوندل) المشتملة على توضيح علاقتين إحداهما علاقة النظر بالعمل ، والأخرى علاقة العلم بالإيمان . والفلسفة بالدين .

(راجع كتاب موريس بلوندل . Maurice Blondel : L'action 1893) .

العموم

Généralité في الفرنسية

Generality في الانكليزية

العموم ضد الخصوص ، وهو صفة المعنى العام من حيث شموله لجميع الأفراد . قال ابن مينا : « لو كانت الحيوانية توجب أن لا يقال عليها عموم أو خصوص لم يكن حيوان خاص أو حيوان عام » (الشفاء ، ص ٤٨٧ - ٤٨٨) .

والعموم عندنا معنيان أحدهما مجرد والآخر مشخص .

فالعموم بالمعنى المجرد صفة العام من حيث شموله لجميع الأفراد المستغرقة فيه ، وهو مساوق لمعنى الضرورة ، لأن ضرورة المفهوم ملازمة لعمومه ، كما أن عمومه ملازم لضرورته . ولا يختلفان إلا في أن معنى الضرورة يتضمن معنى العموم على حين أن معنى العموم يقتضي وجود الضرورة ولا يتضمنها .

والعموم بالمعنى الشخص أو العيني يشمل جميع الأفراد في صف معين أو أكبر عدد منهم كقولنا عموم التلاميذ أو عموم السكان .

العمى

Cécité في الفرنسية

Blindness في الانكليزية

العمى في اللغة عدم البصر عما من شأنه أن يكون بصيراً ، فالحجر مثلاً لا يتصف بالعمى لأنه ليس من شأنه أن يبصر . وقد يطلق العمى على غير البصرات فيقال عمى العقل وعمى القلب .

فالمصاب بمعنى العقل (Cécité mentale) لا يفقد بصره بل يفقد معرفة الأشياء المدركة بالحس ، وإن كانت مألوقة لديه .
والمصاب بالمعنى اللفظي (Cécité verbale) يرى الكلمات المكتوبة وبقراءتها ولكنه لا يفهم معانيها .
والمصاب بالمعنى الخلقي (Cécité morale) لا يفرق بين الخير والشر .
وعمي الألوان (Achromatopsie) قسمان كلي وجزئي . فالكلي (Cécité chromatique) هو العجز عن إدراك لون بعينه أو عن تمييز ذلك اللون من غيره .
ويطلق على العجز عن إدراك الفرق بين الأحمر والأخضر اسم الدلتونية (Daltonisme) نسبة إلى ج . دلتون (J. Dalton) الذي كان أول من أشار إلى هذه الظاهرة .

العناية

Providence	في الفرنسية
Providence	في الانكليزية
Providentia	في اللاتينية

العناية هي علم الله بما ينبغي أن يكون عليه الوجود حتى يكون على أحسن النظام وأكمله . وهي عند الحكماء مبدأ لفيضان الموجودات من حيث جعلتها على أحسن الوجوه وأكملها . قال ابن سينا : « العناية هي كون الأول عالماً لذاته بما عليه الوجود من نظام الخير . وعلة لذاته للخير والكمال بحسب الإمكان وراضياً به على النحو المذكور فيمقل نظام الخير على م (٤)

الوجه الأبلغ في الامكان فيفيض ما يعقله نظاماً ما وخيراً على الوجه الأبلغ الذي يعقله فيضاً على أتم تأدية إلى النظام بحسب الاسكان ، (النجاة ، ص ٤٦٦) .

والفرق بين العناية والقضاء والقدر أن القضاء هو وجود جميع الموجودات في العالم العقلي مجتمعة وبجملة على سبيل الإبداع ، على حين أن القدر هو وجودها الخارجي في الأعيان مفصلة واحداً بعد واحد ، أما العناية فهي علم الله بالموجودات على أحسن النظام والترتيب ، وعلى كل ما يجب أن يكون لكل موجود من الآلات بحيث ترتب عليها جميع الكمالات المطلوبة منه . ومعنى ذلك أن في مفهوم العناية تفصيلاً ، إذ هي تعلق العلم بالوجه الأصح والنظام الأكمل بخلاف القضاء فإنه العلم بالموجودات جملة .

والخلاصة أن العناية هي إحاطة علم الله بالكل ، وبالواجب أن يكون عليه الكل حتى يكون كل شيء على أحسن نظام يحقق به غايته . فإذا كان العالم خاضعاً لنظام ثابت ، وكان لهذا النظام قوانين أرادها الله لخبرته نتائجها كانت العناية عامة . وإذا كان الله يتدخل في شؤون العالم تدخلاً شبيهاً بتدخل الإنسان في مجرى الحوادث كانت العناية خاصة . قال مالبرانش : إن عناية الله قسمان ، أحدهما أن الله لما خلق للعالم وبدأ بتحريك المادة أجرى إرادته بأن لا يكون في الطبيعة وفي تعلقها بنعمته أقل خلل ممكن . والآخر أنه كلما شاهد في نظام الطبيعة خللاً أصلحه بمجزاته شريطة أن يؤدي ذلك إلى تحقيق النظام المطلوب . لأن النظام عند الله قانون كلي لا يتخلى عنه أبداً .

العنصر

Elément في الفرنسية

Element في الانكليزية

Elementum في اللاتينية

العنصر في اللغة الأصل والجنس ، يقال فلان كريم العنصر ، وفلان من الآري والسامي . وجمعه عناصر ، وتسمى أيضاً بالأمهات والمواد والأركان والاسطقسات . قال ابن سينا : « العنصر اسم للأصل الأول في الموضوعات فيقال عنصر للحمل الأول الذي باستحالته يقبل صوراً تتنوع به الكائنات » (رسالة الحدود) ، وعنصر الجسم عندهما المادة والصورة . وقال الخوارزمي : « الأسطقس هو الشيء البسيط الذي منه يتركب المركب كالحجارة والقراميد والجذوع التي يتركب منها القصر ، والحروف التي يتركب منها الكلام ، وكالواحد الذي يتركب منه العدد » (مفاتيح العلوم ص ٨٢) .

ومعنى ذلك كله أن عناصر الأشياء أجزاءها البسيطة ، وعناصر اللغة ألفاظها ، وعناصر المعرفة مبادئها ، وعناصر المثلث خطوطه وزواياه ، وعناصر المجتمع أفراده .

ويطلق العنصر في الكيمياء على المادة الأولية التي لا يمكن تحليلها إلى ما هو أبسط منها ، إما نسبياً وإما مطلقاً . فالذرة في الكيمياء عنصر بسيط ولكنها في الفيزياء الذرية شيء مركب ، وكل ما يدخل في تركيب الشيء فهو عنصر له كالهيدروجين والأكسجين في تكوين الماء ، والأفكار في إنشاء المقال ، والأجزاء في تركيب الآلة ، والكتائب في تأليف الجيش .

والعناصر عند القدماء أربعة وهي النار ، والهواء ، والماء ، والتراب .
وعنصر القضية عند المنطقيين هو الكيفية الثابتة للنسبة بين طرفيها
وتسمى مادة القضية .

العين والعيني

Concret	في الفرنسية
Concrete	في الانكليزية
Concretus	في اللاتينية

العين ما يدرك بأحدى الحواس الظاهرة أو بالخيال ويسمى بالصورة
أيضاً ، ويطلق على ما قام بنفسه جوهرأ كان أو جسمأ ، ويقابله المعنى
وهو ما قام بالغير كالأعراض والوجود العيني هو الوجود الخارجي المقابل
للوجود الذهني ، والأعيان الثابتة هي صور العالم .

واسم العين هو الاسم الدال على معنى يقوم بنفسه كزيد ، واسم المعنى
هو الاسم الدال على معنى لا يقوم بنفسه وجودياً كان كالعالم أو عديمأ
كالجهل . وقد يراد باسم المعنى مادل على شيء باعتبار معنى صفته سواء كان
قائماً بنفسه أو بغيره كالمكتوب والمضمر . والعيني هو الشخص الذي يدل
على الظواهر الجزئية مرئية كانت أو مسموعة ، والعيني أيضاً هو الذي
يصور المعاني العامة بأمثلة محسوسة . فإذا صورت الفضائل بالأمثلة الحسية
كان تعليمك للأخلاق عينياً مشخفاً ، وإذا استخرجت الفضائل من المبادئ
العامة كان تعليمك مجرداً .

والعيني مادل على الشاخص ، أي على الموجود بالفعل لاعلى كيفية من
كيفيةه فقط ، وهو ضد المجرد ، وفيما يلي أمثلة من أسماء المين
والأسماء المجردة .

الأسماء المجردة

الوجود
الإنسانية
الحكمة
البياض

أسماء المين

الموجود
الإنسان
الحكيم
الأيض

والوجود في الأعيان مقابل للوجود في الأذهان .

جميل صليبا

(يتبع)



الثقافة الإسلامية بالمغرب

بين المرابطين والموحدين

كان الشرق الإسلامي في عنفوان ازدهاره ، وريمان إشراقه ، بالحكمة الدينية الطيبة الثرى ، الراسخة الأعراق ، الملتقطة الأغصان ، التي أثمر في روضتها اليانعة : المنطق ، والكلام ، وأصول الفقه ، والجهد ، والفقه ، والتصوف .

وكان العقل الإسلامي قد اقتدى بالإمام الغزالي وسار على محجة التطور البعيدة المراحل ، وراء تلك الشعلة الوضاعة من المعرفة والرشاد .
لما كانت بلاد المغرب العربي ، من أقصى الأندلس إلى افريقية ، قد وقعت في أزمة خانقة من أزمات العقل والمعرفة ، بظهور قوة ناشئة خرجت من وسط افريقية ، مندفعة بحرارة إيمانها ، تقطع رمال الصحراء الكبرى إلى ضفة وادي درعة ، ووحدات سجلماسة ، فاذا وهاد المغرب ونجاده تقبل بأعناق المهابري الصهب ، قد تمكنت من غواربها أجسام بشرية ملتحفة الأثواب الزرق ، ومتلثمة بها ، يلين الحديد ولا تلين ، وتخبو النار ولا تنطفئ حرارة تلك النظرات المتقدمة بين أطباق الشام .

أولئك هم المرابطون الذين انبعثوا ينشئون عاصمة المغرب الجديدة : مدينة مراکش ، ويمدون رواق سلطانها على طول المدوة الافريقية ببلاد المغرب ، ثم يرمون بجبل النجاة إلى المدوة الأندلسية ، في يوم التلاقاة العظيم ، تقوم الشوكة وتحمي الدولة تحت ظل أمير المسلمين يوسف بن تاشفين .

كانت هذه الحركة رشيدة في الحكم ، سديدة في السياسة ، منقذة للإسلام من الخطر الذي داهمه في بلاد الأندلس ، ولكنها كانت سلطة قوية ، وإيماناً نقياً ، يشد السواعد ، ويقوي النفوس ، من قوم بعداء عن الحضارة والعلم ، متجافين عن النظر الحكيم العميق ، متمسكين بالفطر الأولى ، مقنعين بنتائج الأنظار الساذجة .

فكان من أثر ذلك أنهم لما وجدوا في أقطار المغرب العربي التي انتظمت في سلطانهم ، وجدوا تبايناً في الأنظار ، وتخالفاً في المذاهب بين الجانبين إلى شواهد الحكمة النظرية ، والمخيلين إلى بسائط الظاهر المأثور ، ووجدوا آثار ذلك الاختلاف بادية في طرائق الدرس والتأليف ، ومناهج التربية والتعلم . فكان من الضروري أن ميلهم يتجه إلى مساندة أبسط المناهج وأقربها من متناول إدراكهم ، وانهم إذا وجدوا الاختلاف راجعاً إلى الدين وطرائق فهمه ، بادروا بيساطتهم إلى الإسراع بالحكم بأن الذي انشرفت إليه صدورهم من ذلك هو الدين فقط ، وبادروا - بما هم عليه من حرارة الإيمان - بأن ما خالف ذلك جدير بالدحض والمقاومة ، وإن ينزل بمن يقول به ما هو أهله من مقت وعذاب .

وعلى ذلك وجد المرابطون في مدينة قرطبة نزعة تقليدية التزامية ضيقة ، طالما فاءت بكلكتها على أهل البحث والنظر ، وأحرقت مواهب العلم الحق ، والفقه الصحيح ، إذ سارت على طريقة التقليد ، بحيث أصبح عمل المقلدين حجة لا يلتفت بعدها إلى كلام أئمتهم الأولين ، وهذه هي النزعة التي شكها منها القاضي أبو بكر ابن العربي في كتاب العواصم بثه وحزنه مما لقي تبعاء العلم بالأندلس من عنت أهل قرطبة ، قال : « صار التقليد ديدنهم والافتداء بنيتهم فكلما جاء أحدهم بعلم حقروا أمره ودفموا في صدره إلا أن يستتر عنهم بالمالكية ، ويجعل ما عندهم من علوم على وهم التبعية ، فإن

جاءهم بفائدة في الدين وطريقة من سلف الصالحين وسرد لهم البراهين عرفوا جوانبه ونتجوا عجائبه ، وعيوا حقه استكباراً وعتواً ، وجحدوا علمه وقد استيقنته أنفسهم ظلاماً وعلواً ، وقد زاد في تأصيل هذه الحالة وإحكامها العملية الكبرى التي كان قام بها ، منذ القرن السابع ، الحاجب المنصور ابن أبي عامر بقرطبة عند موت الخليفة المستنصر الحكم بن عبد الرحمن الأموي وولاية ابنه هشام المؤيد ، فانه عمد إلى خزائن المستنصر وأخرج منها كل ما كان استجلبه من المشرق من عيون التأليف في العلوم الحكيمة ، قديمة وحديثة ، فأمر بإحراقها وإهلاكها ، وقد وصف صورة ذلك القاضي صاعد في كتاب طبقات الأمم وقال : إن المنصور إنما فعل ذلك تحيياً إلى عوام الأندلس وتقبيحاً لمذهب الخليفة الحكم عندهم .

وقد استمرت هذه النزعة الغريبة المستولية على مدينة قرطبة زداد ضيقاً وحدة وعنفاً ، وتمصففتها على التوالي بأعلام بارزين في غزارة العلم ومتانة الدين ، حتى دخل يوسف بن تاشفين إلى قرطبة ، فتجانت زعته الشخصية مع تلك النزعة ، واشتد تأثيره بها ، وعظمت ثقته على الذين لا يتولونها ، ولا يسلكون سبيلها ، فأصبح سلطانه ناراً مسعرة على أهل البحث والاجتهاد في الفقه ، وسيفاً قاطعاً للمشتغلين بالكلام والحكمة ، فحجر بذلك النظر في الأصول ، وتمسك الناس بظواهر العقيدة السلفية ، والتزموا في الفقه النصوص الفرعية ، وتجاؤا عن طرق التخريج في الفقه والتأويل في العقيدة .

وتفاقم أمر هذا التضييق بعد وفاة يوسف بن تاشفين في عهد ابنه علي الذي ولي عرش مراکش في نهاية القرن الخامس فكان في عهده الضغط الذي تعدى إلى درجة النقي ، والاعتدال ، ونهب المنازل ، وإثارة المظاهرات الصاخبة ، ومصادرة الكتب ، وإحراقها ، وتمزيقها .

ولقد أحس علي بن يوسف والذين تظاهروا معه على ما كان بضطلع به من قتل للنبوغ العلمي : ان تلك الحركة التي ظهرت بالشرق فألفت بين الحكمة والدين حتى أخرجت شطأها في كتب حجة الإسلام الغزالي هي التي تمد روح التحرر الفكري بالأندلس بمادة انتعاشه ، وترش من ماء العلم على تلك القلوب الميتة ، كما قال ابن العربي ، فعرفوا أن في كتب الغزالي حجة لا تدحض على ما كانوا يغالبون في سبيل دحضه من الجمع بين الحكمة والشريعة والحقيقة لمن أخذ بمعاهد العلوم من أعلاها ، فتأمرُوا على أن يحولوا بين كتب الغزالي وبين الناس ، إذ لا يمكن أن يدفع تأثيرها غير ذلك كما قال البحري :

شجو حساده وغيظ عداه أن يرى مبصر ويسمع واع حتى بلغ الأمر إلى أن أقيم مجمع بقرطبة لإحراق كتاب الإحياء للغزالي ، وصدرت الأوامر إلى أطراف السلطنة المرابطية بإحراقه ، واعتقل في مراکش من كان يتوسّم فيه إنكار تلك الفعلة من أنصار العقيدة الأشعرية ، وأتباع الطريقة الغزالية القشيرية : مثل ابن العريف الذي مات أسيراً في مراکش ، كان هذا الضغط البالغ القاسي يجد في وجهه إنكاراً أبلغ ، وتحدياً أقسى ، إذ كانت المدارك العالمية الواسعة والأفكار الفيرة قد تشربت عقيدة الأشعرية ودرجت على نهجها ، وانتخدت كتب الغزالي دليلها على ذلك النهج ، وطار صيت الغزالي إلى المغرب ، فارتفع وعشش ووجد نابغة البلاد التونسية ومجتهد المذهب المالكي ومجدّده الإمام أبا عبد الله محمداً المازري يحميه مقامه تحت الحكم الصنهاجي بتونس ، من طائفة المرابطين وغائلتهم فوجدوا فيه أخاً معاوناً على خدمة الأشعرية ، ومشاركاً في الارتواء من منهل إمام الحرمين ، فقد أقبل المازري على كتب إمام الحرمين والغزالي في أصول الفقه ، يقرّها ويملّق عليها بما هي أهله ، وكتب على كتاب البرهان لإمام الحرمين شرحين

أحدهما بتتبع النص والآخر بمسيرة المعنى ، يذكر فيها الغزالي ذكرًا مرددًا مع ذكر القاضي أبي بكر الباقلاني والأستاذ أبي اسحاق الاسفرايني ، ويكثر من قرن الغزالي بإمام الحرمين معبراً عنه بكنيته « أبو حامد » ومخصصاً لإمام الحرمين بلقب « الإمام » ومنتصباً لتفريز كلام الغزالي وتوجيهه ، كانتصابه لتقرير كلام إمام الحرمين في ما يختلف فيه إمام الحرمين عن الغزالي من تفاريق المسالك ، وبهذه الدراسة الأصولية تمكّن المازري من تحرر واسع في تقرير الأحكام الفقهية على منهج اجتهادي هو منهج الاختيار والترجيح الذي جعل أعلام طريقته فيه شيخه : أبا الحسن اللخمي ، وعبد الحميد الصائغ ، فكان هذا التجاوب بين الغزالي والمازري من أقوى العوامل في الخروج بمقام الغزالي عن الدائرة المذهبية الضيقة ، إلى دائرة الحكمة الإسلامية المشاعة ، وكان هذا الصيت الذي طار له بالمغرب على لسان الإمام المازري ، قد طار نحو الغزالي بقلوب الشبان النابغين من أبناء المغرب الكبير المتطلعين إلى أرواح الحكمة السامية المنبعثة من بين أurdانه فهجروا أوطانهم وشدوا الرحلة للقاء حجة الإسلام .

وكان في مقدمة هؤلاء النوابغ الإمام الشهير الحافظ القاضي أبو بكر ابن العربي الذي كانت رحلته مبدأ فتح فكري ، والإمام المهدي محمد بن تومرت التي كانت رحلته مبدأ فتح سياسي .

كان أبو بكر ابن العربي برماً بالوضع الذي عليه العلوم الدينية في الأندلس ، متطلماً إلى منبع الحكمة الأشعرية ، مشوقاً إلى لقاء الغزالي ، فسافر مع والده سنة ٤٨٥ هـ . في مستقبل شبابه وقصد المدرسة النظامية ببغداد ، إلا أنه وجد الغزالي قد انقطع عن الدرس والعلم وأقبل على طريقة الرياضة الصوفية والخلوة والسياسة ، وخرج من بغداد إلى الحج ، ثم إلى الشام ومصر . فأقام ابن العربي في بغداد خمس سنين متحرراً على أنه لم يظفر

بطلبه في لقاء الفزالي ، مستوحشاً من ذلك الفراغ الذي خلفه وراءه في بغداد ، والحسرة التي سادت بسبب ذلك ساحات المدرسة النظامية وعامة أوساط العلم في بغداد حتى كان من عجائب الأقدار أن الفزالي دخل إلى بغداد في سنة ٤٩٠ هـ . في طريق عودته من الشام إلى إيران ، فأقبل عليه ابن العربي إقبال المشوق اللفان ، وتلقاه الفزالي بقبول طيب ، وتفرغ له بصفة خاصة ، فقرأ عليه محاوره ومناقشة ، وتمكنت منزلته العلمية من نفسه ، واطمأن إلى طريقته الحكيمة الدينية ، وكان يلقبه تودداً وتحيياً بلقب تعظيم فارسي هو لقب «ذانشمند» .

وعاد ابن العربي إلى الأندلس يهاجم وينظر ويفيض غيوث الأنظار العالمية محاضرة ، وتدرّسا ، وتحريراً ، وينقح الفقه المالكي بتحقيقه لمناط الأحكام ، ونظره في أدلتها ، ونقضه على الفقهاء ما كان يفتون به تقليداً أو عن ضعف دليل ، فملاً كتبه النفيسة العجيبة بذكر الفزالي ، والتعلق بمتين محبته ، وجيل إعظامه ، والتلذذ باعادة محاوراته ، وتجديد مطارحاته ، ومقابساته ، مع أن ما تشربه من حرية البحث وكرامة المعرفة ، كان يدفع به إلى مناقشة أستاذه وحبيه ذانشمند في كثير من أقواله وآرائه ، مثل بحوثه المستفيضة معه في كتاب «المواصم من القواصم» حول مسألة إدراك النفوس بذاتها للحقائق بطريق الانكشاف وتأثيرها في الغير عند التجرد ، ولم يسلم ابن العربي ممّا أصاب أسلافه من فحول العلماء من الحن ، فقد استهدف فتناً كثيرة ، وثورات عليه هوجاء ، نهب فيها منزله ، وأحرقت كتبه ، حتى انتهى أمر المرابطين بظهور الدعوة الموحدية التي أسسها المهدي ابن قورمت ثاني الاثنين الذين جعلناهما على رأس الراحلين من المغرب للقاء الفزالي ، وكأن الأقدار أرجعت المهدي إلى المغرب ليثار للفزالي من الذين أرادوا إنكار فضله ، وغمط حقه ، بإخراق كتاب الإحياء ، وهم المرابطون ،

فكانت دعوة المهدي بن تومرت عاملاً في إقامة دولة الموحدين التي أسقطت دولة المرابطين وورثت عاصمتها ، فأقامت على مبادئ الأشعري وطرائق الغزالي ، أقوى دولة عرفها تاريخ الإسلام في المغرب على يد عبد المؤمن بن علي ، ولم تنته حياة ابن العربي حتى اشترك في إقامة تلك الدعوة ، وقصد من إشبيلية إلى مراكش ليقف بين يدي عبد المؤمن خطيباً بلسان أهل إشبيلية ، وكأنه قنع من الدنيا ببلوغ ذلك الموقف فكانت وفاته في طريق عودته من مراكش قرب مدينة فاس التي دفن أمام سورها .

كان المجتمع الإسلامي بالمغرب العربي قد أحس بوطأة الضغط الشديد الذي ضيق عليه الأنفاس في ما أحاطت به من هيكلي جسمه قبضة حكم المرابطين .

وكانت الأعضاء التي خرجت عن تلك القبضة الحديدية الخائفة وهي البلاد الشرقية في الشمال الإفريقي تتداعى ألماً وغماً من ألم الضغط النازل على سائر الأعضاء التي كانت يد المرابطين تمصها عصب السلمة وكان هذا الألم يقوى وبشدة عندما تشعر المناطق الغربية من هذا الشمال الإفريقي بأن حكم أهل الشام قد أقام بينهم وبين بقية بلاد المغرب العربي سدوداً حاجزة ، فكثرت الأوصال ، وقطعت الأرحام ، وجعلت الفرقة سارية في روح الوحدة القومية الكبرى ، لما تجاوزت بها حدود الفواصل السياسية وأوضاع الدول ، إلى مفاوز الفروق الاعتقادية والمنازعات الدينية .

على أن ما كان للمرابطين من عمل سياسي مجيد في إقصاء الأندلس وتوحيدها وضماها إلى مملكة الإسلام في المغرب الإفريقي ، وإن أكسب تلك الدولة قوة نفوذ وحسن قبول ، فقد زاد في الحسرة التي امتلكت القلوب من جراء الفتنة الاعتقادية التي أبعدت المجتمع عن تحقيق مثله العليا على نسبه ما قربت آماله في تحقيق تلك المثل بانضمام الأندلس .

فالحركة الفكرية الناشطة في البلاد التونسية ، بتواصلها مع مراكز الثقافة الإسلامية في الشرق ، وبعد صيت محورها الإمام المازري وخصب نتاجه العلمي المنافي لاتجاهات الحكم المرابطي ، كانت بذلك كله مدداً مغذياً لروح الصلابة في التجاني عن طرائق العقائد المرابطة وجسراً مذكياً لروح التمرد عليهم والثورة في وجوههم ، فكانت خلق العلم منابع فياضة بالتوجيه إلى العمل الإيجابي في سبيل حماية الحرية الدينية والحفاظ على شعلة الحكمة الكلامية العالية التي كادت حركة المرابطين أن تطفئ فورها ، عمّ ذلك جميع البلاد التي انتظمت في حكم المرابطين بالأندلس والمغرب الأقصى والبلاد الجزائرية ، فكان الناس يشدّون الرحلة من تلك الأقطار مترامين على محالس دروس الإمام المازري بالمهدية ، مثل ما جاء أبو بكر ابن العربي ، وعبد المنعم ابن الفرس ، وأعلام من نبغاء الفكر والأدب ، علاوة على الذين لم يتمكنوا من الرحلة فقفنوا بالاتصال بالإمام المازري بطريق المراسلة ، يستجيزونه ، ويطلبون كتبه ، ويستمتطرون من فوائده ، ويطارحونه المسائل ، كما فعل ذلك القاضي عياض وابن رشد الحفيد ، وبمثل ذلك علانجم المازري في أفق المغرب كله بين عدوتيه الأفريقية والأوربية حتى عرف « الإمام » لقباً غالباً عليه فكان اسمه واسم الغزالي اسمين مقترنين تتعلق بهما أنظار المستهدين على طريق الحكمة الإسلامية ، كما يهتدى بالفرقدين .

وكان من عجيب القرانات إن إشراق هذين الكوكبين في سماء الفكر يقابله أفول طامس اعتري نجم الحكم المرابطي بدخول الدولة في دور الوجود الأجذب ، لما فارقت نشأتها الساذجة ، وطلعتها الحادة ، وأخذت إلى النعمة والترف ، والبذخ واللذة ، فأضاعت شبابها لما أضاعت عصبيتها الدينية الصلبة الطاهرة ، وأقبلت على الهرم المضي ، والشيخوخة الفانية ، وتجرّدت عن محاسنها ، وتمحضت لمساوئها ، وتشرب منها المجتمع روح الانحلال فانتشرت فيه المفاسد وسادت الشهوات وسيطرت الأنانية .

وكان هذا القرآن العجيب ، بين نجم صاعد ونجم آفل ، قراناً لا يدرك بالتنجيم والخزاء ، بل يدرك بالذكاء والدهاء ، والفطرة السليمة ، والسياسة القويمة ، وذلك هو ما أعطيه شاب من قبائل المصامدة ، سكّان الأطلس الكبير ، كان يشرف من صياصي الجبال الشم على مدينة مراكش فيتوسم فيها ما حدثته به النفس التواقّة من أن يوماً قريباً سيأتي على المدينة الحمراء تبكي فيه من بناها ذلك هو محمد بن تومرت ، نشأ في بيت بربري من بيوت الرباط والنسك ، فشبّ قارئاً ، محباً للعلم ، متشرباً بروح الثقافة العربية الإسلامية ، وكان هذا العنصر البربري الجلي الذي ينتسب إليه ابن تومرت يشمر بمسكاته العظيمة من الأرض التي استقرت فيها دولة المرابطين ، ويدرك شأنه العظيم في إسناد تلك الدولة بمسالتها وتأمينها ، ويعلم ، إلى جنب ذلك ، أن دولة الملثمين لا تؤقّي إلاّ من جهة ذلك التيار الديني القوي الذي تريد أن تدافع سيوله ، تيار العقيدة السنيّة التي عليها انخلف من أجيال المسلمين الصالحين ، وحيك في نفسه هذا التوقع لقرب مصرع الدولة الممتونية ، فأصبح مرتبطاً بذاتيته حتّى اقترن بها وتقمّصها ، وأصبح محمد ابن تومرت في نظر نفسه هو روح الفناء المنبعثة على دولة المرابطين ، وأحسّ بأن كل عمل في سبيل تكوين شخصيته وإغنائها ، وتربية كيائها الأدبي ، هو سلوك لطريق القضاء على الملثمين ، واستشرف بنظره إلى الجهة التي كان يتنسم منها أنفاس المقاومة المستمدة من توجيه الحكمة الإسلامية الجديدة ، فخرج من وطنه وليس أمام عينيه إلاّ المازري والغزالي ، ودخل البلاد التونسية ، ثمّ قصد مصر ، والحرمين الشريفين ، والعراق ، وكانت العراق يومئذٍ مركز الحركة الحكيمة التي اتجه بها الإسلام وجهته الجديدة ويذكر الكثيرون ممّن ترجعوا ابن تومرت : أنه لقي الإمام المازري بالمهديّة ، ولقي الإمام الغزالي في بغداد ، وقد ذهب الزاعمون في اجتماعه بالغزالي إلى أبعد

من ذلك ، إغراقاً في الوهم ، فجعلوا الفزالي يخبره من مستقبل أمره بعلم خفي ، ويخبره بالدولة التي سيقمها ، وكل هذه أخبار واهية لا دليل عليها ، بل الذي يقتضيه ما ذكره المؤرخون ، من تاريخ دخول ابن تومرت إلى العراق : أنه لم يلق الفزالي أبداً ، لأن الفزالي لم يكن يومئذ بالعراق بل إن أكثر مدّة إقامة ابن تومرت بالمشرق كانت بعد وفاة الفزالي .

ولكن الأمر الثابت : أن هذا المبقرى البربري قد تشرب في رحلته المشرقية الحكمة الأشعرية ، وتعلّق بها ، لما كان لها من الانسجام مع تطلعه إلى قوّة تؤثر في تقويض ملك المرابطين ، فجعل التعلق بالأشعرية والانتصار لها درعاً استلّام فيها لمهاجمة قرنه وجعل المهدوية السيف الذي يحمل به ، ومواء أصبح لقاء ابن تومرت للفزالي أم لم يصحّ فما من شكّ في أن ابن تومرت كان على منهج الفزالي وأنه قد وجه دعوته وعمله على ذلك المنهج .

إلا أن الذي رجّح في نظرنا أن الأشعرية والفزالية لم يكونا عنده غاية مقصودة بالخدمة والنصرة وإنما كانتا وسيلة لتحقيق مقصد سياسي ، إنه قد انتحل ، إلى جنب أشعريته ، عقيدة يشكرها الأشاعرة ويدحضونها ، كما يشكرها أهل السنّة قاطبة وهي عقيدة الإمام المعصوم ، التي يقول بها الشيعة الإمامية ، وتلك هي التي قال فيها ابن خلدون : إنه لم تحفظ عنه فلتة في البدعة غيرها .

ومن هنا نستطيع أن نتبع مراحل الحرب الفكرية الاعتقادية التي شنّها محمد بن تومرت على دولة المرابطين ، حتى انتهت إلى حرب دامية ، قضت على المرابطين ، وعفت آثارهم في ميداني الحكم والعلم .

فقد ابتداءً ابن تومرت ظهوره في البلاد المغربية من ليبيا ، وكان ظهوره ذلك في صورة عالم منسني أشعري ينتصر للعقائد السلفية بالحجج العقلية ، ويأخذ بطريقة تأويل المتشابه ، ويعتني بإبراز هذه الطريقة وإظهار النكير على الذين عدلوا عنها ، ويجنح مع ذلك إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ويقدم على تغيير المنكرات التي كانت متفشية يومئذ في المجتمع المغربي ، فكان بهذا العمل يثير الثائرات ويتعرض للأذى . وتنقل على هذا المسلك من طرابلس إلى المهديّة ، إلى بجاية إلى جبال الوشريس ، إلى تلمسان ، إلى فاس ، إلى مكناس ، إلى مراكش ، عاصمة الدولة ، وكان ملكها يومئذ علي بن يوسف ، وفي هذه الرحلة لقي ببجاية أول أتباعه عبد المؤمن بن علي الكومي ، فلامه في بقيتها إلى مراكش ، وفي مراكش ابتدأت مقارعات ابن تومرت ومناظراته ، وفيها تهجّم لأول مرّة على الأمير علي بن يوسف ابن تاشفين بوعظ في جامع المرابطين ، يوم الجمعة ، أغلظ له فيه القول ، ثم خرج إلى أغمات وجرت له فيها مناظرات خرج بعدها مختفياً في خفارة القبائل البربرية في جبال الأطلس ، ثم قصد بلاد السوس فنزل في قبيلته هرغة سنة ٥١٥ هـ وبني هنالك رباطاً للعبادة والتعليم ، وألف مختصراً في العقيدة سماه « المرشدة » جعله باللسانين العربي والبربري ، وأخذ يعلّمه الناس عامة وخاصة : من طلبة رباطه ، وعامة القبائل في أرض السوس ، ولقّب أتباعه الموحّدين ، وتلقّب بينهم بـ « الإمام » وسار في تأليف تلك الجماعة وتوجيهها على التدرج في الدعوة والتعليم للوصول إلى الغاية المقصودة ، على نحو ما هو مسلك عند دعاة الشيعة الباطنية من ترتيب الدعوة ومنازلها .

ولمّا لاحظ ابن تومرت أن الدعوة المرابطية السلفية قد أقنعت الناس بوجوب اتباع السنة وتحصيل الأحكام الفقهية منها ، فقد بنى ترتيب دعوته على بيان طريق تحصيل الفقه في السنة فبسط في ذلك كلاماً أوله « أعزّ

ما يطلب وأفضل ما يكتسب وأنفس ما يدخر وأحسن ما يعمل العلم الذي جعله الله سبب الهداية إلى كل خير ، وقد اشتهر هذا الكتاب باسم مفتحه وهو قوله « أعز ما يطلب » فصار لقباً عليه ، وقد بني هذا الكتاب على مباحث : ترجع إلى الأخبار ، وطرق النقل ، والفرق بين التواتر وأخبار الآحاد ، بصورة عليها سمة من طرائق الأصوليين من الأشاعرة ، في الفكرة والمرض والمصطلح ، ثم عقد كتاباً خاصاً للصلاة والطهارة جعل مداره على استخراج الفقه من الأحاديث وتنزيل نصوص القرآن ، ثم كتاباً في الدليل على أن الشريعة لا تثبت بالعقل يبين فيه معنى القياس باعتباره راجعاً إلى دلالة اللفظ ، ثم يأتي كتاب آخر للكلام على مباحث الألفاظ ، من العموم والخصوص ، والمطلق والمقيد ، والناسخ والمنسوخ ، والحقيقة والمجاز ، وغيرها ، على طريقة علماء الأصول ، فعندما يطمئن أنه قد ربط المتلقين بتوجيهات علم أصول الفقه ، يتبدى كتاباً للكلام على العلم وطرق تحصيله ، ثم آخر للكلام على المعلومات وأقسامها ، وآخر للكلام على الوجود وتقسيمه ، لإثبات واجب الوجود على طريقة علماء الكلام حيث يتدرج من السنة الأثرية إلى الكلام المنطقي بصورة غير مشعور بها ، ثم يختم ببيان معنى العبادة وشروطها وكيفية ربط التكاليف العملية بالأصول الاعتقادية ، وتعليم من هم مظنة السؤال عن ذلك طرق الإرشاد واختلاف أحوال المسترشدين ، ومن هذا كله ينتظم كتاب الدعوة الموحّدية المشهور باسم « أعز ما يطلب » ، وإن كان مفصلاً على كتب مفتحة ومختوم كل كتاب منها بما يؤم أنه تأليف مستقل ، على طريقة المتقدمين في تقسيم التأليف الواحد إلى كتب مستقل بعضها عن بعض ، ويعتبر هذا التأليف وهو « أعز ما يطلب » ثاني تأليف ابن تومرت بعد « المرشدة » .

م (٥)

وله كتاب ثالث هو كتاب العقيدة وهو سالك مسلك كتب العقائد الأشعرية المتأثرة نهج كتاب التمهيد لأبي بكر الباقلاني ، مع اختصار وجنوح إلى الرواية ، ويتبع كتاب العقيدة تسليحاً للتذكير بقواعد التوحيد والتزكية ، وبعد ذلك يأتي كتاب رابع هو بيت القصيد ، وهو كتاب الإمامة ، فيثبته بتقرير عقيدة لزوم الإمام المعصوم وسوق علاماته ، التي يشير بها إلى نفسه ، ثم ينتقل إلى بيان ما عليه طوائف أهل الباطل الذين يسميهم بالمشركين ويطلق عليهم أخباراً نبوية عن سوء مصيرهم في الآخرة ، ويصف ما أحدثوه من المناكر حتى ينتهي إلى وجوب مخالفتهم وتحريم معونتهم ، ثم إلى وجوب جهادهم وفضل الصبر على ذلك الجهاد ، وتبشير الذين يجاهدونهم بأنهم الموعودون بما وعد به القائلون على الحق ، وبيان أركان الإيمان التي يجب أن يمسك بها أتباع تلك الطائفة الموعودة بالنصر ، حتى ينتهي إلى تقرير أحكام الجهاد ، شاملاً الجهاد بالنفس والجهاد بالمال .

وقد جمع هذه المقالات وأملأها تلميذه الأول ومؤسس دولته عبد المؤمن بن علي فأملأها ونسجت من إملأاته وأسند سماعها إلى مجالس سنة ٥١٥ في رباط هرغة ، فكانت دستور دولة الموحدين والدول التي قامت على أسسها في شمالي إفريقيا والأندلس ، وكانت إلى جنب ذلك مكونة لحاصل عظيم الأهمية في تاريخ الفكر هو إعداد الجوه الفكري في المغرب العربي لحياة الحكمة الأشعرية وبعث حركتها ناشطة من عقالها ، لإبراز النتائج المبينة على المواخاة بين فروع الثقافة الإسلامية : مواخاة تفذي الدين بالحكمة ، فلقد كانت الصدمة الفعيفة التي اصطدم بها تيار النظر الحر ، الجامع بين الدين والحكمة ، من طرف المنصور بن أبي عامر ، ثم من طرف المرابطين ، صدمة ذات أثر بعيد في وقف حركة التقدم الفكري ، وقطع ما بين الدين والحكمة من عوامل التلاقح ، التي ازدهرت بها الحكمة الدينية في المشرق .

وكما حكى ابن العربي أن أصحاب الحكمة الدينية العليا كانوا يستترون بالتقليد المذهبي في الفقه ، ويجهلون نظارتهم في علم الكلام تابعا خفيا ، فكذلك كان الحكماء المتفلسفون ينظاهرون بالاقصصار على علم الطب والعلوم الحسائية ، ويكتفون ما عندهم من الحكمة ، مستترين بما يظهرونه مما تجوز لهم فيه مثل الحساب والفرائض والطب ، كما حكى ذلك القاضي صاعد في كتاب طبقات الأمم .

ولقد كادت الحكمة أن تعاود عهد ازدهارها بالأندلس ، عند سقوط قرطبة وقيام ملوك الطوائف ، لولا أن اخطر الاسباني ، ثم الحكم المرابطي ، قد قطعاً دونها ذلك الأمل ، فانكسرت الحكمة إلى يوتهم عاكفين على كتبهم منطوين على أنفسهم وما منهم إلا ممثل باليتين القديين لابن عبد ربه الحفيد :

لما عدمت مؤانسا وجليسا نادت بقراطا وجالينوسا
وجعلت كتبها شفاء فقردي وهما الشفاء لكل جرح يوسى

فلما انتصرت الحكمة الدينية متمثلة في المهدي ابن تومرت على المرابطين ، وأدالت دولتهم ، كان ذلك الانتصار رافعا لحاجز كان قائما في طريق تقدم الحكمتين ، وحائلا دون تواصلها ، فاندفعت بارتفاع الحاجز القوة المكبوتة واستأنفت سيرها من حيث وقفت ، بما بقي مكنونا فيها من فاعلية تيار السير المقطوع .

هنالك أبرز العلماء ما كانوا يضمنون ببارازه : من كتب الحكمة والكلام وأصول الفقه والجدل والتصوف ، وأظهروا نظرم فيها ، وتدارسهم لها ، وصعدوا بالتنويه بها وتمجيدها ، وصرحوا بما بين ما كانوا يظهرون ، وما كانوا يخفون ، من وحدة لا ترضى بتفكك أوصالها .

وبهذا الاندفاع الجديد أصبحت طائفة العلماء ، من أهل الحكمة الدينية ، وأهل الحكمة الفلسفية ، ظهرا للدولة القائمة دولة الموحدين ، لا في سلبية

النوارد على كراهية الحكم الرابطي فحسب ، بل في إيجابية المثل الأعلى من توجيه الدين بالحكمة ، وتحليله بالمنطق ، وهو المثل الذي بدا في مذهب الإمام المهدي ، وما يقوم عليه ذلك المذهب من قواعد الحكمة الإسلامية ، التي أسسها الأشعري ، وأسندها الغزالي .

وبذلك أصبحت لابن تومرت منزلة مشاعة بين عصبيتين متظاهرتين : عصبية سياسية تمثلها دولة عبد المؤمن بن علي وأشباعها ، وعصبية مذهبية تمثلها المتظلمون إلى نصرة الحكمة الدينية المحجوزون طويلاً في ما مضى من دولة المرابطين على مواصلة سيبلهم نحو ما تحرّفوا عليه من إعلاء شأن الحكمة ، وارتبطت ثانية المصبيتين بأولاهما حين بادر المتمسكون بالأشعرية والمازرية ، في الكلام المدلل والفقهاء الممثل ، إلى الانصال بعمد الدولة الموحدية ، كما سافر القاضي أبو بكر ابن العربي إلى لقيا عبد المؤمن براكش .

ومن جهة أخرى بادر المتمسكون بالتماليم الفلسفية والأنظار الحكيمية إلى هذه الدولة يؤازرون المتكلمين والفقهاء في تأييدها ونصرها ، والدخول تحت طاعتها ، كما فعل ذلك الفيلسوف الكبير أبو بكر بن الصائغ المعروف بابن باجة ، والحكيم الاشرافي الأعظم القاضي أبو بكر بن الطيفيل صاحب القصة الفلسفية الخالدة «حي بن يقظان» .

وكان هذان الحكيمان الجليلان : ابن باجة ، وابن الطيفيل ، متعاضدين في القطر والمصر ، متقاربين في المذاهب والأنظار ، على ما بينها من فروق دقيقة في آراء ترجع إلى كليات أصول الحكمة ، وجزئيات من مسائلها ، زيادة على أن واحداً منها لم يلق الآخر ، وكان أهم ما يتلاقيان فيه شعورها بأن الحكمة التي أقامت نهضة العلوم الدينية وألفت فيما بينها ، وهي حكمة الغزالي ، قد كان يبدو عليها نبيء من التضارب ، باختلاف الباني ، وتفاوت المقامات ، وتباعد الغايات ، إذ ينجح تارة إلى الوقف براحل الحكمة عند

حدّ البرهان ، ويسمى تارة أخرى إلى التجاوز بها إلى غاية الاشراق ، وذلك عين ما كان أخذه أبو بكر ابن العربي على الغزالي من الناحية الكلامية ، وشجبه عليه ، في كتاب المواسم من القواصم .

وكان ابن باجّه متصلاً في نقد الغزالي متمسكاً بطريقة التعاليم الأرسطوطاليسية ، واثقاً بأن إدراك أهل النظر لما بعد الطبيعة إنّما يكون بالبحث الفكري ، فجاء ابن الطفيل ، على إعجابه بابن باجّه وطريقته ، يكشف أن مذاهب الحكمة ، على ما بينها من اختلاف الأساليب والطرائق ، هي متلاقية متكاملة وليست بمتباينة ، ولا متنافرة ، وإن الحكمة النظرية تنتهي بمتبّعها إلى موقف تنبئ من ورائه مراحل الحكمة الإشراقية ، وبذلك يأخذ على الغزالي أنه قرّر المذاهب متخالفة ، ولم يسلم من الوقوع في أحدها بعد الآخر ، على طول البحث ويثمل لذلك بكتاب « نهافت الفلاسفة » ، مع اعترافه بأن الغزالي قد سمد السعادة القصوى ، وأنه رجل أدبته المعارف ، وحذّته العلوم ، ثمّ ينتقد فلسفة ابن باجّه بأنها قصرت عن غاية الحكمة ، ولم بفض إلى حقيقة الكمال ، ثمّ يصمد إلى الفارابي وابن سينا ، فيأخذ على الفارابي تنطّعه في الاغترار بالفلاسفة ، اغتراراً بنا به عن حكمة الدين ، وبأخذ على ابن سينا أنه جرى على مذهب أرسطوطاليس فلم يستطع أن يصل به إلى الكمال ، ومدل إلى الحكمة المشرقية .

وكذلك كانت الحكمة في نظر ابن الطفيل ملتزمة من المبادئ المشائية والغايات الإشراقية ، و ليست كاملة ، لا بالفلسفة التعليمية ولا الافلاطونية الحديثة ، وإنّما هي متكاملة لاجتماعها كلّها على صورة بحقّق بها كلّ مذهب ناحية من نواحي الكمال هي النواحي التي لا تتلاقى جهاتها إلاّ باجتماع الدين والحكمة ومعرفة ما بينها من ارتباط .

وذلك هو الذي كانت الحكمة الأندلسية في تيه عنه ، وكانت الحكمة الإسلامية الرائجة بالشرق ، بعد ابن سينا ، قد أدركته أو قربت فيه ، بما ظهر من خلاصة الأسرار الحكيمية التي صرّح بها الشيخ الرئيس في كتاب الإشارات ، وكشّى عنها بضرب المثل في قصة حي بن يقظان ، وما ظهر في كتب ابن مسكويه والفوز الأصغر ، والفوز الأكبر ، من استناد يساعد العقيدة بالعلل الفلسفية . وعلى هذا الاطمئنان العجيب إلى اتصال حقيقة الحكمة العقلية بحقيقة الحكمة الدينية أقبل ابن طفيل على الدولة التي جعلت شعارها إمامة المهدي في الجمع بين الحقيقتين ، فانتقل من العدو الأندلسية إلى العدو المغربية ، حتى اتصل بالسلطان يوسف بن عبد المؤمن ، فطارحه حكمته وحجّب إليه مبادئه وربط سلطة الموحّدين بخطّ مذهبه الفلسفي ، ولم يزل نصب عين ابن الطفيل ، منذ استقرّ بمراكش في قصر الموحّدين ، ذلك الشاب الناشئ تحت دوحتي الحكمة ، المتضلع من درسي الشريعة والفلسفة : أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد القرطبي المعروف بابن رشد الحفيد .

نشأ هذا الشاب في بيت الفقه والقضاء ، وتطلع إلى أسمى مراقي النظر العلمي ، فاتصل في حداثة أمره بالإمام أبي عبد الله المازري : شدّ الرحلة إليه في إفريقية ، وتخرّج به في تحقيق النظر الفقهي على مدارك الشريعة وأصولها ، وتلقّن منه أصول الطريقة الكلامية الأشعرية التي كان المازري يخوض لججها مع إمام الحرمين الغزالي .

وفتح ابن رشد عينيه على روض العلوم الحكيمية بالأندلس ، وقد زكا نبته ، وأبّغ زهره ، بتقلّص سلطان المرابطين ، فأقبل على فلسفة القدماء وأتقن اللغة اليونانية واللغة اللاتينية ، واستخرج كنوز الحكمة المجهولة ،

فتعاطف على رأسه غصنان من علوم الإسلام وعلوم الأوائل ، فلم يجد خريفاً يهديه سبيل الحكمة المأمون ، غير القاضي ابن الطفيل ، فكان هو الذي أوقفه على ما يزيك الحكمة من الدين ، ويزكي الدين من الحكمة ، على النحو الذي عرضه في قصة حي بن يقظان .

وكان ابن رشد في الوسط السنّي الفقهي ، الذي نشأ فيه بقرطبة ، متصلاً اتصالاً محكماً بآثار أبي بكر ابن العربي وأخباره ، فقد أخذ عن تلاميذه : مثل الحافظ ابن بشكوال ، ووقف بذلك على ما كان للغزالي من أثر في ابن العربي ووقفه ، ووقف على آثار الخلافات الفقهية والاعتقادية التي تارت بين مالكية الأندلس وابن حزم ، وما تركت من دويّ متجاوب الأصدا في قرطبة ، ووقف على كتب ابن حزم ، واعتمد عليها في تأليفه ، فحقّق ما يهد به المنصفون لابن حزم ، وإن خالفوه ، من سعة العلم ، وحيّة الذهن ، وقوة العارضة ، حتى أنه على ظاهريته اعتنى بالحكمة العقلية وألف كتاب التقريب لحدود المنطق الذي قال القاضي صاعد : أنه بسط فيه القول على تبين رزق المعارف ، واستعمل فيه أمثلة فقهية ، وجوامع شرعية ، وخالف أرسطوطاليس في بعض أصوله . فكانت هذه المثل من استعمال الحكمة العقلية لتقريب الفقه موجّهة لابن رشد إلى مجازاة أربابها ، باستعمال الحكمة المثلّي التي كان يشعر ، تبعاً لأستاذه ابن الطفيل ، بأنّ الناس من قبل لم يتوصّلوا إلى صحيحها .

على هذا التأثير الذي سيطرت به روح الحكمة المحددة على نفس الحفيد ، ترك ابن الطفيل صاحبه ابن رشد بقرطبة لما استقرّ هو في مراکش .

فلم تزل بوارق الأهل في تلك البقعة تلمع بين عينيه حتى لحق ابن رشد بمراكش سنة ٥٤٨ هـ وهو ابن ثمان وعشرين سنة ، ولقي الخليفة الموحّدي يوسف بن عبد المؤمن بواسطة أستاذه ابن الطفيل ، وحاوّه

حواراً فلسفياً راقياً ، أثبت له رسوخ قدم الخليفة الموحي في الحكمة بصورة يندر وجودها عند أمثاله ، وبسبب ذلك رغب ابن الطفيل من ابن رشد ، بما له من التمكن في اللغة اليونانية ، أن يتولّى دراسة كتب أرسطوطاليس وشرحها وتلخيصها حتى يخرج بها عن دائرة الغموض التي كانت محيطة بها .

انتدب إلى ذلك ابن رشد وبذل نفيس عمره في خدمة الفلسفة وتحقيقها وبسطها واعتمد على مذهب أرسطو فجعله قطب النظر ، وقارنه وناظره بالمذاهب ، وعلّق عليه بالنقد والتصويب ، وبيّن منزلة بعض المواضيع من بعض ، ونسبة بعض المذاهب من بعض ، واحتفل خاصة بقسم مابعد الطبيعة وهو مجال مترك الأنظار ، فحقّق نواحي التفارق والتلاقي بين سقراط وأفلاطون وأرسطو والرواقين ، مناقشاً ابن سينا آراءه الخاصة أو تخاريجه لكلام أرسطو ، كما يناقش تخاريج المتقدمين من شراح أرسطو اليونانيين ، ومن المشهور أن ابن رشد بهذا العمل قد كان مؤسساً للفلسفة تأسيساً جديداً ، ومشيعاً لها إشاعة أضاعت ظلمات القرون الوسطى ، في أوروبا ، بفجر عصر النهضة ، ولكن الأهم وراء ذلك هو ما كان لابن رشد من أثر مباشر في العلوم الدينية ، فقد تأثر ابن رشد خطي الغزالي في الحكمة وأصول الفقه والفقه ، فتناول كتاب تهافت الفلاسفة ، وكتاب المستصفى ، وكتاب الوجيز ، فجعل تتبعه لكتاب التهافت تتبعاً تحليلياً حرفياً يتناول تحقيق مذاهب الفلاسفة بطريقته العميقة في شرح الحكمة ، وتقد ردود الغزالي بأنها ليست واردة مورد البرهان الناقض على محل النزاع ، حتّى انتهى بذلك إلى المقدمة التي جعلها ابن طفيل أقوى مأخذ على فلسفة الغزالي ، فجعلها مقطع الحق ومنقطع المناقشة وطوى بذلك كتاب تهافت التهافت ،

ثم نلخص تلك المناقشة في صورة منهجية في كتاب «فصل المقال في ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال» .

أما كتاب المستصفى فقد نلخصه تلخيصاً ، ذكره في ترجمته الشيخ أحمد بابا في ذيل الديباج ، وتعرض إلى الإمام بأراء الغزالي الأصولية في كتاب مناهج الأدلة بما دل على أنه لا خلاف يذكر بينها في مسائل أصول الفقه .
وأما كتاب الوجيز فهو الكتاب الذي اختصر فيه الإمام الغزالي مذهب الشافعي ، ملخصاً فيه كتابيه الوسيط والبسيط ، وقد جمل اختصار الفقه مبنياً على الاختصار على قول الشافعي والإشارة إلى خلاف المذهبين المالكي والحنفي إشارة رد واستبعاد ، وكذلك فعل بالأقول التي تخالف قول الشافعي داخل المذهب ، وخاصة أقوال المزني ، فجاء هذا الصنيع متأثراً بالأصول الجدلية التي تنظر في مدارك الأحكام لقصد الانتصار إلى مذهب معين ، لا لقصد استيلاء الحقيقة لذاتها ، وكان ذلك تضيقاً لدائرة التقليد ، فجاء القاضي ابن رشد يسار صنيع الغزالي في الاختصار وإيراد الأقول الخالصة ، ولكنه ينجح إلى الاقتداء بابن العربي في التخفيف من التزام التقليد ، فيتوسع في الخلاف ، ويشير إلى الأدلة التي كانت منشأ ولا يلتزم الانتصار لتقليد مذهب معين ، ولكنه يفتح باب النظر في الأدلة حتى لا يفلق باب الاجتهاد أصلاً ، ويبقى ولو في حدود النظر المذهبي ، فكان إيراد المذاهب عنده لتربية ملكة الاجتهاد عليها ، لا لدحضها ، وانصر مذهب معين وبذلك استطاع ابن رشد أن يفتح في المذهب المالكي طريقاً سده الغزالي في المذهب الشافعي ، هو الطريق الوسط بين الاجتهاد والتقليد ، الذي يشير إليه اسم الكتاب «بداية المجتهد ونهاية المقتصد» وقد ذكر فيه أنه عازم على وضع كتاب آخر في المذهب المالكي ، بتجنب فيه إحصاء الروايات لأن ذلك شيء ينقطع العمر دونه ، ولكنه رتبته ترتيباً

صناعياً حتى يكون القارئ مجتهداً في مذهب مالك ، ويظهر أنه لم يتمكن من إنجاز عزمه هذا فلم يكن له ، في ما معدّ من جريدة كتبه الكثيرة ، كتاب في الفروع المذهبية ، وقد وهم صاحب معجم المطبوعات ، فنسب إلى الحفيد ابن رشد كتاب المقدمات الممهّدات ، والصواب أنه لجده الحافظ ابن رشد الجدّ صاحب البيان والتحصيل ، وحافظ المذهب .

وكفى حفيده يداً على الفقه المالكي أنه بوضعه كتاب بداية المجتهد قد لقّح حياة الاجتهاد ، بما بعث في المذهب المالكي حركة التفقه التي ظهر بها الإمام ابن عرفة في القرن الثامن ، ثمّ التصرف الاجتهادي في جريان العمل الذي شاع من عهد تلاميذ ابن عرفة : البرزلي ، وابن ناجي ، فأصبح أصلاً للتطور الفقهي في ما بعد القرن التاسع إلى القرن الثالث عشر ، فكان كتاب بداية المجتهد لمحة من لمحات الحكمة العقلية التي امتاز بها ابن رشد الحفيد تركت أثراً في تطور الفقه المالكي بالتفقه والعمل ، وأثراً في الإبقاء على رمق من روح الاجتهاد مردد بين المذاهب .

كان هذا العمل الذي قام به ابن رشد الحفيد في القرن السادس بكتاب بداية المجتهد ، عملاً تصرفياً في الفقه . نافض به العمل الاتزامي الذي قام به الغزالي في كتاب الوجيز ، فبقدر ما كان الغزالي يضيق الدائرة ويحصر الأقوال كان ابن رشد يوسع دائرة النظر ويكثر من إيراد المذاهب والأقوال ومقابلتها وإيراد حججها وأدلتها بحيث ينجح الغزالي إلى إبراز المذهب الفقهي الذي يتقلده في صورة الأمر الضروري ، كما هو عند المقلد ، في حال أن ابن رشد ينجح إلى إبرازه في صورته النظرية التي هي محل بحث ومجال اجتهاد ، كما هو عند الفقيه ، وإنه لمن المتظر أن طريقة ابن رشد يكون لها أثر في المذهب المالكي ، وإن طريقة الغزالي يكون لها أثر في المذهب الشافعي ، حتى يبدو كل من المذهبين مباناً لمظهر الآخر ، ولكن ما بين المذهبين من

تواصل في المجال الأصولي ، وما بينها من تفاعل في البلاد الشرقية بصفة خاصة ، حيث يعيشان متجاورين في الحجاز والعراق والشام ومصر ، كان قاضياً بأن كل أثر يبدو في أحد المذهبين تحدث له صورة في المذهب الآخر ، فلمّا برز كتاب الوجيز للغزالي ولقي ما لقي عند الشافعية من احتفال وإقبال ، واحتلّ منزلة الإعجاب بحسن تنسيقه ، وجميل تبويبه ، ومحكم ربطه بين المسائل ، وإتقان تفريعها ، أحسن الفقهاء من أتباع المذهب المالكي في المشرق بأن هذا المظهر الذي بدا به المذهب الشافعي قد أناله امتيازاً في حسن الضبط وسهولة المراجعة يجعله أيسر إلى تناول المقلدين ، فاغتنبوا بذلك واستشعروا خلو التآليف الفقهية في المذهب المالكي من تلك الميزة ، فحرصوا على تكميله باقتباس تلك الطريقة التي سهلت تناول المذهب من طالبه ، وهم حين نظروا إلى الميزة الصناعية في التآليف لم يلتفتوا إلى ناحية التضييق والاختصار ، التي انحاز إليها مذهب الشافعي بتأليف الغزالي ، لأنّ تشابه الأوضاع واستقرارها لم يكن من شأنه أن يبرز الاحتياج إلى ما اعتبر مهجوراً من الأقوال الفقهية ، حيث إن جريان الفتوى على الأقوال المشهورة المدونة ، وما لتلك الأقوال التي جرت عليها الفتوى من تطابق مع مقتضيات الأحوال كان مزبلاً لاعتبار الأهمية من تلك الأقوال ، قاضياً عليها بالجدارة للهجر والإهمال . بمثل هذه العوامل تأثر المالكية بمصر أثناء القرن السادس لما طار كتاب الغزالي إلى إخوانهم وأجوارهم الشافعية ، فأقبلوا عليه بما تقدّم وصفه من إعجاب ، وأحسن المالكية بأن مذهبهم في حاجة إلى مثل ذلك التهذيب والترتيب ، ولم يلاحظوا ما لاحظ أحد أئمتهم العظام وهو قاضي قرطبة أبو الوليد ابن رشد من أنه يشتمل على تضييق دائرة النظر الاجتهادي ويلزّ المذهب في حيز التقليد ، وإن امتاز بما زانه من حسن الترتيب ، فكان تطلع هؤلاء الفقهاء إلى أن يسلكوا بالمذهب المالكي المسلك الذي اتجهه الغزالي بالمذهب الشافعي موافقاً للوقت الذي كان فيه

فقيه قرطبة وحكيمها يحاول أن يبرز أثراً مرتباً مهذباً يصد به تيار المذهب المالكي عن الاندفاع في ذلك السبيل . ففي العصر الذي كان فيه ابن رشد منكباً على تصنيف بداية المجتهد ، كان الفقيه المصري أبو محمد بن شاش منكباً على تصنيف مختصر جامع لفروع المذهب المالكي ، على ترتيب يسير صنيع الإمام الغزالي في الوجيز ، وهو مختصره البديع الذي سمي « الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة » وقد قال في خطبته : لما رأيت كتاب الوجيز لأبي حامد الغزالي رحمه الله من أحسن ما حرر فيما حرره غيره من متقدمي الأئمة ومتأخريهم ، فكان غاية منتهى التحرير ، تلخصت المذهب في هذا الموضوع على القرب من محاذاته .

وسرعان ما ظهر هذا الكتاب حتى عكف عليه المالكية بصر واستحسنوه وأعجبوا به ، كما ذكر ذلك ابن خليكان في وفيات الأعيان ، وسارت طريقة دراسة الفقه على منهج كتاب ابن شاش : في الحرص على التفريع والجمع والإيجاز ، والإعراض عن الخلاف والمدارك ، وبقي كتاب ابن رشد خامل الذكر محدود الانتشار إذ لم يشاركه في نظره الحكمي البعيد إلا « القلائد » : فلم ينتبه الأكثرون إلى أن ما خيل لهم الاستغناء عنه من الأقوال يحتاجون إليه في قلب الأنظار عند اختلاف الأحوال .

ومضى القرن السابع على هذه الطريقة الالتزامية التي التحق فيها المذهب المالكي بالمذهب الشافعي ، متنكباً محاولة ابن رشد في الحفاظ على اتساع النظر الاجتهادي ، وازدان ذلك القرن السابع بظهور علم من أعلام الثقافة الإسلامية ، الجامعين بين مختلف فنونها في معرض الصناعة التعليمية ، التي تفرعت من مناهج أصول الفقه ، فجمعت بين أسلوب تعليمي واحد علوم اللغة العربية والدين والحكمة من علم القراءات إلى علم العروض ، ذلك العلم الذي ظهرت عظمتة في القرن السابع ، هو الإمام جمال الدين ابن الحاجب ،

صاحب المختصرات المعتبرة في النحو والصرف والعروض والمنطق والأصول والفقه والقراءات ، فأنصرف إلى تأليف مختصره العظيم في الفقه المالكي الذي سَمَّاه « جامع الأمهات » ، وأفرط فيه في اتباع طريقة الجمع مع الاختصار ، حتى كان وهو جزء صغير جامعاً لمضمون مستين ديواناً من دواوين الفقه المالكي ، ومشتتملاً على صغر حجمه على ستّ وستين ألف مسألة ، فمظم الإعجاب به ، وعمّ الإقبال عليه ، وملأت سمته وسط القرن السابع ، وحلّقت في آفاق المشرق والمغرب مع أن ابن خلدون يمرض بنقده بقوله : إنّه جاء كالبرنامج للمذهب .

وبانتشار مختصر ابن الحاجب وعكوف الناس عليه هجر دارسو الفقه طريقة المدوّنة وتهاذبها وشروحها ، بما عليها من مسحة النظر والاستدلال ، وتوجّهوا إلى دراسة ابن الحاجب بالاستنكار على طريقته من المسائل والفروع .

وكان طريق اتصال مختصر ابن الحاجب الفرعي ببلاد المغرب العربي أن الشيخ ناصر الدين الزواوي ، من فقهاء بجاية ، ارتحل إلى المشرق في أواخر القرن السابع ، فلقى تلاميذ ابن الحاجب بمصر ، وتخرّج عليهم ، فجاء معه بمختصر ابن الحاجب ونشره في تلاميذه ببجاية ، ومن هنالك انتقل إلى عامّة أقطار المغرب العربي ، فمكف الفقهاء على دراسته وشرحه واعتنى به كبار فقهاء تونس : مثل ابن عبد السلام ، وابن هارون ، وابن راشد ، وفقهاء تلمسان : مثل ابني الإمام .

ولكنّ نزعة ابن رشد إلى الطريقة المخالفة للمنهج الالتزامي الاقتصادي ، الذي درج عليه ابن الحاجب ، لم تزل تفضّي حركة ردّ فعل تغديلي تمنع اتباعها إلى طريقة اتساع النظر الاجتهادي بين المذاهب الفقهية ، وقد تجلّت تلك النزعة واضحة في كتاب القوانين الفقهية للإمام أبي القاسم ابن جزي الغرناطي ، شهيد واقعة طريف سنة ٧٤١ ، فإنّ ذلك الكتاب النفيس ،

على إحكامه ودقّة ترتيبه ، لم يقتصر على المذهب المالكي ، بل أورد المذاهب الأربعة ومذاهب كثير من أهل الاجتهاد المنقطعي الاتباع ، فجمع ، كما قال هو عن نفسه ، بين تمهيد المذهب وذكر الخلاف العالمي .

على أن منهجاً جديداً في الدراسة العلمية قد ظهر بالبلاد التونسية في رحاب الجامعة الزيتونية أثناء القرن السابع كان قاضياً أيضاً بتعديل الغلو في الطريقة الفقهية الالتزامية ، وذلك هو منهج القاضي أبي القاسم ابن زبتون ، الذي تخرّج في المشرق على تلامذة الإمام فخر الدين الرازي ، ودرج على طريقته في الجمع بين العقليات والنقلات على الأسلوب التعليمي الراقي ، وقد تأيدت هذه الطريقة واستحكمت أساسها في القرن الثامن ، ينبوع الحكيم الكبير إمام التعاليم والرياضيات أبي عبد الله الأبي ، المتكون في حكمته التجريبية على طريقة ابن رشد ، فتواصلت طرق التخرج على منهج النظر الحكمي في التكاليف الدينية بين أقطار المغرب في شمالي إفريقيا والأندلس ، فظهر من أعلام تلك الطريقة أعلام درسوا الفقه بالتعقيد والمقارنة وربط الفروع بالأصول مثل الإمام أبي عبد الله المقرئ التلمساني ثمّ القاضي ، والإمام أبي إسحاق الشاطبي الغرناطي ، والإمام العلامة أبي عبد الله العلوي الشهير بالشريف التلمساني ، الذي عدّه من أهل الاجتهاد ، وقد أنجبت الجامعة الزيتونية بتونس في هذا القرن الثامن فذاً من الأفاضال الجامعين بين الحكمة والفقه تخرّج بطريقة الأبي وبرز في العلوم الحكيمة أولاً ، ثم اشتغل بالفقه فأثّر فيه بالعجب العجائب ، ذلك هو شيخ الإسلام محمد بن عرفة .

ابتدأ ابن عرفة تخرجه العلمي بالاختصاص في الكلام والحكمة والمنطق وأصول الفقه ، ثمّ انصرف إلى الفقه متأثراً بتكوّنه الحكمي ، فأتجه إلى الضبط والجمع والتنظير ، واهتمّ بصفة خاصة بالتحديد ، وشرح مواهي الأبواب الفقهية ، بتميز بعضها عن بعض ، وأكثر من البحث والنظر والاستشكال ،

فقد كثيراً من الأقوال واستبعدهما ، مبنياً وجه ذلك بتصوير الوقائع ، وملاحظة ما يتحقق فيها من المصالح المقصورة للشرع ، وما لا يتحقق ، ففتح بذلك في الفقه المالكي طريقة البحث النظري المبرر عنه ، بالتفقه ، الذي هو منهج الدراسات القانونية الجامعية اليوم .

وبهذه الدراسات النظرية المحصنة للأقوال الفقهية : نقداً ، وتحريراً ، ومشاركة في المباني والمدارك ، اقترنت أحداث خارجية في حياة البلاد المغربية عامة والقطر التونسي خاصة ، ختم بها القرن الثامن : من دخول سلطنة الإسلام بالأندلس في الدور الأخير ، وإيواء اللاجئين من المناطق المفتكة إلى الرقعة الباقية والعدوة الأفريقية ، وتضارب الدول المرينية والزبانية والحفصية في سبيل توحيد المغرب ، ودخول قبائل الأعراب في دور الاستقرار والتحضّر ، واستفحال الأزمة الاقتصادية بسبب سقوط منزلة البلاد في التجارة العالمية بفتح طريق الهند البحري ، زيادة على ما مرّ بلاد المغرب من الأحداث الإسلامية التي توالى بعد سقوط الخلافة العباسية بفسداد : من تجدد هجمة المغول بقيادة تيمورلنك ، وإشراق نجم العثمانيين ، فكان من أثر هذا المجموع من الأحداث أن ما كان يسود الدراسات الفقهية من الاطمئنان إلى الاختيارات والترجيحات التي استقرّ عليها الفقه المذهبي ، قد بدأ يتزعزع بما أنصرفت عنه الأحداث الهائلة من انقلاب الأوضاع الاجتماعية انقلاباً فتح مبدأ الشعور بمشكلة قصور كثير من الأقوال الفقهية عن تحقيق المصلحة التي نظر بها إليها من قبل بسبب اختلاف الوضع عن الوضع ، فكان هذا الشعور أقوى سنداً للأنظار التفقيية التي ابتدأ الإمام ابن عرفة أثناء القرن الثامن يعلّق بها تعاليق النقد والبحث على بعض الأقوال الفقهية ، واتخذ تلاميذه عن ذلك معياراً للاختبار التجريبي لنفاذ الرأي الاجتهادي الذي يحلّل به ابن عرفة الأحكام .

وبذلك كان القرن التاسع قرناً وضع فيه الفقه المالكي من جديد على بساط النقد والتمحيص حيث دخل في مقاييس الاختيار وال ترجيح مقياس جديد : هو مقياس الفتوى والعمل ، فإن طبقة من تلامذة ابن عرفة أخذت على عاتقها تطبيق الأحكام الشرعية على الوقائع بمراعاة ما فرضت فيه تلك الأحكام من الظروف الزمانية والمكانية ، فاذا رأوا أن بعض تلك الظروف تبدل ، مالوا إلى المدول عن القول المشهور إلى قول غيره اجتهداً منهم ، واستحساناً ، واعتباراً للمصالح الشرعية ، بحسب الوقائع والنوازل والأشخاص ، بمراعاة الأعراف والعوائد ، فأصبحت الفتاوى في كثير من الوقائع مختلفة عمماً اشتهر في أمثالها بسبب اختلاف جزئي في صور الوقائع نأى من اختلاف الأوضاع ، وكان البروز في هذا المجال الفقهي التجديدي لثلة من تلاميذ ابن عرفة ، فيهم من التونسيين : البرزلي ، وابن ناجي ، ومن الجزائريين : الحفيد ابن مرزوق ، وأبو الفضل العقباني ، حتى تقرر بصنيعهم هذا منهج العمل الذي أصبح تعديلاً ضرورياً لما سبق من الرجوعان واشتهر ، وكان الذين تولوا القضاء من هؤلاء أتمّ تمكّناً من ملاحظة تلك الدواعي فساروا على منهج التصرف الاجتماعي في التأويل ، وأسسوا لجران العمل مادة جديدة للفقه ، فأظهر القاضي ابن ناجي في كتبه من حسن التحقيق لمناط الفتاوى والأحكام ، والبراعة في تنزيل القواعد والمقاصد على الصور الحادثة ، ما جعل صورة الفقه المالكي من بعده مصطبغة بآرائه صبغة خاصة . كما أبدى البرزالي في مجموع فتاويه السمي « جامع مسائل الأحكام لما ينزل بالفتين والحكّام » نظراً بعيداً سديداً ، في التصور والتطبيق والتزيل ، تناول أكثر مسائل الفقه بصورة كشفت في تطبيق الأحكام ، عن أوجه لم يكشف عنها من قبله لثام . ومثل ذلك المسلك سلك العقباني في أجوبته التي ضمن الكثير منها تلميذه الشيخ يحيى المنبيلي المازوني في كتابه « الدرر

المكتونة في نوازل مازونة « أما العلامة ابن مرزوق الحفيد فقد سما في قمه إلى أفق تحرير الأفكار وإبتكار الأنظار ، حتى شهد له بلوغ درجة الاجتهاد المطلق ، ولقد كان حريصاً على تعرف المذاهب وحسن دراستها لتوسيع نظره الاجتهادي ، فدرس الفقه الشافعي في تلمسان بكتاب التنبيه لأبي اسحاق الشيرازي والوجيز للغزالي ، مع أنه لم يكن هو ولا واحد من طلبته ولا من أهل مدينته شافعيًا .

وبهذه النزعة التفقهية التطبيقية انتهج الفقه نحو التطور منهجاً جديداً سلك من القيروان إلى الأندلس ثم رجع واستقر بفاس فأبرز اختلافاً واضحاً بين ما تقرّر من الأحكام في الدواوين والمختصرات ، وما طبق في مجاميع الفتاوى والتوازل ، على نحو ما نجده في لامية الزقاق من القواعد والمثل ، وما نجده في ماضنه الشيخ أبو العباس الوائشري في مجموعته العجيب « المعيار المغرب والجامع المقرب عن فتاوى أهل افريقية والأندلس والمغرب ، وهو كتاب في أسفار ضخمة يتيسّر لمصقّحه عندما يقابله بجواهر ابن شاش أو بمختصر ابن الحاجب كم استطاع النظر الفقهي في هذا المغرب أن ينتج من تطور ويظهر من حيوية ، لما عدل عن المنهج الالتزامي وسار على المنهج التصرفي الذي فتحه ابن رشد ، ومهّده ابن عرفة وتلاميذه ، وأقام أعلامه الوائشري في المعيار .

محمد الفاضل ابن عاشور -



م (٦)

نظرة عيان وتبيان

في مقالة

(أسماء أعضاء الإنسان)

أضاف إليها ما يقابل الأسماء بالفرنسية والانكليزية مع شرح موجز

الدكتور صلاح الدين الكواكبي

- ٨ -

(٢١٥) البَطْن

Abdomen, ventre (m.)

Abdomen ; belly

ف

ز

في الأصل . - ليس له تعريف .

في (ق) . - البطن خلاف الظهر مذكر . ج أبطن ، وبطن ،

وبُطنان ... ودون القبيلة ... وجوف كل شيء .

في (ل) ولاروس ذي المجلدين . - هو الناحية السفلى والأمامية من

الجذع (يرادف Ventre) . البطن منفصل عن الزور بالحاجز وتحدّه من

الأسفل الحوض . يحتوي البطن على الأنبوب الهضمي وملاحقه ، والجهاز

البولي ، وغدد شتى وعلى جزء هام من الجهاز الوُدي .

أهم ما أضفته :

١ - بطن ذو برزّتين

Ventre à double saillie

Abdomen presenting tow inguinal prominences

ف

ز

- ٧٦٨ -

٢ - بطن بشكل الخرج

Ventre en besace

ف

Pot belly

ز

٣ - بطن مدلى

Ventre pendant

ف

Pendulous belly

ز

٤ - بطن كالمرء كعب

Ventre en bateau

ف

Scaphoid abdomen; boat scaphed,
carinate, navicular abdomen

ز

٥ - بطن مستدق

Ventre en pointe

ف

Pointed belly

ز

٦ - بطني

Abdominal, ventral

ف ، ز

قلت :

و (البطين) على التصغير وبالإضافة إلى القلب يُطلق خصوصاً على
الجوف الذي يدفع الدم إلى الشرايين . وبالإضافة إلى الدماغ يُطلق على
كل من الجوفات الأربعة المحتوية على المائع الدماغى الشوكي .
وأضفت :

١ - بطين القلب

Ventricule du cœur

ف

Ventricle of the heart

ز

٢ - بطين الدماغ

Ventricule cérébral

ف

Cerebral ventricle

ز

٣ - بطين الحنجرة

Ventricule du larynx

ف

Ventricle of the larynx

ز

٤ - بطين الدماغ الجاني

Ventricule latéral (du cerveau)

ف

Lateral ventricle of the brain

ز

٥ - بطين الدماغ المتوسط

Ventricule moyen (du cerveau)

ف

Third ventricle of the brain

ز

٦ - بطين رابع

Quatrième ventricule

ف

Fourth ventricle

ز

٧ - بطين انتهائي

Ventricule terminal

ف

Terminal ventricle

ز

٨ - بُطيني

Ventriculaire

ف

Ventricular

ز

٩ - رسم البطين

Ventriculographie

ف

Ventriculography

ز

★ ★ ★

٢١٥ (مكرر) الشاكِلَتان

Flanc , côté (m.)

ف

Flank ; side

ز

في الأصل . — هما الطففتان .

- في (ق) . — الطفطفة الخاصرة ، أو أطراف الجنب المتصلة بالأضلاع .
 والشاكلة ، في (ق) : ما بين الحرقفة والقُصَيْرِ وهي الخاصرة .
 في (ل) . — القسم من جسم الإنسان والحيوان من الأضلاع حتى
 الورك . وعلى التوسع الجنب من الجسم .
 (انظر أيضاً الرقم — ٢٠٧) .

★ ★ ★

٢١٦ الثفنة

Hypogastre ; bas - ventre

ف

Hypogastrium

ز

في الأصل . — الثفنة : ما بين السرة إلى العانة .

- قلت : قوله (ما بين السرة إلى العانة) ينطبق على الخِثْلَة ، والمُربِطَاء
 لا الثفنة ، بالفاء ، وهما ما يقابل الكلمتين الفرنجيتين ، كالثفنة تماماً
 — بدون فاء — كما سيأتيك في ملاحظتي .
 في (ق) . — الثفنة من البعير ، الركبة . ومنك الركبة ومجتمع
 الساق والفخذ .

في معجم المتن . — من البعير الركبة . . الخ ومن الخيل موصل الفخذين
 في الساقين من باطنها . ومن الناس الجماعة منهم ، ومن الجلّة حافتا أسفلها
 من التمر (مجازاً) . ومن النوق ، التي تضرب بثفنتها عند الحلب . ومن
 الإنسان : الركبة ، ومجتمع الساق والفخذ .

في (ل) . - القسم الأسفل من البطن .
 ملاحظتي . - في المعاجم التي بين يدي لم أجد للثفنة من المعاني ما يصح إطلاقه - ولو مجازاً - على الشرح المذكور في الأصل المطبوع : (ما بين السرة إلى العانة) . فالثفنة إذن خطأ عن النسخ من المخطوط . فما الصحيح ؟ رحت أقرب وجوه التصحيح أو أخطاء الخط وبمواصلة البحث وجدت - بعد جهد - الصحيح وهو (الثفنة) فوضعها مصححة في الرقم (٢١٦) . فالثفنة ، بالضم وبدون الفاء ، مشددة النون : (العانة ، أو مريطاء ما بينها وبين السرة) وهو شرح ينطبق تمام الانطباق على ما جاء في شرح الأصل . ولم يتب به إليه المحقق .

★ ★ ★

٢١٧ (الشرة)

Ombilic (m.)

ف

Navel

ز

في الأصل . - ليس لها تعريف (إذ لم تأت مستقلة) .
 قلت : جاء ذكرها في معرض شرح الثفنة مما أفادني لتحديد لها ووضع الكلمتين الافرنجيتين مقابلاً لها .

في (ق) . - ما تقطعه القابلة من الصبي .
 في معجم متن اللغة . - الشرة سِرُّ الكف والوجه . وما تقطعه القابلة من سُرة الصبي ج أسيرة (نادر) . والشَّرَر (*) : ما تقطعه القابلة من الشرة (ويكر) . الشرة موضع الشَّر الذي تقطعه القابلة وهو الوقبة في وسط البطن ج سُرَر ، ومُسرَّات .

(*) قلت : هو ما يسمى بالجلل الهُرِّي :

Cordon ombilical ; tige funiculaire

ف

Umbilical cord or funicle

ز

قلت : لاحظت في شرح (ق) واثن قولها (من الصبي) ولا شك عندي أن هذا عن زهول فالصحيح أن يقال (من الولد) ليشمل الأنثى (الصبية) والصبي دون حصر في (الصبي) فالقابلة تقطع سرر الصبي والصبية (الولد ذكرراً أو أنثى) [لأن الصبي : الطفل من لدن أن يولد إلى أن يقطع ، والذي لم يقطع بعد ، والمؤنث صبيّة ، انظر ما جاء في المتن مادة (ص ب ي) ج ٣ صفحة ٤٢٠] .

في (ل) ٠ — ثقبه البطن في الجنين يمر منها الجبل السري .

قلت : من مرادفات الافرنجيتين :

تقير ، سرّة

Hile (m.)

ف

Hilus ; hilum

ز

(وهي ناحية منبطة ، بوساطتها تنفذ العروق الدموية والمجاري الأخرى

في أحد الأحشاء) .

ما أضفته :

١ — سرّة داخلية

Chalaze

ف

Chalaza

ز

٢ — سرّة الرئة (تقير لرئة)

Hile du poumon

ف

Hilus of the lung

ز

٣ — سرّة الطحال (تقير الطحال)

Hile de la rate

ف

Hilus of the spleen

ز

٤ - سرّة الكبد (تقير الكبد)

Hile du foie

ف

Hilus , s. porta hepatis

ز

٥ - سرّة الكلية (تقير الكلية)

Hile du rein

ف

Hilus of the kidney

ز

٦ - استسرار

Ombilication

ف

Umbilication ; navel - like depression

ز

٧ - استسرار الأسحّم (حلمة الثدي)

Ombilication du mamelon

ف

Retracted , inverted nipple

ز

٨ - استسرار الجلد (في السرطان)

Ombilication de la peau (dans le cancer)

ف

Umbilication of skin (in cancer)

ز

٩ - أسرّ

Ombiliqué

ف

Umbilicate(d.) ; navel - shaped

ز

١٠ - سرّي

Ombilical

ف ، ز

١١ - حبّل سرّي

Cordon ombilical

ف

Umbilical cord

ز

برادفها : ساق مسرّية

Tige funiculaire

ف

Umbilical funicle

ز

١٢ - تقيري

Hilaire

ف

Pertaining to the hilus

ز

★ ★ ★

(٢١٨) العانة

Pubis (m.) ; penil ; mont de Venus

ف

Pubic eminence ; mons veneris

ز

في الأصل . - ليس لها تعريف (إذ لم تأت مستقلة) .

قلت : جاء ذكرها في معرض شرح الثنية فرأيت ذكرها في رقم خاص معاً يقابلها في اللغتين والشرح اللازم ، لعلاقتها بالموضوع .

في (ق) . - العانة ، الأتان والقطيع من حمر الوحش . ج عون بالضم . وشعر الركب (والركب محرّكة العانة أو منبتها أو الفرج أو ظاهره . أو الركبان أصلاً الفخذين عليها لحم الفرج أو خاص بهن ج أركاب وأراكيب) .

في معجم المتن . - ... ومنبت الشعر في قبّل المرأة والرجل . ويقال للشعر هذا إسب ، وشيعة [انظر الرقم - ٢ الشعر ومنه (١٧)] . في لاروس ذي المجلدين . - برزة مثلثة الشكل في النهاية السفلى من البطن ؛ والقسم الأمامي من عظمي الحرقفة . ما أضفته :

(آ) - الطيّق (*)

Pénil

ف

Pubic eminence

ز

(*) في (ق) : الطبقي ، عظم رقيق يفصل بين كل فمارين ؛ وظهر فرج المرأة .

ب) — قُنَّة الزَّهْرَةِ (*) (جبل الزهرة)

Mont de Venus

ف

Mons veneris

ز

١ — عاني

Pubien

ف

Pubic

ز

٢ — عظم العانة

Os du pubis

ف

Pubic bone

ز

٣ — خِزَع العانة

Pubiotomie ; hébotomie ; hébostéotomie

ف

Pubiotomy ; hebotomy ; heboosteotomy

ز

٤ — قَمَل العانة (مَقْل)

Morpion ; pou du pubis

ف

Pubic crab louse

ز

★ ★ ★

(٢١٩) الأَعْفَاج (= المصارين)

Intestins (m.)

ف

Intestine ; gut

ز

في الأصل . — الأَعْفَاج والمصارين ، الأمعاء .

في (ق) . — العَفْج محرّكة ، ما ينتقل الطعام إليه بعد المعدة .
ج أعفاج ... والمصير كأمير ، المعاء ج أمْصِرَة ومُصْرَان جِج مصارين .
في متن اللغة . — العَفْج ج أعفاج وعِفْجَة ، المعى ' أو ما سفّل منه .
أو مكان الكَرْش لما لا كرش له ، وما ينتقل إليه الطعام بعد المعدة وهو
من الإنسان كالمصارين لذوات الخُفِّ وانظِلَف التي تؤدي إليها الكرش ما دفعته .

(*) في (ق) : القُنَّة الجبل الصغير ، وقُلَّة الجبل .

قلت : لقد أطلق المؤلف الأعفاج (وهي جمع عفج) توسعاً على الأمعاء عامة مع أن شرح (ق) و (الم) فيه تخصيص ولذا فقد أطلقت لجنة المصطلحات الطبية كلمة العفج على ما كان يسمى قبلاً (اثنا عشر) لطوله قدر اثنتي عشرة أصبعاً ترجمة للكلمة اللاتينية (Duodenum) ومعناها (قدر اثنتي عشرة أصبعاً) المستعملة بالفرنسية لذلك القسم من الأمعاء الذي يلي المعدة وينصب فيه ما تجيء به قناة المعشكة والقناة الصفراوية من المفرزات الخاصة بكل من المعشكة والصفراء .

أما الأمعاء وواحدها معى ' كلأى ' فهي (الرئبض = الأمعاء أو ما في البطن سوى القلب والرئة) .

في (ل) ٠ - الأمعاء ، أحشاء بطنية تبدأ من لدن المعدة حتى الشرج . وبحسب قطرها جمعت قسمين : الأول (معى دقيق ، بطول ٦ - ٨ أمتار في الإنسان وهي على أجزاء : عفج ، وصائم ، ولفائي . الثاني) معى غليظ ، بطول ١٦٤٠ - ١٧٠٠ متراً يلي المعى الدقيق وهو أيضاً على أجزاء : ممرغة أو أعور ، وقولون ، ومستقيم .

وفيا يلي ما يقابل كل هذه المصطلحات العربية ، باللغتين الفرنسية والانكليزية معها أضافته ، زيادةً .

ما أضافته ، على وجه خاص ، في المضافة :

١ - معى ابتدائي = مُعَيْدَة

Intestin primitif ; gastrula

ف

Primitive gut ; gastrula

ز

أقسام الميدة :

آ (جوف فومي

Cavité gastruléenne ; archenteron

ف

Archenteron ; coelenteron

ز

ب) سدادة مُحَيِّنَة

Bouchon vitellin	ف
Ecker's plug	ز

ج) مَنَتِيح الجرثومة ، فم ابتدائي

Blastopore ; bouche primitive	ف
Blastopore ; protostoma	ز

د - عُقْدَة هَنَسِن

Nœud de Hensen	ف
Hensen's knot	ز

٢ - معى أمام الفم

Intestin préoral	ف
Fore - gut ; head - gut	ز

٣ - معى خَلْفِي

Intestin postérieur	ف
Hind - gut	ز

٤ - معى متوسط

Intestin moyen	ف
Midgut	ز

وعلى وجه عام ، أضفت :

١) معى دقيق

Intestin grêle	ف
Small intestine	ز

٢) معى غليظ

Intestin (gros)	ف
Large intestine	ز

(٣) عَفْج (= اثنا عشر)

Duodénium

ف

Duodenum ; dodecadactylon

ز

(٤) صَائِم

Jejunum

ف ، ز

(٥) لِفَائِي

Iléon

ف

Ileum

ز

(٦) مِمْرَغَة = أَعْوَر

Cæcum

ف

Cæcum ; blind - gut ; cecum

ز

(٧) قَوْلُون

Côlon

ف

(Intestinum) colon

ز

(٨) مُسْتَقِيم

Rectum

ف ، ز

وأقسام القولون :

أ - قولون صاعد

Côlon ascendant

ف

Ascending colon

ز

ب - قولون نازل

Côlon descendant

ف

Descending colon

ز

ج - قولون حُرْفِي حَوْضِي

Côlon ilio - pelvien

ف

Sigmoid colon

ز

د - قولون معترض

Côlon transverse

ف

Transverse colon

ز

هـ (مِعْوِي)

Intestinal ; entérique

ف

Intestinal ; enteric

ز

★ ★ ★

٢٢٠ (المعدة)

Estomac (m.)

ف

Stomach

ز

في الأصل . - موضع الطعام للإنسان .

في (ق) . - المعدة ككلمة ، وبالكسر ، موضع الطعام قبل انحداره إلى الأمعاء ، وهو لنا ، بمنزلة الكرّش للأظلاف . ج مِعْدَة ومِعْد كعنب .

في (ل) ولاروس ذي المجلدين . - المعدة ، قسم من الأنبوب الهضمي

وهي جيب واسع منتبهر (منتفخ) تحت الحاجز بين المريء والعفج . تجتمع

فيه الأطعمة وتتكتل بعد الانهضام . شكلها يحاكي الزمار ذي القِربة (*) .

يوصف لها وجهان : أمامي ، وخلفي (أي حافتين) . أحد الوجهين في

الأيمن والأعلى ويسمى (انحناء صغير) ، والآخر في الأيسر والأسفل ويسمى

(انحناء كبير) . الفتحة العليا التي تصل المعدة بالمريء ، هي (سُدفة المعدة) ؛

والفتحة السفلى التي تتصل بالعفج هي (بواب المعدة) . تتألف المعدة من

Cornemuse (*)

أربع طبقات (مصلية ، عضلية ، خلوية ، مخاطية) . الطبقة المخاطية منهن مؤلفة من اثنا آت عديدة جداً تحتوي على غدد تفرز الحميرة (هضمين*) ، والمخاطية (**) ، والمصارة المعدية .

ففي المعدة تترج الأطعمة وتنترك عدة ساعات حتى تصبح كحريرة مشلول (***) فتدفع إلى الأمعاء . [المصارة المعدية تخثر الحليب ، وتحلّمه (****) (= تحلل) الميوليات] .

أهم ما أضفت :

١ - انحناء صغير

Petite courbure
Lesser curvature

ف
ز

٢ - انحناء كبير

Grande courbure
Greater curvature

ف
ز

٣ - بَوَّاب (المعدة)

Pylore
Pylorus

ف
ز

٤ - جسم (المعدة)

Corps
Body

ف
ز

Pepsine (*)

Mucus (**)

Assimilabale (***)

Hydrolyse حَلْمَة (****)

٥ - حَدَبَةٌ كَبِيرَةٌ (قَعْر)

Grosse tubérosité ; fond ; fundus

ف

Fundus

ز

٦ - حُدَيْبَةٌ (غَارِ الْبَوَابِ)

Petite tubérosité : antre du pylore

ف

Pyloric antrum

ز

٧ - سُدْفَةٌ

Cardia

ف

Cardia : œsophageal orifice

ز

وعن نسج المعدة ، أضفت :

٨ - خَلَايَا مُحِيطَةٌ ، ظَاهِرَةُ الشَّكْلِ

Cellules bordantes , délomorphes

ف

Border , delomorphous cells

ز

٩ - خَلَايَا رَئِيسَةٍ ، مَرَكْزِيَّةٌ ، غَيْرُ ظَاهِرَةِ الشَّكْلِ

Cellules principales , adélomorphes

ف

Principal , adelomorphous cells

ز

وعلى وجه عام ، أضفت :

١ (مَعْدَةُ حَجَنْاءَ (أَشْعَةُ)

Estomac crochet (rad.)

ف

Fish - hook , hook shaped

ز

٢ (مَعْدَةُ كَالسَّاعَةِ الرَّمْلِيَّةِ (أَشْعَةُ)

Estomac biloculaire , en sablier

ف

Bilocular , hour - glass stomach

ز

(٣) معدة متمددة	
Estomac dilaté	ف
Dilated stomach	ز
(٤) معدة هابطة	
Estomac ptosique	ف
Ptotic stomach ; dropped stomach	ز
(٥) معدي	
Stomacal ; gastrique	ف
Stomacal ; gastric ; gastro -	ز
(٦) معدي ثربي	
Gastro - épiploïque	ف
Gastro - epiploic	ز
(٧) معدي عقجي	
Gastro - duodénal	ف، ز
(٨) معدي معوي	
Gastro - intestinal	ف، ز
(٩) معديّات ، مهضّيات ، هاضومات	
Stomachiques ; stomacaux	ف
Stomachic ;	ز
(١٠) تشنج المعدة	
Gastrosasme	ف
Gastropasme ; cramp ; spasm in the stomach	ز
(١١) تنظير المعدة	
GastroscoPie	ف
GastroscoPy	ز

(٧)م

(١٢) منظار المعدة

Gastroscope

ف ، ز

(١٣) هبوط المعدة

Gastroptose

ف

Gastroptosis

ز

★ ★ ★

(٢٢١) المثانة

Vessie (f.)

ف

Urinary bladder

ز

في الأصل . — مجتمع البول .

في (ق) . — موضع الولد ، أو موضع البول . (قلت : ما أعجب هذا ،

من تناقض) !

في (ل) ولاروس ذي المجلدين . — المثانة كيس غشائي يجتمع فيه البول

آتياً عن طريق الحالبين . توجد في القسم الأمامي العلوي من جوف الحوض

وأمام المستقيم في الرجل ، وأمام الرحم في المرأة . شكلها فارغة ، شكل

مثلث . من الخلف يتصل بها (الحالبان) ^(١) ومن الأمام والأسفل تفتحإلى (الإحليل) ^(٢) بقسم دقيق هو (العنق) ^(٣) الذي تحيط به المثانة ^(٤)

(بروتات) في الرجل .

١) Urétère

٢) Urètre

٣) Col

٤) Prostate

ما أضفته :

١ - مثانة مخرومة كالعمود

Vessie en colonnes ou columnaire

ف

Fasciculated , trabeculated bladder

ز

٢ - مثانة مستثارة

Vessie irritable

ف

Irritable bladder

ز

٣ - مثاني

Cystique , vésical

ف

Cystic , vesical

ز

٤ - التهاب المثانة

Cystite

ف

Cystitis

ز

٥ - خزّع المثانة ؛ نَحَتْ

Cystotomie ; taille ; lithotomie

ف

Cystotomy ; lithotomy

ز

٦ - منظار المثانة

Cystoscope

ف ، ز

وعلى وجه عام :

(أ) إحصيل

Urètre

ف

Urethra

ز

(ب) مَوْثَة

Prostate

ف

Prostate , prostata

ز

(ج) مَوْثِي

Prostatique

ف

Prostatic

ز

(د) التهاب المَوْتَة

Prostatite	ف
Prostatitis	ز

(هـ) خَرَّتْ المَوْتَة

Forage	ف
• Forage • of prostata	ز

★ ★ ★

(٢٢٢) المَطَا

Dos (m.)	ف
Back ; dorsum	ز

في الأصل . - المطا ، الظهر .

في (ق) . - مطا : جدّ في السير وأسرع وأكَل الرُّطْب من الكياسة . وتمطى النهار وغيره امتد وطال . والمطى : التَّمَطَّى والظهر ج أمطاء والظهر خلاف البطن .

في معجم متن اللغة . - مطا مَطَوًّا وأكل الرُّطْب من المَطَو وهي الكياسة (*) . والمطا ، الظهر أو جبل اثنان من عصب أو عقب أو لحم ج أمطاء .

في (ل) . - الظهر ، في الفقرات : الجزء الخلفي في الجسم من لدن الكتفين حتى الحوض .

(*) قلت : الكياسة بالكسر هي العِذْق .

ما أضفته :

١ - ظهر الشرج التركي

Dos de la selle turcique

ف

Dorsum sellæ

ز

٢ - ظهر مدور

Dos rond

ف

Round back

ز

٣ - ظهري

Dorsal

ف

Dorsal ; posterium

ز

٤ - سُّهَام ظهري تشنجي

Tabès dorsal spasmodique

ف

Spasmodic tabes

ز

★ ★ ★

(٢٢٣) الصلب

Colonne vertébrale

ف

Vertebral column

ز

في الأصل . - الصلب ، هو عَظْمٌ في وسط الظهر وهي ٢٤ فقرة .
 في (ق) . - الصلب بالضم وبالتحريك عَظْمٌ من لدن الكاهل إلى
 العجب كالصالب . ج أَصْلَبُ وَأَصْلَابٌ وَصِلْبَةٌ .
 قلت : هذا التعريف ينطبق على (العمود الفقري) فوضعت ما يقابله
 بالفرنحيتين (في الرقم ٢٢٣ هذا) .

في (ل) ٠ - العمود الفقاري ، ساق عظمية تمتد من لدن قاعدة الجمجمة حتى مبدأ الفخذين في الحيوانات العقرية . أما في الإنسان فيتألف العمود الفقري من رَاكِب ٣٣ فقرة وهو ذو أربع انحناءات (٧ فقرات عنقية (١) - ١٢ فقرة ظهرية (٢) - ٥ فقرات قطنية (٣) - فالمَجْزُر (٤) - فالعُصْصُص (٥) .

- | | |
|------------------------|---------------------|
| ١) Vert . cervricales | ٢) Vert . dorsales |
| ٣) Vert . lombaires | ٤) Sacrum |
| ٥) Coccyx | |

هذا وبالفرنسية يرادف العمود الفقاري كلمة Rachis أي السيساء . وكلمة Échine الشوك الظهرية . و Épine dorsale السنسنة . وفيما يلي (في الرقم ٢٢٤ - الفقرة) ذكر بعض أقسام الفقرة وما يقابلها .



الدكتور صلاح الدين السواكي

(يتبع)



صفحات من تاريخ الاستشراق

-٦-

(ويليام موير) :

كان السير (ويليام موير William Muir) [١٨١٩ - ١٩٠٥] من كبار الموظفين الإنكليز في الهند . وقد نشر اعتباراً من سنة ١٨٥٣ سلسلة من المقالات في (مجلة كلكتوتا Calcutta Review) ، جمعها آخر الأمر في كتاب ضخم من أربع مجلدات بعنوان (حياة محمد) (١) .

والكتاب في فصوله المتعلقة بالحوادث التاريخية لا يتضمن شيئاً جديداً ، ولذلك كان من الأفضل اختصاره . وأكثر المعلومات في المجلد الأول الذي يبحث في تاريخ العرب قبل الإسلام مقتبس من كتاب (دو برسفال) . إلا أن هناك بعض الفصول على جانب كبير من الأهمية مثل : الفصل الأول من المقدمة الذي يبحث في مصادر السيرة ودرجاتها المختلفة من الصحة ثم الفصل الثالث من السيرة الذي يتكلم فيه على « إيمان محمد بإلهامه » ثم الفصل السابع عن علاقة الإسلام بالمسيحية ، والفصل السابع والثلاثين عن « شخصية الرسول وأخلاقه » ..

(١) William Muir. Life of Mahomet . London 1858 - 1861.

إن طريقة العرض واضحة ، رزينة ، ولكنها تم عن تعصب ديني متطرف ، يبعد المؤلف عن الروح العلمية والنظرة الموضوعية في كثير من أحكامه ...

(شبرنجر) :

كذلك نلاحظ سمة الإطلاع وقوة النقد مع التحيز والتهجم في كتاب المستشرق النمساوي (ألويس شبرنجر Alois Sprenger) [١٨١٣ - ١٨٩٣] عن « حياة محمد وتعاليمه » (١) .

كان (شبرنجر) طبيباً ، رحل إلى لندن ودخل في خدمة الإنكليز الذين أرسلوه إلى الهند وعهدوا إليه بإدارة مدرسة (دلهي) ومطبعة (كلكتوتا) .

ثم انتقل إلى ألمانيا ، وقوى تدريس العربية في برلين ، وانقطع بعد ذلك إلى التأليف .

يبدأ (شبرنجر) دراسته باستعراض النظريات المختلفة التي أبداها قبله المستشرقون في شخصية الرسول (ﷺ) . وهو يقول : « إن الباحثين في ألمانيا قد جردوا كلمة (نبي) من كل معنى ودلالة ، ثم ادعوا أن محمداً كان نبياً . » وقد اعتقد (موير) أن الرسول كان آلة في يد الشيطان بينما رأى فيه (قارلايل) شخصية خارقة للعادة وبطلاً فذاً . أما نتائج دراسات (شبرنجر) فقد أدت به إلى اليقين بأن الإسلام لم ينبثق عن إرادة رجل بل عن حاجات العصر . وإذا كان (قارلايل) قد تطوع ليقول كل شيء حسن عن الرسول فإن (شبرنجر) يريد اتباع الطريق العاكس . إنه تطوع

(١) Alois Sprenger, Das Leben und die Lehre des Mohammed, Berlin 1861.

للقيام بدور (محامي الشيطان) الذي يستنبط من مدائح أنصار الرسول الجوانب التي يراها مظالمة في شخصية الرسول ، كما أنه يلفت الانتظار في كل مناسبة إلى النقاط التي يعتقد أنها دليل على الضعف البشري .

ويجب الاعتراف بأن (شبرنجر) أتقن التمثيل في دور (محامي الشيطان) . وليس المسلمون وحدهم ، بل إن أكثر المستشرقين أيضاً لم يقبلوا حكم (شبرنجر) الذي أراد أن ينسب إلى الرسول (ﷺ) مرض الهستريا . وقد لاحظ المستشرق الهوللاندي المشهور (سنوك هورغرونيه) أنه ليس هناك أي دليل أو شاهد يؤيد هذا التشخيص . وعدا ذلك فإن (شبرنجر) لا يقدم لنا سوى كلمة مجردة ولا يفسر لنا شيئاً من شخصية الرسول وسر عظمته .

ولكن على الرغم من رفض الفكرة الأسامية في كتاب (شبرنجر) ورغم الإسهاب في مناقشة الموضوعات وكثرة الاستطرادات ، فإن المستشرقين عامة يعتبرونه من أهم الدراسات عن حياة الرسول لأنه اتخذ القرآن مصدراً أساسياً لهذه الدراسة ، واستشهد بما يقارب الثلاثين من سور القرآن التي تولى (شبرنجر) ترجمتها بنفسه . يقول (ولهاوزن) « إن كتاب (شبرنجر) كنز ثمين من المعلومات والأفكار .. فإن المؤلف لم ينظر إلى الآداب العربية على أنها مجموعة من الشواهد لتوضيح قواعد التحويل أهم بمحتواها ، وما تضمنته من أفكار وتيارات ... » . ولا شك في أن (شبرنجر) قد تقدم خطوات هامة في دراسة المصادر عن حياة الرسول ، واستطاع أن يبرهن على أن الكتب العربية التي ألفت بعد القرن الخامس الهجري لا يمكن الاعتماد عليها لأنها منسوخة بصورة غير انتقادية عن المؤلفين السابقين الذين يجب الرجوع إليهم والأخذ عنهم مباشرة ...

(نولدكة) :

أما المستشرق الألماني (تيودور نولدكة Theodor Nöldeke) [١٨٣٦ - ١٩٣٠] فالآراء متفقة على أنه من أكبر المستشرقين وأوسعهم علماً ، وأكثرهم تحقيقاً ، وأقربهم إلى الإنصاف والعدل والحقيقة . وهو على الرغم من ميله الطبيعي إلى الآداب اليونانية قد دفسته الأقدار إلى الاستشراق ، كما أن جهوده في الدراسات الشرقية قد تركزت حول المسائل اللغوية ، رغم أن اهتمامه كان متجهاً في الأصل إلى الناحية التاريخية .

وعلى كل حال فإن كتابه « تاريخ القرآن » قد أصبح دعامة لا يستغني عنها كل من يريد دراسة الإسلام وشخصية الرسول . وهو قد استند إلى هذه الدراسة في تأليف كتاب مختصر عن « حياة محمد » موجه إلى جمهور كبير . وزاه يشير في المقدمة إلى أن الدراسات التاريخية — الانتقادية التي بدأها أمثال (وابل) و (موير) و (شبرنجر) لم تبلغ مداها بعد . إلا أنه كانت هناك ، كما يقول ، حاجة إلى نظرة إجمالية تلخص نتائج البحوث العلمية الحديثة . ويصرح (نولدكة) بأنه قد استفاد من دراسات المستشرقين المتأخرين الذين مر ذكرهم ، ولكنه اعتمد أيضاً على بحوثه الذاتية . وهو يخالف (شبرنجر) في أحكامه وينتقد اندفاعه وطريقته الشخصية ؛ وفي الحقيقة يمتاز كتاب (نولدكة) بالنظرة الموضوعية . وقد اعتقد المؤلف أنه ، لأجل إصدار حكم عادل على محمد (ﷺ) ، لا يكفي أن نستعرض حياته كني وواعظ وحاكم ، بل ينبغي أن ننظر أيضاً إلى سلوكه مع أتباعه وأصدقائه وفي شؤونه اليومية . فإن صفاته التي نعرفها بالتأكيد تكشف عن سمو الخلق وكرم النفس . أما أخطاؤه فإنها ترجع ، في رأي (نولدكة) ،

إلى عادات عصره وطبائع شعبه . وينتهي (نولدكه) إلى القول « بأن ليس هناك أدنى شك في أن محمداً كان مؤمناً برسالته التي تتلخص في هداية قومه إلى العقيدة الصحيحة ، وإتقاذهم من العقاب الأبدي ... »

نظرية (جريمي) في رسالة محمد ﷺ :

مضت فترة طويلة بعد مؤلفات (وابل) و (موير) و (شبرنجر) و (نولدكه) قبل أن يظهر كتاب جديد عن الرسول ، له قيمة خاصة ، يتصف بالاستقلال في الرأي ويكشف عن فواح غير معروفة ، ونقصد بذلك كتاب « محمد ، (١) للمستشرق الألماني (هوبرت جريمي Hubert Grimme) الذي يتضمن المجلد الأول منه حياة الرسول ، والمجلد الثاني المدخل إلى القرآن . إن المصادر التي يستند إليها (جريمي) قد سبق نشرها جميعاً ، ولكنه يتبع طريقة جديدة في استخدامها تختلف عن المؤلفين الذين سبقوه . فهو ، قبل كل شيء ، يلتزم الحذر الشديد تجاه روايات رجال الحديث والسيرة ، ويقول : « رغم الاعتراف بأن مجموعات الحديث القديمة تشتمل على كثير من الأخبار الصحيحة إلا أنه من المؤكد أيضاً أن التزوير المقصود قد شاع في هذا الموضوع أكثر من غيره ، ولم يتوصل الباحثون بعد إلى وسيلة مضمونة للتمييز بين الصحيح والزيف . ثم إن مجموعات الحديث تعبر ، في نظر (جريمي) ، عن الروح التي كانت سائدة في المدينة ، ولكنها لا تعطينا صورة دقيقة عن الحالة في مكة . إنما لدينا ، لحسن الحظ ، مصدر غني تدفق منه الحقائق التاريخية هو القرآن . وقد سعى (جريمي) إلى الاستفادة من هذا النبع إلى أقصى حد ممكن . والصعوبة الكبيرة هنا إنما ترجع

(١) Hubert Grimme : Mohammed .

Muenster 1892 — 1895.

إلى الاختلاف في تحديد الوقت الذي نزل فيه بعض الآيات . لذلك حاول (جريمي) أن يعالج هذا الموضوع في الجزء الثاني من كتابه .

على أن الطرافة في كتاب (جريمي) هي دعواه بأن محمداً (ﷺ) لم يكن ، في بادئ الأمر ، يشر بدين جديد ، بل إنما كان يدعو إلى نوع من الاشتراكية . يقول (جريمي) : « إن الإسلام ، في صورته الأولى الأصلية ، لم يكن يحتاج إلى أن نرجعه إلى ديانة سابقة تفسر لنا تعاليمه . ذلك لأننا ، إذا نظرنا إليه عن كثب ، زاه لم يظهر إلى الوجود كمقيدة دينية ، بل إنما كمحاولة للإصلاح الاجتماعي تهدف إلى تغيير الأوضاع الفاسدة ، وعلى الأخص إلى إزالة الفروق الصارخة بين الأغنياء الجشعين والفقراء المضطهدين لذلك زاه يفرض ضريبة معينة لمساعدة المحتاجين . وهو إنما يستخدم فكرة الحساب في اليوم الآخر كوسيلة للضغط المعنوي وتأييد دعوته ... »

ويترف (جريمي) بأن فكرة الإصلاح الاجتماعي — الاشتراكي قد اصطدمت بمقبات لا يمكن اجتيازها ، وتحطمت على صخرة العصبية القبلية والمصالح الطبقية ، وتطورت الدعوة الإسلامية فانقلبت إلى ديانة ذات أهداف ما وراء الطبيعة .

وقد رد المستشرق الهوللاندي (سنوك هورجرونيه) على هذه النظرية في بحث طويل نشره في « مجلة تاريخ الأديان » (المجلد ٣٠ لسنة ١٨٩٤) ، ويثبت أن الفكرة الأساسية في الدعوة المحمدية هي فكرة يوم الحساب . أما الخوض على الإحسان ومساعدة المحتاجين فتلك فضيلة شائعة في الشرق ، ويتفق فيها الإسلام مع اليهودية والمسيحية ، ولا يجوز أن نبني عليها فرضية كالتي وضعها (جريمي) والتي تجعل من الرسول داعية اشتراكياً ...

موقف الاستشراق من سيرة الرسول في العصر الحاضر :

تابع المستشرقون في أوائل القرن العشرين نشر المصادر العربية عن تاريخ العرب والإسلام ، وتوسعوا في دراسة هذه المصادر وتقدها . فقد تم في سنة ١٨٩٨ طبع تاريخ الطبري في (١٣) مجلداً ، وهو يجمع معظم الروايات القديمة عن حياة الرسول . وكان من أهم المصادر القديمة التي نشرت أيضاً كتاب « الطبقات الكبير » لابن سعد . وقد عهد المجمع العلمي في (بروسيا) بتحقيق الكتاب إلى لجنة من كبار المستشرقين تحت إشراف الأستاذ (أدوار ساخاو Eduard Sachau) فصدر في (١٥) مجلداً في (ليدن) بين سنة ١٩٠٤ و ١٩٢٨ . والمجلد الأول يروي سيرة الرسول في مكة ، والمجلد الثاني أخباره في المدينة ، والمجلد الثالث يصف غزواته ، بينما تشمل المجلدات الأخرى تراجم أحوال الصحابة والتابعين .

وقد نشر المستشرق الطلياني الأمير (ليون قابتاني Leone Caetani) بين سنة ١٩٠٥ وسنة ١٩٢٦ عشر مجلدات من مؤلفه الضخم (حوليات الإسلام Annali dell' Islam) الذي جمع فيه كل الأخبار والروايات عن الحوادث التاريخية منذ الهجرة مرتبة حسب الزمن سنة بعد أخرى ، وقد اشتملت المجلدات العشر على حوادث الفترة من السنة الأولى إلى السنة الأربعين للهجرة . وقول (قابتاني) مناقشة كل الروايات وتقدها والتعليق عليها ... ولكن على الرغم من كثرة المصادر وتراكم الوثائق لا يمكن القول بأنه قد ظهرت مؤلفات جديدة للمستشرقين ترسم شخصية الرسول (ﷺ) بصورة واضحة ، وتكشف عن مر عظمته وحقيقة تعاليمه وأهميتها في تاريخ البشرية . وقد ازداد الموضوع تشعباً واتسع نطاقه بعد أن صار المستشرقون لا يكتفون بالبحث في سيرة الرسول كما كانت في الواقع ، بل يحاولون أيضاً

معرفة الصورة التي تكونت عنه لدى المسلمين ، وكيف تطورت هذه الصورة مع تعاقب العصور . ولعل وفرة المواد هي التي أدت إلى تشتت الدراسات ، وتوقف الباحثين عند بعض المسائل الجزئية . أضف إلى ذلك أن بعض الباحثين في هذا العصر لم يستطيعوا التجرد عن التعصب الديني ، فأخذوا يثيرون الشكوك ويشوهون الحقائق .

يتجلى لنا ذلك في كتاب المستشرق الانكليزي (مارجليوث D. S. Margoliouth) عن « محمد وقيام الإسلام »^(١) . وقد استفاد المؤلف من عدة مصادر جديدة لم يستخدمها الذين سبقوه ، وأظهر مهارة في الوصف ، ولكنه اندفع مع أهوائه ! ونسب إلى الرسول (ﷺ) الخداع والتضليل . كذلك نلاحظ تأثير التعصب الديني عند الأمير (قايتاني) الذي يبالغ في نقد الروايات الإسلامية ، ويتحامل في حكمه على الرسول في كتابه « دراسات عن التاريخ الشرقي Studi di storia orientale » الذي خصص المجلد الثالث منه لترجمة « حياة محمد الرسول ورجل الدولة » .

وليس غريباً أن يلجأ مبشر يسوعي مثل الأب (هنري لامنس) إلى تحريف النصوص وتشويهها والتلاعب بالبراهين للظن في العرب والمسلمين ، فهو لم يقصد الكشف عن الحقيقة بل الدس والتضليل والتشنيع في جميع مؤلفاته التي يحوم بعضها حول سيرة الرسول ، مثل مقاله عن (عمر محمد) في المجلة الآسيوية سنة ١٩١١ حيث يرجع تاريخ ولادة الرسول إلى سنة ٥٨٠ خلافاً لجميع الآراء التي تتفق على أن ذلك كان حوالي سنة (٥٧٠) ؛ ومثل كتابه «فاطمة وبنات الرسول»^(٢) الذي حاول فيه أن يرسم صورة مشوهة عن فاطمة الزهراء دون أي مستند تاريخي موثوق ؛ ثم كتبه الأخرى عن (مكة) و (الطائف) و (مهد الإسلام) وغيرها .

(١) D. S. Margoliouth, Mohammed and the Rise of Islam . London 1905.

(٢) Henri Lammens : Fatima et les Filles de Mahomet. Rome 1912

وأكثر المستشرقين ، رغم إعجابهم بكثرة معلومات (لامنس) وسعة اطلاعه وطلاوة أسلوبه لم يستطيعوا إلا انتقاده وفضح مغالطاته ، والتحذير من الاعتماد عليه .

يتدح جمهور المستشرقين كتاب « حياة محمد »^(١) للمستشرق الدانماركي (فرانتس بول Frants Buhl) الذي صدر في (كوبنهاجن) سنة ١٩٠٣ ثم ترجم إلى الألمانية في سنة ١٩٣٠ بعد تنقيحه وتوسيعه بالاتفاق بين المؤلف والمترجم المستشرق المروف (شيدر H. H. Schaefer) والكتاب يتحاشى الفرضيات البراقة ، ويمتاز بالدقة في دراسة كل التفاصيل ، ويقتصر على الأخبار الموثوقة ، ويعترف بوجود ثغرات في معلوماتنا . وقد رجع المؤلف إلى جميع المصادر المروفة ، فدرسها دراسة انتقادية ، مستقلة ، وأضاف إليها قصائد الشعراء المعاصرين للرسول التي أهملها الكتاب الذين سبقوه .

ومع الاعتراف بأن المؤلف قد حاول التزام الحياد والتمسك بالنظرة الموضوعية المجردة ، فإنه لم يتحرر من الأحكام السابقة المأدية بالنسبة إلى شخصية الرسول وصفاته الأخلاقية .

ولعل المؤلف الوحيد بين الباحثين الحديثين الذي بذل جهوداً صادقة لفهم شخصية محمد (ﷺ) وإدراك حقيقة رسالته هو المستشرق السويدي (تور آندريه Tor Andrae) .

نشر (تور آندريه) في سنة ١٩١٨ كتابه عن « شخصية محمد في تساليم جماعته وعقيدتهم »^(٢) الذي استطاع أن يصف لنا فيه شخصية الرسول

(٢) Frants Buhl, Das Leben Muhammeds. Leipzig 1930

(٢) Tor Andrae, Die Person Muhammeds in Lehre und Glauben seiner Gemeinde . Stockholm 1918

كما تصورها المسلمون في مختلف العصور ، وأن يستعرض ما نشأ لديهم من أساطير حوله ، وأن يشرح آراء المتكلمين والمتصوفين في معجزات الرسول وعصمته وتعجيدته .

ثم أصدر (تور آندريه) في سنة ١٩٣٠ كتاباً ثانياً عن محمد : حياته وعقيدته ، ترجم إلى الألمانية والانكليزية واليطالية والفرنسية . وهذا الكتاب صغير الحجم لا يتجاوز (١٥٠) صفحة ولكنه يمتاز بالطرافة والاستقلال في الرأي والرزانة في الأسلوب ، والمؤلف لا يريد التوسع في ذكر الحوادث المعروفة ، ومناقشة الروايات المختلفة ، كما اعتاد غيره من المستشرقين ، ولكنه يسمي إلى إيضاح مفهوم الوحي عند الرسول وشرح مضمون الرسالة التي كان يشر بها ، والبرهان على صدق عقيدته ، ووصف ما كان يتحلى به من مكارم الأخلاق كالإخلاص والتواضع والبساطة والوداعة والتقوى .

ومثال (تور آندريه) يثبت لنا أن إخلاص المسيحي لعقيدته الدينية ، لا يمنع من أن يحاول النفوذ إلى روح ديانة أخرى ، وأن يقوم بالمقارنة بين مختلف المقائد في سبيل إدراك جوهر الفكرة الدينية .

وأخيراً نستطيع القول بأن أكثرية المستشرقين لم يتوصلوا إلى تكوين فكرة صحيحة عن محمد (ﷺ) بسبب تعصبهم الديني . أما القلائل الذين تحرروا من هذه النزعة فيرجع فشلهم في فهم شخصية الرسول إلى مبالغتهم في النظرة التاريخية . فقد انصرفت جهود الباحثين منذ أوائل القرن التاسع عشر حتى هذه الأيام إلى الكشف عن المنابع والأصول التي اقتبست منها الديانة الإسلامية . ألم يبلغ الأمر يعض المستشرقين إلى محاولة إرجاع كل شيء في القرآن - سواء أكان فكرة دينية أو حكمة أخلاقية أو نصاً قانونياً ،

أو قصة أدبية - إلى نموذج قديم في كتب اليهود أو المسيحيين أو الفرس أو في تقاليد العرب الجاهليين ؟ وقد عارض (تور آنديره) هذه الطريقة في البحث ، وأشار إلى أن جوهر النبوة لا يمكن تحليله إلى مجموعة من آلاف العناصر الجزئية . ومهمة الباحث ، في رأيه ، هي أن يدرك كيف تتألف من العناصر والمؤثرات المختلفة وحدة جديدة ، أصيلة تنبض بالحياة . فالإسلام لا ينكر صلاته بالديانة اليهودية والمسيحية وعقائد الحنيفية ، وتقاليد العرب القدماء ، ولكن ذلك لا يعني أنه مجرد مجموعة من هذه العناصر ...

الدكتور محمد كامل عباد



فوات الوفيات في طبعته الجديدة

(الجزء الثاني)

- ٥ -

٣٨ - وجاء في الصفحة ٣٩٣ « محمد بن الحسن بن عبد الله بن الشبل
أبو علي الشاعر الحكيم البغدادي » . صوابه « ابن الشبل » لا ابن الشبلي » ،
بذلك اشتهر وفي الكتب ذكر ، فمن الكتب التي ذكرته المتداولة المطبوعة
معجم الأدباء لياقوت وقد سماه الحسين قال : « الحسين بن عبد الله بن يوسف
ابن أحمد بن شبل أبو علي البغدادي ، ولد في بغداد وبها نشأ وبها توفي
سنة ٤٧٤ كان متميزاً بالحكمة والفلسفة (١) » . وتاريخ أبي الفرج ابن
الجوزي الكبير قال في وفيات سنة ٤٧٤ : « محمد بن الحسين بن عبد الله
ابن أحمد بن يوسف ابن الشبل أبو علي ، من أهل شارع دار الرقيق ،
مع الحديث (٢) ... » . وعن الدين بن الأثير في تاريخه الكامل في وفيات
سنة ٤٧٣ قال : « وفيها توفي أبو علي بن شبل الشاعر المشهور ومن شعره
في الزهد ... » وذكر له أبياتاً . وعيون الأنباء في طبقات الأطباء ،
قال مؤلفه : « ابن الشبل البغدادي هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن يوسف ،
مولده ومنشؤه ببغداد وكان حكيماً فيلسوفاً ومتكلماً فاضلاً ... (٣) » . ودمية

(١) معجم الأدباء « ٤ : ٣٨ » طبعة مرغوليث .

(٢) للتنظيم « ٨ : ٣٢٨ » .

(٣) ج ١ ص ٢٤٧ طبعة ملر « اسرى القيس بن الطحان » .

القصر وعصرة أهل العصر قال البخارزي مؤلفها : « أبو علي بن شبّل البغدادي ، رأيته ببغداد فوجدته وقد شدّ على الأدب الجزل أزرار ثيابه وجمع أقسام الفضل ملء إهابه ... (١) » . والنجوم الزاهرة ، قال ابن تفرّي بردي في وفيات سنة ٤٧٣ هـ ، « وفيها توفي محمد بن الحسين بن عبد الله بن أحمد بن يوسف ابن الشبلي (كذا) أبو علي الشاعر البغدادي ، كان شاعراً مجيداً (٢) ... » . وقد وقع فيه الوم الذي وقع في فوات الوفيات ، وذكره قبله الصفدي في تاريخه للرجال قال : « محمد بن الحسين ابن عبد الله بن أحمد بن يوسف ابن الشبّل أبو علي الشاعر الحكيم البغدادي ، توفي في المحرم سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة (٣) ... » .

٢٩ - وجاء في الصفحة ٤٠٠ في ترجمة أبي اليمن محمد بن الخضر بن أبي المهزول التنوخي المعروف بالسابق « دخل بغداد وجالس ابن باقيا والأبيوردي والخطيب التبريزي » ، وصوابه « ابن باقيا » بالنون ، وقد مرّ الشيخ بضبطه إلا أنه لم يضبطه بالحفظ ، قال ابن خلكان في ترجمته : « وناقيا بفتح النون وبعد الألف قاف مكسورة ثم ياء مثناة من تحتها مفتوحة وبعدها ألف (٤) » .

٤٠ - وورد في الصفحة ٤٠٣ « محمد بن خليفة بن حسين أبو عبد الله النميري العراقي الشاعر المعروف بالسنبستي ، أصله من هيت ، أقام بالحلة عند سيف الدولة صدقة بن مزيد ... » . قلت : الذي علمناه وحفظناه « السنبستي » على وزن « الزبرجي » . قال الصفدي : « محمد بن خليفة ابن حسين أبو عبد الله النميري » العراقي الشاعر المعروف بالسنبستي (اسم

(١) دمية القصر « ص ٨٣ طبعة المطبعة العلمية بحلب » .

(٢) النجوم الزاهرة « ١١١ : ٥ » .

(٣) الوافي بالوفيات « ١١ : ٣ » .

(٤) وفيات الأعيان « ٢٨٨ : ١ » طبعة إيران « قلت ذلك لأنه أعاد طبع الوفيات

قبل فوات الوفيات وأحال عليه في الحواشي مرّات » .

أمه منسبة) أصله من هيت أقام بالحلّة (١) عند سيف الدولة . . . وهو شاعر مشهور ، ترجم له المهاد الاصفهاني الكاتب في الخريدة وابن الفوطي في تلخيص معجم الألقاب في الملقبين بالقائد (٢) ، واستطرد إلى ذكره ابن الأثير في تاريخه الكامل وياقوت في معجم البلدان غير مرة . وترجم له القفطي في كتابه «المحمدون» من الشعراء .

كانت دموعي مَحْرَأً قبل بينهم فمذ نأوا قصرتها لوعة الحرق
و «حمرأ» جمع أحمر هنا وهي منصوبة بكونها خبر كانت ، ولكن الشيخ الفاضل ضبطها «حمرأ» بالفتح والقصر ، والصواب ما ذكرنا لأنه القاعدة العربية المطردة ، قال تعالى في سورة طه : «يوم يُنفخ في الصور ونحشر الجرمين يومئذ زُرْقًا» . فهذا للعاقل ، وقال تعالى في سورة الكهف : «ويلبسون ثياباً خضراً من سُندس واستبرق» . وهذا لغير العاقل كالدموع .

٤٢ — وجاء في الصفحة ٤٤٤ «محمد بن عبد الرحمن بن عمر الباجري الجزري» ، وجاء في الحاشية من تعليق الشيخ «الباجري» نقلاً من الشذرات «٦ : ٦٤» كما قال الشيخ الفاضل في تعليقه (٣) ، وفي الصفحة ٤٤٥ «فطلب الباجري» . والذي علمناه وحفظناه «الباجربقي» بالباء بعد الراء نسبة إلى «باجربق» (٤) ، قال الصفدي : «محمد بن عبد الرحيم بن عمر الباجربقي الجزري الشيخ الزاهد محمد ابن المفتي الكبير جمال الدين الشافعي» (٥) . . .

(١) كذا ورد في الوافي بالوفيات «٣ : ٤٨» طبعه س . ديدرينغ المستشرق والصواب «الحلة» كما في فوات الوفيات .

(٢) تلخيص مجمع الآداب «ج ٤ ، القسم ٢ ص ٥٦٥ نشر وزارة الثقافة والإرشاد السورية بتحقيقي» .

(٣) الذي في الشذرات «الباجربي» لا الباجري .

(٤) قال ياقوت : «باجربق بضم الجيم وسكون الراء وفتح الباء الموحدة وقاف :

قرية من قرى بين النهرين : كورة بين البقاء ونصيبين» .

(٥) الوافي بالوفيات «٣ : ٢٤٩» .

وقال ابن حجر العسقلاني : « محمد بن عبد الرحيم بن عمير الجزري جمال الدين (١) الباجر بقي ... » (٢) .

٤٣ - وجاء في الصفحة ٤٤٦ « محمد بن عبد الرزاق بن رزق الله الرسغي المدل شمس الدين المحدث » . والذي علمناه وحفظناه « ابن عبد الرزاق » بتقديم الألف على الراء ، قال الذهبي في وفيات سنة (٦٩٠) من العبر : « وابن المحدث ، المدل شمس الدين محمد بن عبد الرزاق بن رزق الله الرسغي الحنبلي نزيل دمشق ... » (٣) . وقد وهم الصفيدي قبل ابن شاكر الكتيبي وذكره باسم « عبد الرزاق » قال : « محمد بن عبد الرزاق بن رزق الله بن أبي بكر المدل العالم شمس الدين الرسغي (٤) » . وليس ذلك من الغلط المطبعي لأنه ذكره بين « محمد بن عبد الرزاق الساوي » و « محمد بن عبد الرشيد الاصبهاني » . فابن شاكر الكتيبي نقل ترجمة الرجل من الوافي واحتمل عهدة الغلط ، ووقع في الغلط نفسه ابن العماد في وفيات سنة ٦٨٩ قال : « وفيها شمس الدين أبو الفضائل محمد بن عبد الرزاق الرسغي - نسبة إلى رأس عين بلدر - الحنبلي (٥) ... » . وكذلك ورد في ذيل طبقات الحنابلة المطبوع باعتناء الشيخ محمد حامد الفقي فقد جاء فيه « محمد بن عبد الرزاق بن رزق الله الرسغي وقد سبق ذكر أبيه (٦) ... » . ووقع الغلط في اسم أبيه هناك أيضاً (٧) .

(١) في نسخة « كمال الدين » .

(٢) الدرر الكامنة « ١٢ : ٣ » .

(٣) العبر في خبر من بحر « ٣٦٤ : ٥ » .

(٤) الوافي بالوفيات « ٢٥١ : ٣ » .

(٥) الثدرات « ٤١٠ : ٥ » .

(٦) ذيل طبقات الحنابلة « ٣٢٤ : ٢ » طبعة مطبعة السنة المحمدية .

(٧) المرجع المذكور « ص ٢٧٤ » .

٤٤ - وورد في الصفحة ٥٧ ؛ في ترجمة تاج الدين ابن شقير الدمشقي « وكان تاج الدين يلقب بالهدهد ، فأعطاه الملك الناصر ضيعة على نهر نورا ، فحسده جماعة . . . » . ولم يُسأئل الشيخ نفسه أين نهر نورا هذا ؟ فالصواب « نهر ثورا » قال ياقوت بالفتح والقصر اسم نهر عظيم بدمشق وقد وُصفَ في بردأى وقد جاء في شعر بعضهم (ثورة) بالهاء وهو ضرورة .

٤٥ - وورد في الصفحة ٥٨ ؛ « محمد بن عبد المنعم بن محمد بن شهاب الدين الخيمي الأنصاري اليمني الأصل المصري الدار » . فملق الشيخ محقق الكتاب في الحاشية باسمه مانصه « له ترجمة في شذرات الذهب لابن العماد وقال : « ابن الخيمي شهاب الدين محمد بن عبد المنعم بن محمد ، فلعل كلمة بن الواقعة بين محمد وشهاب الدين زائدة في أصول الكتاب » . قلت : إنه لم يرجع إلى المرجع الأصلي لابن شاكر الكتي وهو الوافي بالوفيات فقد جاء فيه « محمد بن عبد المنعم بن محمد شهاب الدين ابن الخيمي الأنصاري الأصل المصري الدار (١) . . . » . فإن المذكورة زائدة بالتحقيق .

٤٦ - وجاء في ترجمة أبي سعد محمد بن علي ابن المطلب الكرمانى الكاتب الشاعر « وكان كاتباً سديداً مليح الشعر إلا أنه كان قليله كثير الهجاء دقيق الفكر فيه . . . » . والجملة مطردة التركيب واضحة المعنى إلا أن مقابلتها بالأصول التاريخية الأدبية تظهر تصحيفاً فيها ، ففي الوافي بالوفيات ١٥٠ : « وكان كاتباً سديداً مليح الشعر إلا أنه كان ثلثة كثير الهجاء دقيق الفكر فيه » . ومن المعلوم أن القول المقبول للصفدي لأن كتابه مرجع ابن شاكر الكتي ولولا وجود الوافي بالوفيات ما استطاع ابن شاكر أن يؤلف فوات الوفيات . ويؤيد كلمة « ثلثة » ماورد في معناها ومن

أصلها في كتب أخرى ، قال العماد الأصفهاني الكاتب : « وكان هجّاماً على المهجاء وثلب الكبراء » (١) .

٤٧ - وورد في الصفحة ٤٧٧ قول أبي سعد ابن المطلب المذكور :

فهذا يدل على أن من قوَّيَ وبُزِلَ لا يعقل
وفي الخريدة المذكورة « يُولِّي ويَعزِل » وهو انصواب .

٤٨ - وجاء في الصفحة ٤٨٢ قول الشيخ محي الدين ابن عربي :

حتى إذا صاح الغراب بينهم فضح الفراق صباية الحزون (٢)
وقد وضع الشيخ علامة الاستفهام في آخر البيت ، ولو علّق عليه أن فيه إقواءً لكان ذلك أحسن فالقافية مضمومة .

٤٩ - وجاء في الصفحة ٥٠٢ في ترجمة صدر الدين محمد بن عمر ابن

المرحل ، ابن ثلوكيل « وعمل مجلدة في السؤال الذي حضر من عند استدمر نائب طرابلس » . هكذا ورد « استدمر » بالتاء والذي علمناه وحفظناه « أسندمر » بالنون . قال ابن تفرّي بردي في حوادث سنة ٦٩٤ : « ثم في يوم الخميس سابع عشر المحرم أمسك السلطان الأمير أسندمر وقيدته وحبسه بالقلعة (٣) » . فقال محقق الكتاب في الحاشية : « هو أسندمر بن عبد الله الكرّجي سيف الدين ، توفي سنة ٧٢١ كما في الدرر الكامنة وفي هامشها والمنهل الصافي أنه توفي سنة ٧١١ » ، وكرّروا أكثر هذه الحاشية عند تكرار اسمه في حوادث سنة ٦٩٨ وفي ذكره ما يدل على أنه كان إذ ذاك

(١) خريدة القصر « قسم العراق ١ : ١٨٣ نشر المجمع العلمي العراقي بتحقيق الأستاذ الأديب الشير محمد بهجة الأثري » .

نائب طرابلس (١) ثم كرّر اسمه مرات في الكتاب ، وفي الذي ذكرناه
مجزأة عن الإطالة .

٥٠ - وورد في الصفحة ٣١ : في ترجمة محمد الأمين « ثمّ جهز
عبد الرحمن بن جبلة الأنباري في أربعين ألف فارس » . والذي علمناه وحفظناه
« الأبنائي » ، بتقديم الباء على النون نسبة إلى أبناء فارس الذين ولدوا في
البلاد العربية في الجاهلية أو الإسلام ، قال تاج الإسلام في « الأبناء » من
الأنساب : « يقال في التعريف : فلان من الأبناء والنسبة إليه أبنائي »
وكل من ولد باليمن من أبناء الفرس وليس من العرب يسمونه الأبنائي ،
هكذا ذكره أبو حاتم بن حبان البستي ، وقال أبو علي الفسافي : الأبنائي
منسوب إلى الأبناء وهم قوم يكونون باليمن من ولد الفرس وجهم كسرى
مع سيف بن ذي يزن إلى ملك الحبشة باليمن فغلبوا الحبشة وأقاموا باليمن ،
فلولدهم يقال الأبناء ... » .

وقال ابن خلكان في ترجمة وهب بن منبه اليامي : « وهو معدود في
جملة الأبناء » ، ومضى قولهم : فلان من الأبناء أن أبا مرّة سيف بن ذي يزن
الحميري صاحب اليمن لما استولت الحبشة على ملكه توجه إلى كسرى أنوشروان
ملك الفرس يستنجد به عليهم ... وخلاصة الأمر أنه سيّر معه سبعة آلاف
فارس من الفرس وجعل مقدمهم وهرز وهكذا قال ابن قتيبة ، إلى أن قال :
« والمقصود من كل هذا كله أن جيش الفرس لما استوطن اليمن تأهلوا
ورزقوا الأولاد فصار أولادهم وأولاد أولادهم يدعون (الأبناء) لأنهم من
أبناء أولئك الفرس ... » .

قلت : الصواب ما ذكره السمعاني أولاً قال أحمد بن أبي طاهر عن المأمون
أنه قال : « ما في الدنيا أشجع من عجم أهل خراسان ولا أشد شوكة

ولا أنقل وطأة على عدو... فقال القائد : ما في الدنيا قوم أشجع من أبناء خراسان المولدين ولا أفك منهم... وقال نصر بن سبث... وأما الأبناء فلم أر مثلم لا يكلّون ولا يملون ولا ينهزمون^(١)... فالصواب « الأبناءوي » .

٥٠ - وورد في الصفحة ٥٧٦ « شمس الدين محمود الكوفي الحنفي الواعظ » وأورد له شعراً ، وقد وهم مؤلف فوات الوفيات في اسمه فان اسمه « محمد » لا محمود ، قال مؤلف الحوادث في وفيات سنة (٣٩٠) هـ : « وفيها توفي شمس الدين محمد بن عبيد الله الهاشمي الكوفي الواعظ وكان أديباً فاضلاً عالماً شاعراً ، ولي التدريس بالمدرسة التثنيّة وخطب في جامع السلطان ووعظ في باب بدر وكان عمره نحو اثنتين وخمسين سنة وكان له شعر حسن^(٢) ... » وأورد له شعراً ، وقد كان ذكره مرات ، وذكره ابن الفوطي في تلخيص جمع الآداب في معجم الألقاب مرات كذلك ، وذكره غيرها وهو في كل ذلك « محمد » لا محمود .

٥١ - وورد في الصفحة ٥٩١ « التاج الصرخدي رحمه الله تعالى » . ولم يذكر المحقق اسمه ولم يجد مرجعاً يرجع إليه في ذلك ، وهو على ما ذكره جمال الدين ابن الصابوني « الفقيه الملامة أبو الثناء محمود بن عابدين الحسن بن محمد بن علي التميمي الصرخدي الحنفي » قال : « أحد الفضلاء المتميزين والعلماء الصالحين ، جمع بين الفقر والأدب^(٣) ... » وأطنب في مدحه ونقته ، وذكره محيي الدين القرشي وذكر أن لقبه « تاج الدين » وأنه ولد سنة

(١) تاريخ بغداد « ص ١٤٣ ، ١٤٤ » طبعة أوربة .

(٢) المسمى الحوادث الجامعة وهما « ص ٣٩٠ » .

(٣) تسكئة إكمال الإكمال « ص ٢٥٤ ، ٢٥٥ » طبعة المجمع العلمي العراقي تحقيق شبكة

٥٨٢ وتوفي سنة ٦٧٤ وذكر مقطوعة من شعره (١). وله ترجمة في النجوم الزاهرة (٧: ٢٤٩، ٢٥٠، والسلوك (١: ٦٢٤، والشذرات (٥: ٣٤٤).
 ٥٢ - ووردت في الصفحة ٥٩٧ ترجمة « فخر القضاة ابن بصاقة » .
 وقد تركه الشيخ الفاضل على هذه التسمية المجردة من غير تعليق ، وهو « نصر الله بن هبة الله بن محمد بن عبد الباقي الغفاري أبو الفتح » ٥٧٧ - ٦٥٠ ، وقد ترجم له محيي الدين القرشي وذكر أنه فقيه شاعر ماهر ، كان خصيصاً بالملك المعظم عيسى ابن الملك العادل الأيوبي ثم بابنه الملك الناصر داود ، وذكر له شعراً (٢) ثم ذكره في باب الأبناء بصورة « ابن بصانة نصر الله بن هبة الله بن محمد بن عبد الباقي فخر القضاة أبو الفتح الصفاري (كذا) » (٣) . وترجم له انقريزي في وفيات سنة (٦٥٠) قال : « وتوفي فخر القضاة أبو الفتح نصر الله بن هبة الله بن عبد الباقي بن هبة الله ابن الحسين بن يحيى ابن بصاقة الكنتاني الكاتب الوزير للناصر داود ، الأديب المنشيء » (٤) وذكره ابن المبراد في وفيات (سنة ٦٥٠) قال : « وفيها فخر القضاة نصر الله بن هبة الله بن بصاقة الحنفي الكاتب ، من شعره » (٥) وذكر له أحياناً .

٥٣ - وورد في الصفحة ٦١٥ ما هذا نصه « هكذا وجدت اليتيم في زينة الدهر تأليف أبي المعالي الخطيري » ، هكذا بتقديم الخاء المعجمة

(١) الجواهر المضية في طبقات الحنفية « ٢ : ١٥٨ » .

(٢) الجواهر المذكورة « ٢ : ١٩٩ » وقد تصحف فيه بصاقة إلى رصافة ، والغفاري إلى الصفاري .

(٣) المرجع المتقدم « ص ٣٩٢ » .

(٤) السلوك « ١ : ٣٨٥ » .

(٥) الشذرات « ٥ : ٢٥٢ » .

على الطاء ، والصواب « الحظيري » ، بالطاء المعجمة أخت الطاء المهملة ، وهو « أبو المعالي سعد بن علي بن القاسم بن علي بن القاسم بن علي بن القاسم الأنصاري الخزرجي الوراق الحظيري المعروف بدلال الكتب ، قال ابن خلكان : « كانت لديه معرفة وله نظم جيد وألّف مجاميع ما قصر فيها ، منها كتاب (زينة الدهر وعصرة أهل العصر وذكر أطفاف شعر العصر) الذي ذيله على دمية القصر لأبي الحسن الباخريزي (١) . . . » ، وذكر أنه توفي سنة ٥٦٨ هـ ، ثم قال : « والحظيري بفتح الحاء المهملة وكسر الطاء المعجمة ومسكون الياء المثناة من تحتها وبمدّها راء . وهذه النسبة إلى موضع فوق بغداد يقال له الحظيرة ، ينسب إليه كثير من العلماء ، والثياب الحظيرية منسوبة إليها أيضاً ، وله ترجمة في كتب أخرى .

٥٤ - وجاء في الصفحة ٦١٦ في ترجمة أبي القاسم هبة الله بن الحسين الملقب بالبديع الأسطرابي « وتوفي سنة أربع وثلاثين وخمسمائة بعلّة الفالج ودفن بمقبرة الوردية » . فملق الشيخ على هذا التاريخ مانصه « في معجم الأدباء : أربع وثلاثين ومائة . تحريف » . ولم يذكر الطبعة التي وقع فيها التحريف من معجم الأدباء ، ففي طبعة مرغوليوث « مات ببغداد بعلّة الفالج سنة ٥٣٤ (٢) ، ولا تحريف فيها .

٥٥ - وورد في الصفحة ٦١٧ في ترجمة هارون الرشيد « وخرج عطف ابن الوليد السامري بالموصل والوليد بن طريف ، وخرج الخزر من باب الأبواب وخرج عمر الشاذي من شهرزور » . فالسامري والشاذي تصحيف « الشاري » ، وهو من أسماء الخوارج ويجمع على الشراة ، كما هو مشهور معلوم عند المختصين بالتاريخ والفقهاء والأدباء .

(١) الوفيات ١ : ٢٢٠ من طبعة إيران .

(٢) معجم الأدباء « مختصر الجزء السابع ص ٢٤٢ من الطبعة المشار إليها في الأعلى .

٥٦ - وجاء في الصفحة ٦١٨ في ترجمة أبي القاسم هبة الله بن الفضل بن القطان البغدادي الشاعر « وسمع الحديث من جماعة منهم أبوه وأبو طاهر محمد بن الحسن الباقلاني وأبو الفضل أحمد بن الحسن ابن جيرون الأمين ، هكذا ورد « جيرون » بالجيم ، والذي علمناه وحفظناه « خيرون » بالخاء المعجمة قال الذهبي في المشته - ص ١٩٤ - « خَيْرُون : أحمد بن خَيْرُون المصري ... والحافظ أبو بكر (١) أحمد بن الحسن بن خيرون وأخوه عبد الملك ، سمع البرقاني ، وابن أخيه مقيء بغداد مع سبط الخياط ، أبو منصور محمد بن عبد الملك . والأول هو المراد قال ابن الجوزي في وفيات سنة ٤٨٨ : « أحمد بن الحسن بن أحمد بن خيرون أبو الفضل الباقلاني ، ولد لثلاث بقين من جمادى الآخرة سنة ست وأربعمائة وسمع الحديث الكبير وكتبه ، وله به معرفة حسنة ، روى عنه أبو بكر الخطيب وحدثنا عنه أسيافنا وكان من الثقات وشهد عند أبي عبد الله الدامغاني ثم صار أميناً (٢) ثم ولي إشراف خزانة الفلات وتوفي ضحوة يوم الخميس رابع عشر رجب هذه السنة ودفن بمقبرة باب حرب (٣) » .

هذا آخر ما استوجب التعقيب مما اعتدته أوهاماً ، تبقى فطنة لايهام القارئ الشادي ، والباحث المبتدئ البادي ، ومع ذلك فينبغي لي أن أشكر للأستاذ الشيخ الفاضل محمد محيي الدين عبد الحميد مجهوده الأدبي للتاريخ الحميد ، فقد أجاد وأفاد ، ولكنه لو كان أشرك معه باحثاً آخر أو باحثين لتفادى من هذه الأوهام الكثيرة المزلفة وأخرج الكتاب بهيأة (٤) مشرقة ،

(١) جاء في حاشيته المنيبة « كذا بخط المؤلف وصوابه أبو الفضل » . وقد صدق المعلق .

(٢) أي أميناً على أموال الأيتام .

(٣) المنتظم « ٩ : ٨٧ » .

(٤) هذه طريقة سلكناها في كتابة كل همزة مفتوحة في داخل الكلمة شبكة

لأن الاختصاص اليوم شرط من شروط نشر التراث الأدبي "فالمصري" المحقق يعرف المصريين أكثر من غيره ممن هم ليسوا بمصريين ، والمراقي المدقق أعلم بالمراقين ممن سواه وكذلك الشامي البارع أدرى بالشاميين ، وكتاب فوات الوفيات يترجم لرجال من مختلف المصور ومختلف الأصقاع والأقطار ، ومختلف صنوف الرجال . وقد وقمت في الكتاب غلطات مطبعية ومنها ما ليست بمطبعة فحشرناها معها ، وهي :

الصفحة	الغلط	الصواب
٣٨	ابن شانيل	ابن شاتيل
١٣٤	هيات إن	هيات أن
١٣٥	أيا هجري	أيا هاجري
١٧٩	هب الهوى	هب الهواء
١٨٠	ولالأزاهر	ولالأزاهر
٢٠١	رفع الظلم	دفع الظلم
٢٠٤	عسكسته	عكسته
٢١٨	فقاري	(مصحف)
٢٧٤	يسمى منازل	... مُنَازِلًا
٣٦٠	مَعْنَى	مَعْنَى
٣٦١	تأني أهلها	تأني ...
٣٨١	حوبر	جوبر
٣٩٠	أوزاري	أزراري
٣٩٦	درنا	درتا
٤٠٤	عاش تسمة	... تسماً (لأنها سنة)
٤٣١	السكون	الكون

الصفحة	الفلط	الصواب
٤٤٣	زُهر	زَهْر
٤٧٠	كيف تلقى	(غير موزون)
٤٧٥	فهو	فهو
٤٨٣	كتب	كتب
٥١٧	والهم	والهم (لأنه في قافية)
٥٥١	يا خليلي	يا خليلي
٥٨٠	ومات التي	ومات الذي
٥٨٠	لطيف	كطيف
٦٢٢	الحيص	الحيص ييص
٦٣٦	حملت	حملت

(بغداد)

عطفى مواد



شعر

الوقوف على الأطلال

من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث

- ٥ -

٥ - حال الشاعر حين الوقوف على الديار

يختلف هذا المعنى عن المعاني الأخرى في شعر الوقوف على الأطلال .
فالمعاني التي درسناها سابقاً تتعلق جميعاً بالديار وبقاياها ، على حين يدور
هذا المعنى الجديد على أنفس الشعراء وأحوالهم حين الوقوف على الأطلال .
وهو مع ذلك نتيجة لتأثير المعاني السابقة في أنفس الشعراء ، فهو لذلك
يتعلق بهذه المعاني ، ويرتبط بها بهذا الرباط الوثيق .

والشعراء مشغوفون بأطلال الديار ، وقلوبهم متعلقة بها . وهذا الشغف
هو الذي يشدهم إلى الأطلال ، ويجبسهم للوقوف عليها . وهو بذلك بدء
أحوالهم النفسية ومشاعرهم ، ومنطقها الأول حين وقوفهم على الأطلال .
قال امرؤ القيس (١) :

لمن طللٌ درستُ آيته وغيره سالفُ الأحرمس (٢)
تَنَكَّرُهُ العينُ من حادث ويعرفه شغفُ الأنفسِ

(١) زهر الآداب ٢٤٠ .

(٢) آية : أي علاماته وآثاره ، واحداً آية . والأحرمس : جمع حرمس ،
وهو الدهر والزمن .

- ٨١٣ -

وقال طريح بن إسماعيل الثقفي (١) :

تستخبر الدمنَ القفارَ ، ولم تكن لتردَّ أخباراً على مستخبرٍ
فظلمتَ تحكم بين قلبٍ عارفٍ مغنى أحيته وطرفٍ منكـرٍ
والحالات النفسية التي كانت تعترى الشعراء جميعاً ، والمشاعر التي كانوا
يحسون بها حين وقوفهم على أطلال الديار كثيرة متعددة . وهي على كثرتها
وتعددتها تتصف دائماً بالحزن والكآبة . والسر في ذلك أن هذه الأحوال
النفسية تنشأ عن الذكرى ، ذكرى الأيام الماضية السعيدة التي قضاها
الشاعر ناعماً سعيداً مع أحبائه . ومن طبيعة الذكرى أن تثير الحزن
والأسى . وقد ذكر الشعراء هذه الأحوال والمشاعر ، ووصفوها في شعر
الوقوف على الأطلال وصفاً حزيناً كثيلاً ، يشجي النفوس ، ويشير في أعماقها
تمطفاً وتحناً على هؤلاء الشعراء .

وكأننا بالشاعر حين يقف بالديار ، ويميل نظراته في أنحائها ، ويرى
بقاياها البالية المهجورة تغالب الفناء ، وتظل قائمة ، تثور في نفسه الذكرى ،
فيعود بخياله إلى أيام حياته السعيدة التي قضاها في هذه الربوع على وصال
مع أحبته . فتثير هذه الذكرى في نفس الشاعر الألم والحزن ، ودوا
يمتث الأحزان مثل التذكر ، كما قالت ليلي الأخيلية (٢) ، وتهيج فيها الشوق
والصباة . وقد تذهله الذكرى عن نفسه ، فيذهب به الخيال بعيداً ، ويبلغ
به الحزن مبلغاً ، فيبكي ويذرف الدموع كالأطفال . وبعد فراغ شحنة الحزن
والصباة التي تذهب وتنقضي مع ميلان الدموع يفيق الشاعر من ذهوله ،
وتثوب إليه نفسه ، ويرى أن لا طائل في الوقوف والبكاء ، فيتسلى عن

(١) زهر الآداب ٢٤٠ .

(٢) الأغاني ٧٢/١٠ - ٧٣ .

حزنه وهمه وذكرى أيامه الماضية بتتابعة طريقه في السفر ، وبحث مطيته
على السير في مجاهل الصحراء .

وهكذا فانبعاث ذكرى الأيام الماضية أولاً ، ثم ثورة الحزن والألم في
نفس الشاعر ثانياً ، وهياج الشوق والصبابة ثالثاً ، وذهول الشاعر عن
نفسه رابعاً ، والبكاء وذرف الدموع خامساً ، ثم التسلّي والتعزي سادساً ،
هي أهم الحالات النفسية التي كانت تعترى الشعراء حين وقوفهم على أطلال الديار .

وهذه الحالات النفسية التي ذكرناها نراها تتردد كثيراً في شعر الوقوف
على الأطلال . على أن أشهر هذه الحالات التي تعترى الشعراء ، وأكثرها
دورانا في الشعر هي حالة البكاء وذرف الدموع . وقلما يخلو شعر في
الوقوف على الأطلال من البكاء والدموع . فقد بكى الشعراء طويلاً على
ديار أحبابهم ، وتمللوا بوصف الديار ، وتسلاوا بنمت الأطلال ، ولا سيما
الغزلون البداة منهم . والشعراء يتصفون برقة الطباع ، ورهافة الإحساس ،
فلا نمجب منهم إذا ما بكوا في ديار الأحبة ، وأطالوا في هذا البكاء . على
أن بعضهم قد بالغوا في البكاء ، وأوغلوا في سفح الدموع حتى سالت
على خدودهم ، وبللت ثيابهم . وأبيات امرئ القيس في مملقته معروفة
مشهورة في هذا الميدان . قال (١) .

كأنّي غداةَ البين يوم تحمّلوا لدى سمّرات الحي ناقفٌ حنظلٍ (٢)
وقوفاً بها صبحي عليّ مطيهم يقولون : لاتهلك أُمّي ، وتجمّل (٣)
ففاضت دموعُ العين مني صباةً على النجر حتى بلّ دميّ محملي (٤)

(١) ديوانه ٩ .

(٢) السمرة : شجرة الصمغ العربي . وناقف الحنظل : الذي يستخرج حبه ، والحنظل
له حرارة تدمع منها العين .

(٣) المطي : الإبل ، واحداً مطية .

وكان هذ البكاء يشفي هموم الشعراء ، وبطفى غلة صدورهم ، ويمسح
عن نفوسهم لآلام الذكرى ، ويفسل عنها آثار الحرمان ، ويريمهم من
حرقة الوجد . قال ذو الرمة (١) :

خليلي ، عوجاً من صدور الرواحل بيرة حزوى ، فابكيا في المنازل
لعل انحدار الدمع يعقب راحة من الوجد ، أو يشفي نجي البلابل (٢)

* * *

وقد عمد الشعراء في وصف بكائهم وانحدار الدموع من عيونهم إلى
التصوير . فصوروا ذلك في صور طريفة ، تستوقف نظرنا منها صورتان
اثنتان شهيرتان ، تردان كثيراً في شعر الوقوف على الأطلال . الصورة
الأولى هي تشبيه انجاس الدموع من العينين وانحداره بتسرب الماء من
شقوق القربة البالية وانحداره إلى الأرض . قال امرؤ القيس (٣) .

ذكرت بها الحيّ الجميع ، فبيجت عقايل سقم من ضمير وأشجان (٤)
فسحّت دموعي في الرءاء كأنها كلى من شعيب ذات مسح وتهتان (٥)

فنحن نرى امرأ القيس قد تذكر حين وقف بالديار أجهاء ، وهم
مجمعون في الماضي ، فبيجت هذ الذكرى داءه القديم . فبكى لذلك بكاء
غزيراً ، وسحّت دموعه ، حتى بلل الدمع رداءه . ثم ذكر في تصوير

(١) ديوانه ٤٩١ - ٤٩٢ .

(٢) النجي : ما يحدث به الإنسان نفسه . والبلابل : الهموم التي تتردد في الصدور .

(٣) ديوانه ٨٩ - ٩٠ .

(٤) الجميع : المجمعون النازلون في موضع واحد . وعقايل السقم : بقاياهم . ويريد
بالسقم هواء وجبه .

(٥) الشيب : مرادة الماء البالية . والكلى : جمع كلية ، وهي رقعة تكون في

انحدار دموعه أنها تشبه قطر الماء وسيلانه من خرز قربة الماء . وقد اعتاد الشعراء أن يذكروا قربة الماء البالية في هذا المجال . والسر في ذكر القربة البالية خاصة في أمثال هذه الصورة هو المبالغة في الوصف ، وذلك أن خرز هذه القربة تكون أوسع من خرز القربة الجديدة ، وشقوقها أكثر ، وهذا أدعى لترب الماء وسيلانه .

والصورة بعد مأخوذة من صميم حياة الأعراب في البادية ، فاستقاء الماء من الآبار والندران ، ونقله في الروايا والقرب شيء مألوف في حياة الأعراب اليومية ، وهو منظر يكثر وقوع أعين الناس عليه . فلهذا أكثر الشعراء من إيراد هذه الصورة في شعر الوقوف على الأطلال في موضوع وصف بكائهم وسفحان دموعهم .

* * *

والصورة الثانية هي تشبيه انحدار الدموع من العينين أثناء البكاء بسيلان الماء من جوانب الدلو حين تنزع من البئر مليئة ، والماء يفيض من جوانبها ، ويتحدر رشاشاً أبيض نحو الأرض . قال الخطيئة في ذلك (١) :

أمن رسم دارٍ مربعٍ ومصيفٍ لعينيك من ماء الشؤون وكيف (٢)
رشاش كغربي هاجري ، كلاهما له داجن بالكرتين عليف (٣)
تذكرت فيها الجهل حتى تبادرت دموعي ، وأصحابي علي وقوف (٤)

(١) ديوانه ٢٥٣ .

(٢) معنى البيت : أمن رسم المربع والمصيف هذه الدار تبكي عيناك .

(٣) الغرب : الدلو العظيمة من جلد ثور ، يجرها بعير . والهاجري : الدقي الماهر ، والداجن : البعير الذي ألف السقي . والكرتان : كرة بالذهب حين نزع الدلو من البئر ، وكرة بالعودة لا يزال الدلو في البئر .

لقد وقف الحطيثة على دار أحبه ، فرأى أن مرور الربيع والصيف
قد غيرا آثارها ودرسائها ، فبكى لذلك ، وذرف الدمع من عينيه غزيراً
سخيناً ، حتى كانت عيناه كدلوين ترشان بأناء رشاً !

وهذه الصورة شبيهة بالصورة الأولى في الأصل ، قرية منها في الشكل
والعناصر الأخرى . وهي أيضاً مثلها مستمدة من حياة الأعراب في البادية ،
لأن استقاء الماء بالدلاء من الآبار للشرب وسقي الأغنام والأنعام ضرورة
لازمة لهذه الحياة ، وعمل أساسي من أعمال الأعراب اليومية .

* * *

وللشعراء صور أخرى جيدة طريفة في وصف سيلان دموعهم من
عيونهم حين وقوفهم على ديار الأحبة . منها تشبيه الدموع الجارية بالجمان
المنتثر من النظام . قال ذو الرمة في ذلك (١) :

قف العيسَ في أطلال مية ، واسألِ رسوماً كأخلاق الرداء المسلسلِ (٢)
أظن الذي يجدي عليك مؤثاتها دموعاً كتبديد الجمان المفصلِ
رمنا تشبيه ذرف الدموع بسقوط قطرات ماء المطر من أغصان الشجر .
قال جرّان العود في ذلك (٣) :

فيتُ كأن العينَ أفنانٌ سِدرةٌ عليها سَقِيطٌ من ندى الليل ينطف (٤)

(١) ديوانه ٥٠١ .

(٢) العيس : الإبل البيض . وأخلاق الرداء : قطعه البالية .

(٣) ديوانه ١٣ .

وقد أتى إبراهيم بن هرمة بالصورتين مماً في شعر له ، قال (١) :

كَأَن عَيْنِي إِذْ وَلَّتْ حَمُولَهُمْ مَنِي جُضًا حَامٍ صَادَفَ مَطَرًا
أَوْ لَوْلُوهُ سَلِيسٌ فِي عَقْدٍ جَارِيَةٍ وَرَهَاءَ نَازِعَةٍ الْوَلْدَانُ فَانْتَرَا (٢)
ووصف امرؤ القيس بكاءه في الديار مرة ، وصور دموعه ، فشبهها في
معرض التصوير بأشياء عديدة مختلفة دفعة واحدة ، فقال (٣) :

عَيْنَاكَ دَمْعُهَا سِجَالٌ كَأَن شَأْنِهَا أُوشَالٌ (٤)
أَوْ جَدُولٌ فِي ظِلَالِ نَخْلٍ لِلْمَاءِ مِنْ تَحْتِهِ سِجَالٌ

هذه عدة صور أتى بها امرؤ القيس في مبالغة وإغراق . ولكنها مبالغة
شيقة مستحبة ، لأنها من صنع شاعر مجيد . والشاعر يضفي على صوره
ومعانيه أشياء من عواطفه ومشاعره ، فيخفف بذلك من وقع المبالغة في
نفوسنا . والشعراء بعدئ أصحاب أخيلة مجنحة تطير بهم بعيداً في أجواء
الفن ، فنغفر لهم ، ولا نحاسبهم لذلك حساباً عسيراً .

وتابع عبيد بن الأبرص امرأ القيس في وصف بكائه وتشبيه دموعه بعدة
أشياء في صور متوالية ، مبتدئاً بقربة الماء البالية ، ومنتهاً بمجدول ماء

(١) التشبيهات ٨٠ .

(٢) ورهاء : أي حمقاء .

(٣) ديوانه ١٨٩ .

(٤) السجاء : جمع سَجَل ، وهو الدلو . والأوشال جمع وَشَل ، وهو الماء
القليل الجاري .

يجري خلال النخيل . قال عبيد (١) :

عينك دمعها سروبُ كأن شأنيها شعيبُ (٢)
أو فلج ما يطن وادٍ للماء من تحته قسيبُ (٣)
أو جدول في ظلال نخل للماء من بينه مكوبُ

هذه صور طريفة ، سريعة الحركات ، متلاحقة النغمات ، نرى فيها رقة ومرحاً ، ولا نسمع رنة الحزن ولا ترجيعات البكاء ، فهي تغيب وتختفي وراء أمواج النغم التي يوقعها الشاعر .

* * *

ولقد أفصح الشعراء عن حزنهم وألمهم في شعر الوقوف على الأطلال بعمان كثيرة وعبارات مختلفة . ولكن المعنى الذي تداولوه جميعاً ، وعبروا عنه بعبارة واحدة هو معنى الشجو ، أي الحزن الدائم العميق في مسكون ، حتى إنهم كثيراً ما كانوا يبدؤون أشعارهم بلفظ (الشجو) نفسه ، كما قال طرفة ابن العبد (٤) :

أشجاك الربع أم قديمه أم رماد دارس حممه (٥)

فهو يتساءل عن هذا الحزن أو الشجو الذي ثار في نفسه من وقوفه على الديار ، وعبر عن هذا الحزن بلفظ مأخوذ من الشجو ، فقال : أشجاك .

(١) ديوانه ١٢ .

(٢) سروب : كثير الجريان . والشعيب : قرية الماء البالية .

(٣) الفلج : الماء الجاري . والقسيب : صوت جري الماء .

(٤) ديوانه ١٤٨ .

(٥) حمه : أي فحمة ، واحدتها حممة .

وكذلك أكثر الشعراء من ذكر هياج الشوق والصباة في هذا المجال ،
واعتادوا افتتاح قصائدهم بلفظ (هاج) نفسه . قال الخطيئة (١) :

وهاج لك الصباة من هواها بحنو قراقير طللٍ محيلٍ (٢)
كما هاج الصباة يوم مرّت عوامدٌ نحو واقصة الحمول (٣)
وقال زهير بن أبي سلمى (٤) :

هاج الفؤادَ معارفُ الرسمِ قفرٍ بذى المضبات كالوشمِ
وقال حسان بن ثابت (٥) :

أهاجك بالبيداء رسمُ المنازلِ نعم، قد عفاها كلُّ أسحمٍ هاطلٍ (٦)
والشكوى من دأب الشعراء في وقوفهم على أطلال الديار . فهي حبيبة
إلى قلوبهم ، قريبة إلى نفوسهم ، يناجونها ويشونها آلامهم وأحزانهم ،
ويشكون إليها ما يكابدون من شوق إلى أهلها الطاعنين ، ويجدون في هذه
الشكوى عزاء وسلوى . وكأن هذه الديار رفيق أمين يسعدهم في بلوam ،
فيأنسون بقربه ، وينعمون ببقائه ، وينسون وحدتهم ووحشتهم عنده ، ولو
إلى حين . قال ذو الرمة في الشكوى (٧) :

وقفتُ على ربع لمية ناقتي فما زلتُ أبكي عنده وأخاطبه
وأشكيه حتى كاد مما أبته تكلمني أحجاره وملاعبه (٨)

(١) ديوانه ١٩٧ .

(٢) المحيل : المتغير .

(٣) عوامد : أي قواصد . والحمول : الإبل عليها هواج النساء .

(٤) ديوانه ٣٨٢ .

(٥) ديوانه ٣١٣ .

(٦) الأسحم : السحاب الأسعم ، وهو الأسود .

(٧) ديوانه ٣٨ ، والسان (ش.كا) .

(٨) أشكيه : أشكو إليه أمري .

وبعد فإن الاستغراق في الذكرى ، والذهول عن النفس من المعاني
التي ردها الشعراء كثيراً في شعر الوقوف على الأطلال ، لشدة حزنهم
وفرط صوابتهم وشغفهم ، حتى ما يطيقون مغادرة الديار . قال امرؤ القيس
في هذا المعنى (١) :

ظَلَيْتُ رِدَائِي فَوْقَ رَأْيِي قَاعِداً أَعْدَ الْحَصَى ، مَانْتَقِضِي عِبْرَاتِي
أَعْنِي عَلَى التَّهْمَامِ وَالذِّكْرَاتِ يَتَنَ عَلَى ذِي الْهَمِّ مَمْتَكِرَاتِ (٢)
فهو قاعد لا يبرح الديار ، ذاهل عن نفسه وعن الدنيا من حوله ،
يعد الحصى من الهم حيران آسفاً ، ويكي لهفة وشغفاً : وتأخذه الذكرى
والهجوم من كل جانب ، فيفر منها إلى رفيق الطريق في السفر يطلب
المون والمزاء .

وقد شبه كثير من الشعراء أنفسهم في ذهولهم واستغراقهم في الذكرى
والصباة بشارب الخمر الذي باكر الشراب فانتشى . قال امرؤ القيس (٣) :

فَظَلَيْتُ فِي دَمَنِ الدِّيارِ كَأَنِّي نَشْوَانُ بَاكِرِهِ صَبُوحُ مَدَامِ
وقال عبيد بن الأبرص (٤) :

ظَلْتُ بِهَا كَأَنِّي شَارِبُ صَبَاءٍ مِمَّا عَثَقَتْ بَابِلُ (٥)
فقد استغرق امرؤ القيس وعبيد في الذكرى ، وغابا في دنيا الذكريات
عن نفسيهما وعما يدور حولهما ، كما يغيب النشوان من أثر الخمر .

(١) ديوانه ٧٨ .

(٢) معتركات : أي دائنات متتابعات .

(٣) ديوانه ١١٥ .

(٤) ديوانه ٩٨ .

(٥) ظلت بها : أي ظلت بها .

على أن تشبیه الشاعر نفسه بشارب الخمر النشوان في ذهوله واستفراقه
في الذكريات حين وقوفه على أطلال الديار قد انقطع في الإسلام بعد أن
كان شائماً في الجاهلية . وهذا أثر من آثار تعاليم الإسلام التي تحرم شرب
الخمر على المسلمين .

وقد انتهى الشعور بالوجد والحزن والصبابة بالخطيئة الشاعر حين وقف
على ديار هند ، ورأى بقاياها المافية ، وفعل الزمن والرياح في آثارها ،
وبدأ يسألها عن أهلها الطاعنين ، نقول : انتهى كل ذلك بالخطيئة الشاعر
إلى الارتعاش والألم الشديد الذي يهتري من تنشه أفعى قديمة قاطعة الدم .
قال الخطيئة (١) :

قد غيّر الدهرُ من بعدي معارفها والريحُ ، قاذفتُ فيها مغانيها
جرّت عليها بأذيال لها عَصْفٍ فأصبحتُ مثلَ سَحَقِ البردِ عافيا
كأنني ساورتني يوم أسألهَا عَوْدُ من الرقشِ ، مانصفي لراقيا (٢)
وشعور الخطيئة هذا وألمه أمام هذه الآثار المافية من ديار هند هو
أعلى درجات الانفعال والحزن في شعر الوقوف على الأطلال .

الدكتور عزة حسن



(١) ديوانه ٢٠١ - ٢٠٢ .

(٢) العود : القديم المسن ، ويريد حبة قديمة هنا . والرقش : جمع رقشاء ، وهي الحبة المنقطة .

شيء من الفعل في العريية

سأعرض في هذا البحث لشيء يتصل بالفعل العربي مما له فائدة خاصة وهي دخوله في الأساليب الخاصة . ومن ذلك المادة الفعلية التي تؤلف أسلوباً التعجب وأسلوب المدح والذم .

أقول إن قولهم : « ما أحسن زيداً ، و « أحسنُ زيد » أسلوب للتعجب ، فإنه يتوصل بهذا الأسلوب إلى التعجب من « حسن زيد » .

ولو درس النحويون هذه المسألة على أنها أسلوب من أساليب الكلام لكانوا في غنى عن الذهاب في متاهات بعيدة عن العلم اللغوي .

فسر النحويون « ما أحسن زيداً ، ب « شيء أحسن زيداً أي جعله حسناً ، وما أظن أن التعجب حاصل في هذه الجملة المفسرة ، فهي كما قالوا جملة خبرية في حين أن أسلوب التعجب لا يتأتى بهذا فهو « إنشاء » .

ولم يصلوا إلى هذا التفسير إلا ليحلوا المشكلة الإعرابية ، فإن « ما ، عديم نكرة تامة بمعنى شيء ، وهي مبتدأ . ولم أستطع أن أهتدي إلى هذه النكرة وإلى تمامها وإلى تأويلها بشيء ، ثم لم أستطع أن أهتدي إلى كونها مبتدأ . ألا ترى أن « ما ، هذه لا صلة إسناد لها بما بعدها من جملة التعجب إذ لا يكون الخبر وصفاً للمبتدأ كما زعموا .

وقد بدت حيرتهم في « ما ، هذه ، فقال الأخفش : « إنها موصولة وتأويل الكلام « الذي أحسن زيداً شيء عظيم » ومعنى هذا أن الخبر محذوف . وما أظن أن أسلوب التعجب حاصل في هذه الجملة المفسرة .

وذهب بعضهم إلى أنها استفهامية ، والجملة التي بعدها خبر عنها ، والتقدير « أي شيء أحسن زيدا ؟ » ، وما أظن أن أسلوب الاستفهام مفيد للتعجب ، وهذا لم يقله إلا نحوي أفقده ثقل الموضوع التمييز بين أسلوبين مختلفين كل الاختلاف .

وقد ذهب بعضهم إلى أنها نكرة موصوفة ، والجملة التي بعدها صفة لها ، والخبر محذوف ، والتقدير « شيء أحسن زيدا عظيم » . وهذا قول ضعيف غاية الضعف .

ومن هذا العرض يتبين أنهم لم يحاولوا درس هذا الأسلوب الذي يعبر به عن التعجب ، فقد شغلوا أنفسهم بالإعراب . وكان أصحح للعربية والنحو العربي أن يقولوا في هذا التركيب « إنه أسلوب للتعجب مؤلف من « ما ، التعجبية متلوة : « فعل ، على « أفعل » ، أو « أشد ونحوها » متلوة بالمصدر في أحوال أخرى عرض لها النحاة واشترطوا لها شروطاً خاصة .

وإن هذا « الفعل » من الأفعال الخاصة غير المتصرفة التي بنيت على هيئة مخصوصة فأفادت التعجب .

ومثل هذا تقول في « أحب زيد » فهو أسلوب للتعجب مؤلف من فعل التعجب الذي جمد على هذه الصورة ليؤدي هذا الغرض متلواً بالباء ثم مدخلوها ، وبذلك ليتم هذا الأسلوب المشار إليه .

قلت : إن النحاة كانوا في حيرة في كل جزء من أجزاء هذا الأسلوب ، فقد اختلفوا في فعلية هذه المادة أو اسميتها ولا يزيد أن نعرض لأقوال كل من الفريقين ، أما الذي زيد أن نقرره فإن « أفعل » و « أقعل » من المواد الفعلية التي بنيت على هذه الصورة المخصوصة فجمدت وابتعدت عن قبول علامات الأفعال ، وذلك لانصرافها عن عناصر الفعلية وهي الدلالة على الحدث

وكنا قد رأينا مثل هذه الأفعال التي تحجرت في صورة ما ، لتؤدي معنى خاصاً وهي : عسى وحرى واخولق وكاد وكرب وغيرها .

ولا بد أن نختم هذا البحث فشير إلى قلق النحويين وعدم تثبتهم فيما ذهبوا إليه فقالوا : « ما أجمله و « أجميل » به ، ، وانهاء عندهم مفعول به في الجملة الأولى ، وفاعل في الجملة الثانية والباء حرف جر زائد .

ولا ندري ما الفرق بين الجملتين بحيث أدى ذلك إلى الاختلاف في اعتبار التعجب منه من الناحية النحوية . وهذا من غرائب أقوالهم التي لا يمكن الاطمئنان إليها .

ومن هذه الأساليب أسلوب المدح والذم ويميز عنه بمادة « نعم » للمدح و « بئس » للذم و « حبذا » للمدح و « لا حبذا » للذم . وهذه المواد من الأفعال التي تفرغت من الدلالة الفعلية وهي الحدث المقترن بالزمان ، للدلالة على المدح أو الذم في أسلوب خاص كما في « نعم الولد زيد » و « بئس المرأة هند أو بئست » .

وقد كان النحويون الأقدمون في حيرة من هذه بسبب إعراب هذه المواد في الجمل التي تقع فيها ، فقد اختلفوا فيها فذهب جمهور النحويين إلى أن « نعم » و « بئس » فعلان بدلالة دخول تاء التأنيث الساكنة عليها . وذهب جماعة من الكوفيين - ومنهم الفراء - إلى أنها اسمان واستدلوا بدخول حرف الجر عليها نحو قولهم : « والله ما هي بنعم الولد » . ورد قول الكوفيين بالتخريج النحوي المثبت في كتب النحو .

ولم يهتم النحاة باستعمال هذين الفعلين وورودهما في النصوص الفصيحة ، وذلك لاهتمامهم بمسألة الفاعل والمرفوع الذي يليه . والفاعل في هذه الجملة إما أن يكون محلياً بالألف واللام ، وإما أن يكون شيئاً آخر .

وقد قالوا في هذه الألف واللام : إنها للجنس حقيقة أو مجازاً ، وقالوا : إنها للمهد كما في قوله تعالى : « نعم المولى ونعم النصير » . ويكون الفاعل مضافاً إلى ما فيه « أل » كقوله تعالى : « ولنعم دار المتقين » .

ويكون مضمراً مفسراً بنكرة بعده منصوبة على التمييز نحو : « نعم قوماً معشره » ، ففي « نعم » ضمير مستتر يفسره « قوماً » و « معشر » مبتدأ وزعم بعضهم أن « معشره » مرفوع بـ « نعم » وهو الفاعل ولا ضمير فيها ، وقال بعض هؤلاء : إن « قوماً » حال ، وقال آخر : إنه تمييز .

وهذا الاختلاف في إعراب « قوماً » و « معشره » دليل على أن هذه المسائل قلقة في مكانها ، بل قل : إنهم لم يهتدوا إليها اهتداءً كافياً ، فهي إما أن تكون كذا وإما أن تكون أشياء أخرى .

وقولهم : إن في « نعم » ضميراً مفسراً بالتمييز شيء ملفق مصطنع ، ذلك أن الضمير لا يستعمل إلا حيث كان مسبوقاً باسم ظاهر ، والطبيعي أن يذكر الظاهر ثم يعود عليه ضميره .

وإذا قالوا : « نعم الولد زيد » فإن « زيد » خبر مبتدؤه محذوف أو أنه خبر الجملة قبله مبتدأ والتقدير « زيد نعم الولد » . أو أنه مبتدأ خبره محذوف والتقدير : « زيد المدوح » .

وهكذا انصبَّ اهتمام النحويين على إعراب هذه الأجزاء التي وقعت في هذه الجمل التي عبر بها عن أسلوب المدح والذم .

قلت : لم يهتم النحاة بورود هذين الفعلين في النصوص الفصيحة وأكثرها من الاعتماد على الأمثلة التي اصطنعوها هم أنفسهم نحو : « نعم الرجل زيد » و « نعم غلام القوم زيد » و « بئس غلام القوم عمرو » .

ومثل هذه الأمثلة لم نعرفه في لغة التنزيل مثلاً ، وذلك أن « نعم »

وردت في ست عشرة آية ، وفي جميع هذه الآيات ورد هذا الفعل مستنداً

إلى مرفوعه ولم يرد ما أسموه بالخصوص بالمدح وهو «زيد»، كما في قولهم ،
«نعم الرجل زيد» .

والآيات التي وردت فيها «نعم» هي على النحو الآتي :

الآية	رقمها	السورة
ونعم أجر العاملين	١٣٦	آل عمران
وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل وإن تولّوا فاعلموا أن الله مولاكم	١٧٣	آل عمران
نعم المولى ونعم النصير	٤٠	الأنفال
سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار	٢٤	الرعد
ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين	٣٠	النحل
نعم الثواب وحسنت مرتفقا	٣٩	الكهف
واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير	٧٨	الحج
نعم أجر العاملين	٥٨	الأنبياء
ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون	٧٥	الصافات
ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب	٣٠	ص
إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب	٤٤	ص
فنعم أجر العاملين	٧٤	الزمر
والأرض فرشناها فنعم الماهدون	٤٨	الذاريات
فقدَرنا فنعم القادرون	٢٣	المرسلات

وقد وردت «نعمًا» في آيتين هما :

إن تبدو الصدقات فينعمًا هي البقرة ٢٧١

إن الله ينعمًا بظنكم به النساء ٥٨

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة

www.alukah.net

ومثل « نعم » جاءت « بئس » في لغة التنزيل العزيز ، وليس فيها إلا آيتين على نحو ما استشهد به النحاة . ولنعرض للآيات التي جاءت فيها « بئس » وهي على النحو الآتي :

السورة	رقمها	الآية
البقرة	١٢٦	ولبئس ما شرّوا به أنفسهم
البقرة	٢٠٦	فحسبته جهنم ولبئس المهاد
آل عمران	١٢	متغلبون وتمخّشون إلى جهنم وبئس المهاد
آل عمران	١٥١	ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين
آل عمران	١٦٢	ومأواه جهنم وبئس المصير
آل عمران	١٨٧	واشترّوا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون
آل عمران	١٩٧	ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد
المائدة	٦٢	لبئس ما كانوا يعملون
المائدة	٦٣	لبئس ما كانوا يصنعون
المائدة	٧٩	لبئس ما كانوا يفعلون
المائدة	٨٠	لبئس ما قدمت لهم أنفسهم
التوبة	٧٣	ومأواه جهنم وبئس المصير
هود	٩٨	فأوردتهم النار وبئس الورد المورود
هود	٩٩	بئس الرّقد المرفود
الرعد	١٨	ومأواهم جهنم وبئس المهاد
ابراهيم	٢٩	جهنم يصلّونها وبئس القرار
التحل	٢٩	فلبئس مثوى المتكبرين
الكهف	٢٩	بئس الشراب وساءت مُرتفقاً

السورة	رقمها	الآية
الكهف	٥٠	بئس للظالمين بدلا
الحج	١٣	لبئس المولى ولبئس العشير
الحج	٧٢	وبئس المصير
النور	٥٧	ومأواهم النار ولبئس المصير
ص	٥٦	جهنم يصلونها وبئس المهاد
ص	٦٠	فبئس القرار
الزمر	٧٢	ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين
غافر	٨٦	فبئس مثوى المتكبرين
الزخرف	٣٨	فبئس القرين
الحجرات	١١	بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان
الحديد	١٥	مأواكم النار هي مولاكم وبئس المصير
المجادلة	٨	حسبهم جهنم يصلونها وبئس المصير
الجمعة	٥	بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله
التغابن	١٠	أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير
التحريم	٩	ومأواهم جهنم وبئس المصير
الملك	٦	وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير

وقد وردت «بئسما» في ثلاث آيات هي :

البقرة	٩٠	بئسما اشتروا به أنفسهم
البقرة	٩٣	قل بئسما يأمركم به إيمانكم

ويتبين من عرضنا للآيات التي وردت فيها « نعم » والآيات التي وردت فيها « بئس » أن النحاة لم يَشْغَلُوا أَنْفُسَهُمْ بِشَيْءٍ كَثُرَ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ ، بل اهتموا بمسائل لم ترد إلا قليلاً ، وأقاموا فيها المشكلات الصعبة فاختلفوا وذهبوا مذاهب شتى كما تبين لنا ذلك من أقوالهم . غير أنهم لم يهتموا بالكلام الفصيح الذي يُعَدُّ النموذج الصحيح للمرية في هذه الفترة التاريخية .

ونخلص من ذلك أن « زيداً » المذموم ، و « عمراً » المدحوم لم يكونا في هذه اللغة القوية على النحو الذي ورد في كتب النحو .

ثم جاء النحاة إلى « جذاً » و « لاجذا » لإفادة المدح والذم فقالوا في المدح : « جذازيد » ، وفي الذم : « لاجذا زيد » .

ومن ذلك قول الشاعر :

ألا جذاً أهل الملا غير أنه إذا ذكرت ميّ فلا جذاً هيا
وشأنهم في « جذاً » و « لاجذا » شأنهم في « نعم » و « بئس » فقد
اختلفوا في إعرابها كما اختلفوا في « نعم » و « بئس » .

ذهب أبو علي الفارسي وابن برهان وابن خروف - وزعموا أنه مذهب سيويه إلى أن « حَبَّ » فعل ماضٍ و « ذا » فاعله ، وأما المخصوص فجوز أن يكون مبتدأ والجملة قبله خبره ، وجوز أن يكون خبراً لمبتدأ محذوف ، والتقدير « هو زيد » أي المدحوم أو المذموم زيد .

وذهب المبرد ، وابن السراج في « الأصول » ، وابن هشام اللخمي - واختاره ابن عصفور - إلى أن « جذاً » اسم ، وهو مبتدأ ، والمخصوص خبره ، أو خبر مقدم والمخصوص مبتدأ مؤخر فركبت « حب » مع « ذا » وجعلنا اسماً واحداً .

وذهب قوم - منهم ابن درستويه - إلى أن « جذاً » فعل ماضٍ و « زيد » فاعله فركبت « حب » مع « ذا » وجعلنا فعلاً .

م (١٠)

ويبدو من هذا أنهم اختلفوا في حقيقة «حبذا» وفعليتها واسميتها ، وما ذلك إلا للفصل في كل جزء من أجزاء الجملة التي تقع فيها «حبذا» وإيقاعه في موقع إعرابي خاص . واختلافهم هذا في حقيقة هذه الأفراد التي تتكون منها جملة «حبذا» دليل على أنهم قلقون في اعتبار هذه الأساليب الفعلية الخاصة لإفادة غرض خاص هو المدح أو الذم .

أما القول في إسمية «حبذا» و«لا حبذا» فهو شيء مستبعد في جملة «حبذا» ، وذلك لأن هذا التركيب جاء لإفادة أسلوب المدح ، وإفادة المدح والذم تحصل في الجملة الفعلية ، وإن لفظ «حب» هو الفعلية ولكن الذي أبعدنا عن الفعلية الصريحة تركيبها مع «ذا» ولا يعني هذا التركيب أنها انتقلت من فعل إلى اسم . غير أن من المناسب أن نقول : إن هذه الالفاظ أفعال خاصة تحولت من فعليتها الصريحة ففرغت عن مادة الفعل من حيث الدلالة على الحدث المقترن بزمان ما للإعراب عن أسلوب خاص من أساليب الكلام ، وهو المدح والذم ، ولذلك فقدت التصرف فجمدت على حالتها المعروفة ، والقول بأنها فعل ماض غير سديد ، وذلك أن الأفعال قصد من تحولها إلى الجمود ، وتركيبها مع «ذا» إفادة للمدح أو الذم وإفادة هذا الأسلوب يعني أنه من جملة الأساليب الإنشائية ، ولا تستقيم هذه الأساليب مع الزمن الماضي .

أما القول بأن «ذا» فاعل فليس بسديد أيضاً ، وذلك أن تركيب «حب» مع «ذا» جعلها كلمة واحدة ، ولا يمكن أن تنصرف «حبذا» إلى جملة . ولعل ابن درستويه كان على حق في اعتباره «حبذا» كلمة واحدة . ثم إن «حب» لم يتضح لنا أنها أسندت إلى «ذا» فيؤدي هذا الإسناد إلى حصول فائدة ما .

وبسبب من هذا التركيب وصيرورة هذا المركب (وصيرورة هذا المركب) كلمة واحدة مال العربون في عصرنا إلى اشتقاق فعل من هذا المركب هو « حَبَذ » بمعنى « استحسن » أو « فضّل » واستعملوا من ذاك الأبنية المختلفة كالمضارع والأمر واسم الفاعل واسم المفعول وسائر الصيغ الاخرى .

وبعد فإنّ هذه الألفاظ قد اتجهت في العربية اتجاهها خاصاً للتعبير عن فن من فنون القول . ومن المفيد ألاّ تدخل هذه في اختلاف النحويين وجدلهم فتضيع في متاهات الفاعل وضمير الظاهر ، والمبتدأ وخبره المحذوف أو الخبر ومبتدئه المحذوف . وإن محاولتهم في إيجاد هذه المسميات في هذه الجمل التي أفادت التعجب والتي أفادت المدح أو الذم إضاعة للغرض الذي أطلقت من أجله . ومن المفيد أيضاً ان نكتب نحونا الجديد على شيء من هذا الفهم ، فجنب الناشئين في عصرنا الذهاب في تلك الأوهام التي تبعد اللغة عن كونها حياة يحياها العربون .

وعلى هذا فإن اللغة ليست وسيلة يعبر بها عن الفكر ، بل هي في حركاته وسكناته وهي الفكر مكتوباً أو منطوقاً به .

وأعود فأقول : إن دعوات أصحاب التيسير يجب أن تكون دعوات مفيدة فتيسر وتنبذ ما ليس من طبيعة اللغة ، وأن يكون النحو الجديد مادة تصف اللغة وصفاً بعيداً عن التعليل والتأويل ، وبذلك يتم لأصحابنا القائلين بالتيسير والداعين إليه بمقترحاتهم وآرائهم منهج علمي جديد .

وقد تقول ، إن النحو القديم في مصنفاته الضخمة يؤلف مادة من تراثنا فماذا نحن صانعون به إن أخذنا بآراء أهل التيسير التي تشكر لكثير من العلم النحوي القديم ؟

ونجيب عن هذا السؤال فنقول : إن النحو القديم وهو من تراثنا الذي نجله وتقدره قدره ينبغي أن يظل في حلقة الدراسات التاريخية ندرسه ونفهمه

بأصوله وفلسفته وعلمه وأحكامه ومناهجه التي اخذوا أنفسهم بها ، وأدى بهم ذلك الى اختلافات جوهرية وثانوية . والذي نعرفه أن العلوم كافة تخضع للتطور والتجديد ، فالفلسفة الحديثة غير الفلسفة في القرون الوسطى وغيرها في أيام الإغريق . والعلوم الطبيعية في عصرنا جديدة كل الجدة بحيث انسلخت عن أصولها القديمة وربما انقلبت النظريات ، فالذي كان مقبولا في العلم منذ قرن من الزمان لم يعد مقبولا في أيامنا . ومثل هذا حدث في العلوم الاجتماعية جميعها كما حدث تطور عظيم في المفاهيم الفنية في الرسم والنحت والموسيقى وغير ذلك .

ثم إن الدراسات النحوية في اللغات الأوربية الحديثة تذهب في هذا السبيل ، فهناك النحو الذي يتعلمه الدارسون ، وهو نحو جديد مبني على الاستقراء والوصف للنصوص الفصيحة الموروثة دون التنكر للغات الحديثة وما جد فيها من التطور في الأصوات ، وفي تركيب الجمل وسائر العناصر النحوية التي تغيرت عما كانت عليه في عصور سابقة . على أن لهذه اللغات نحواً قديماً يقبل عليه الدارسون المعنيون بالدراسات اللغوية التاريخية ليصلوا من ذلك إلى الجديد المتطور الذي يقوله الناس ويكتبونه .

ومن الخير للعربية وأبنائها أن نجري في هذا السبيل لنأخذ بالأسلوب العلمي الذي يقوم على التطور وهو سنة الحياة في مظاهرها المختلفة .

(بغداد) الدكتور ابراهيم السامرائي



مجتمع الهمداني

من خلال مقاماته

بحث بجلل المقامات وبسقف من

ورائها صورة المجتمع الذي أنشئت فيه

- ٥ -

٥ - الكُدَيَّة

الكُدَيَّة مظهر من مظاهر الفقر في المجتمع وعدم التكافل الاجتماعي بين الناس . وربما تكون في بعض الأحيان مظهراً من مظاهر المعجز أو الكسل الفردي ، وهي قديمة في التاريخ ؛ وجدت منذ وجد المعجز والفقر إلى جانب القوة والغنى مهما يختلف تأويل ذلك :

متى ماير الناس الفقير وجارؤه غني يقولوا عاجز وجليد !

الكُدَيَّة في التاريخ : وقد كانت الكُدَيَّة معروفة منذ القديم ، كما يبدو أنها كانت معروفة عند العرب قبل الإسلام حتى نهى عنها الإسلام وحاربها النبي ﷺ وحض على العمل والكسب ، وشاعت أقواله في ذلك ، ومنها « لأن يأتي أحدكم الجبل فيأتي بحزمة من الحطب فيبيعها خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه » ومنها « اليد العليا خير من السفلى » ويرجع أن تكثر الكُدَيَّة وتنتشر حيث يعم الفقر ، وتقل حيث يسود الرخاء . وقد مرّ بنا الحديث عن سوء الوضع الاقتصادي أيام الهمداني ، وهو في مقاماته إنغياً بطلما على سبيل المكدين في حرفتهم ، وبكشف لنا أساليب

خداعهم ... بل إنه يُعنى بالكدية عناية خاصة حتى كانت المحور الأساسي الذي تدور حوله معظم المقامات .

وليس مانقله إلينا الهمذاني من أخبارهم ، على كثرة وطرافته ، غريباً أو بعيداً عما عرف في ذلك العصر ؛ فلقد ذكروا أن بعض الناس كانوا يحتالون للسلب بحيل شتى ، وأن من الحيل التي يلجأ إليها بعض المكدين لجمع المال تظاهروا بالغزو والجهاد فيجمعون المال لتجهيز أنفسهم أو فك أسراهم !! وكثير من هؤلاء كانوا يركبون الدواب ويطوفون البلاد كالغزاة ليوهمو الناس بصدقهم ، بل إن في أخيار التاريخ أن جيشاً من عشرين ألفاً خرج من خراسان سنة ٣٥٥ هـ بحجة الغزو ثم ظفر بأموال الدولة وانقلب إلى جيش للسلب والنهب (١) .

ولعل من أطرف ماوصف به المكدون وأساليبهم تلك القصيدة الطويلة الرائعة المعروفة بالقصيدة السامانية والتي نظمها أبو دلف الخزرجي (٢) ومطلعها :

جفون دمعها يجري لطلو الصدِّ والهجر (٣)

وقد وصف فيها الغربة والتنقل ، وذكر حيل المكدين من كتابة التعاويذ والتآمر مع القصاصين الذين يتصدرون حلقات القصص ويأمرون المستمعين باعطاء الفقراء ثم يقاسمونهم ماجمعوا بعد انقضاء الحلقة ، كما ذكر كثيراً من أساليب المكر والخداع كتصفير الوجه أو تجريجه ، أو إيهام الناس بقطع اللسان ، أو ارتداء زي الرهبان أو الحجاج ، أو الاحتيال بالتجيم

(١) الحضارة الإسلامية ٢ : ٦٦ .

(٢) هو مسعر بن مهلهل . انظر ترجمته وأخباره في يتيمة الدهر ٣ : ٣٥٦ .

(طحي الدين عبد الحميد) .

أو باصطحاب عدد من الأطفال عليهم آثار الجوع والعري .. أو بترقيص القردة أو اللدبة ... ، وهي قصيدة جامعة حتى إن آدم متز يقول « إنها وثيقة اجتماعية عن القرن الرابع . » (١)

الكدية في المقامات : أما الهمداني فيحدثنا عن الكدية حديثاً طريفاً يتكرر له الأساليب ويمدّد المذاهب ، فلا يترك نوعاً من الكدية إلا يأتيها بنموذج منه ويمثله لنا وكأنه أستاذ فيه .

ومما يجلب النظر في أساليب المكدين التي عرضها علينا أنها ليست غريبة عنا ولا عن عصرنا ، وأنها هي نفسها الأساليب المتبعة عند المكدين المعاصرين وكأنهم توارثوها جيلاً عن جيل .

فمن المكدين من كان يجول في الأسواق رافعاً صوته في الإنشاد :

ويبي على كفتين من سويق	أو شحمة تضرب بالدقيق
أو قصعة تملأ من خرديق	يفشاً عنا سطوات الربق
يقيمنا عن منهج الطريق	يارازق الثروة بعد الضيق (٢)

أو يستجدي قائلاً :

ياقوم قد أثقل دبني ظهري	وطالبتي طلّتي (٣) بالمهر
أصبحت من بعد غنى ووفر	ساكن فقر وحليف فقر
ياقوم هل بينكم من حرّ	يعيني على صروف الدهر (٤)

(١) الحزارة الاسلامية ٢ : ١٠٧ .

(٢) المقامة الازاذية : ١٥ .

(٣) الطلّة : الزوجة .

(٤) المقامة المكنونية : ٨٤ .

فإذا نال ما طلب من أحد المحسنين أتبعه بالدعاء والشكر :

يا من عناني بجميل برّه أفضى إلى الله بمحسن سرّه
واستحفظ الله جميل ستره ان كان لاطاقة لي بشكره
فالله ربي من وراء أجره (١)

ومن المكدين من يتظاهر بالمرض ويمثل دور المصاب البتلى فيضمد ساقه أو يشدّ يده إلى عنقه أو يعصب رأسه أو يعمد إلى الارتجاف كلما شعر بدنو أحد المارة منه . . . ومنهم من كان يتظاهر بالعمى كالذي حدثنا عنه الحمداني في المقامة المكفوفية فهو « أعمى مكفوف » ولكنه سرعان ما يعرف الدينار من لسه مما جعل ابن هشام يشك في أمره ويقول « وتبعته فعلت أنه متعالم لسرعة ماعرف الدينار ... ثم فتح عن توأمتي لوز (٢) ... » ومنهم من كان يكتب حاجته على أوراق يوزعها على الناس ، شأن بعضهم اليوم ، وقد رأى ابن هشام من هؤلاء في أسواق العراق وقال لأحدهم « ألم أرك بالعراق تطوف في الأسواق مكدياً بالأوراق ؟ (٣) » . وقد تكون للمكدّ طريقة أخرى في سؤاله الناس وذلك بأن يضم الفرصة السانحة ويأتي في الوقت الملائم ، وللنفس أحوال تحب أن تصنع فيها الخير كأن يكون الإنسان مقدماً على سفر فإذا هو قبل أن تتحرك مطيته أمام سائل يتضرع داعياً له بالأمن والسلامة على حين أنه منصرف إلى التفكير في أخطار الطريق ومشاق السفر .

(١) المقامة الازادية : ١٦ .

(٢) المقامة المكفوفية : ٨٦ .

(٣) المقامة البليغة : ٢١ .

وكثيراً ما شاهد اليوم أمثال هذه الفئة من المكدين يقفون في المحطات أو مراكز انطلاق القطر والسيارات يتصيدون المسافرين حاقين بهم داعين لهم بالأمن والسلامة ، ومن هؤلاء ذلك الذي حدثنا عنه ابن هشام في المقامة البلخية حيث قال : « ولما حنى الفراق بنا قوسه أو كاد دخل عليّ شاب في زيّ ملء العين .. ولقيني من البرّ في الشاء ، ثم قال : أظننا تريد ؟ فقلت : اي والله . فقال : أخصب رائدك ولا ضلّ قائدك . فإن تريد ؟ قلت : الوطن . فقال : بلّغت الوطن وقضيت الوطر .. ، قال : إذا أرجعتك الله سالماً من هذا الطريق فاستصحب لي عدوّاً في بردة صديق من نجار الصفر يدعو الى الكفر ويرقص على الظفر ، كدارة العين يحطّ ثقل الدين وينافق بوجهين . قال ابن هشام : فعلت أنه يلتمس ديناراً فقلت : لك ذلك نقداً ومثله وعدا ... ، (١)

ومن الأحوال التي يجب فيها الخير الى النفوس أن يكون الانسان في جوّ ديني تسوده روح البذل والتعاون ، أو أن يكون الإنسان منصرفاً الى تذكر الآخرة والزهد في الدنيا ، راعياً في الأجر والثواب ... فهو في مثل هذه الأحوال أقرب الى الاستجابة وأسرع الى السخاء . . وقد عرف المكدون ذلك فرابطوا عند أبواب المساجد أو دخلوا على الناس في المساجد فوعظوهم وذكرهم حتى امتلأت قلوبهم بحب الآخرة ونعيمها والزهد في الدنيا ومباهجها ثم عرضوا على الناس بؤسهم وفقرم وطلبوا منهم عونهم ومساعدتهم ؛ إنهم كثيراً ما بدأوا واعظين مذكرين وانتهوا سائلين مستجدين !

والطريف أن بعض هؤلاء الماكرين لا يدعون مجالاً يسمح للمصلي بالانصراف ، فهم يخرجون الناس ويشدّونهم بأغلظ الأيمان لئلا يخرجوا من المسجد قبل

سماع الشكوى ، وذلك على نحو ما حدث لابن هشام في أحد مساجد أصفهان حين فرغ الإمام من ركعتيه « وأقبل على التشهد بلحييه ومال الى النحية بأخذه ، وقلت : قد سهل الله المخرج وقرب الفرج . قام رجل فقال : من كان منكم يحب الصحابة والجماعة فليعربي ممه ساعة ! قال عيسى بن هشام : فلزمت أرضي صيانة لمرضي . فقال : حقيق عليّ ألا أقول غير الحق ولا أشهد إلا بالصدق . قد جشتم ببشارة من نبيكم لكني لا أؤذيها حتى يهتر الله هذا المسجد من كل نذل يجحد نبوته . قال عيسى بن هشام : فربطني بالقيود وشدني بالحبال السود ... » (١) ، وتابع خطابه حتى ملأ جرابه وانصرف .

ومن المكدين من يستجدي بحجة البيع ؛ يزعمون أنهم يبيعون الأحرار والأوراد وكتابات لها عمل السحر ! في تحيب الأزواج بزواجهم أو إخراج الأفاعي من أوكارها ...

ومنهم من يزعم أنه اهتدى بعد ضلال ، وأن عطاء الناس له وتصدقهم عليه يعصمه من العودة الى ضلاله ، يقول واحد من هؤلاء « ... والآل لما أسفر صبح المشيب وعلتني أبهة الكبر عمدت لإصلاح أمر المعاد بإعداد الزاد فلم أر طريقاً أهدي الى الرشاد بما أنا سالكه . » ثم يقول « ودثمت إلى مكاره نذرت معها ألا أدخر عن المسلمين منافعها ولا بدلي أن أخلع ربقة هذه الأمانة من عنقي إلى أعناقكم وأعرض دوائي هذا في أسواقكم فليشتري مني من لا يتقرّر من موقف العبيد ولا يأنف من كلمة التوحيد .. » (٢)

(١) القلمة الأصفهانية : ٥٨ .

(٢) المقامة السجستانيّة : ٢٦ .

وقد يزيد في الخداع فيزعم أنه على أهبة الجهاد والغزو وإن الجود عليه
إعانة له على الجهاد في سبيل الله فيقول :

أدعو الى الله فهل من مجيب الى ذرا رحب ومرعى خصيب
وجنة عالية ماتني فطوفها دانية ماتني
إن أك آمنت فكم ليلة جحدت ربي وأتيت المريب
ثم هداني الله وانتاشني من ذلّة الكفر اجتهد المصيب
فظلت أخفي الدين في أسرتي وأعبد الله بقلب منيب (١)
يا قوم وطئت داركم بعزم لا المشق شاقه ولا الفقر ساقه ، وقد تركت
وراء ظهري حداثق وأعنا . . وخرجت خروج الحية من جحره (٢) والطارئ
من وكره مؤثراً ديني على دنيائي . . فلو دفعتم النار بشرارها ورمىتم الروم
بمحارها وأعتموني على غزوها مساعدة وإسعادا ومرافدة وإرفادا ، ولا شطط ؛
فكل على حسب قدرته وقدر طاقته ولا أستكثر البدرة وأقبل الذرّة ولا أردّ
التمرّة ، ولكل مني سهان : سهم أذلّقه للقاء وسهم أفوقه بالدعاء . . . (٣)
ولا عجب في أن يزعم الجهاد والغزو لينال المال فقد رأينا جيشاً بكامله
يزعم الغزو في سبيل النهب .

ومن المكدين من يطرق عليك الباب ليلاً ليزعم أنه ابن سبيل مقطوع
قال ابن هشام : ولما اغتمض جفن الليل وطرّ شاربه قرع علينا الباب ،
'فقلنا : من القارع المتاب ؟ فقال : وفد الليل وبريده ، وفد الجوع وطريده وحر'
قاده الضرّ والزمن المرّ ، وضيع وطؤه خفيف وضالته رغيف ، وجار يستعدي

(١) المقامة القزوينية : ٩٢ .

(٢) الحية للمؤث والمذكر ويفرقون بينهما بالوصف .

(٣) المقامة القزوينية : ٩٤ .

على الجوع... (١) ، ومثله أيضاً ذلك الذي ذكره ابن هشام في القامة الناجية . (٢)

ومن المكدين من يلجأ الى استدرار عطف الناس باصطحاب أطفاله معه ، وهو لا يتحدث إليك عن فقره وجوعه لأن عطف الأبوة أنساه ذلك ، وإنما يحدثك عن جوع أولاده وعربهم ، وأنت إن لم تتألم للرجولة الدليلة أو الأبوة الملوثة في شخصه فلا بد أن تتألم للطفولة الجائعة العارية في أطفاله ، إنه يكلمك بلسانه ويكلموك بعيونهم ، فإن لم تتأثر بلهجته فلن تقوى على صد نظراتهم الزائفة الضارعة . ولقد عرف ذلك خبثاء المستجدين في عصرنا فراح بعضهم يستتبع أطفالاً يزعم أنهم بنوه وما هم بينه !

وقد ورد ذكر هذا النوع من المكدين غير مرة على لسان الهمذاني فهذا واحد قد احتضن عياله وتأبط أطفاله (٣) ، وهذا آخر يتلود صفار في أطمار (٤) ، وربما قدّم المستجدي طفله ودفعه إلى الكلام فإن ذلك أدعى للشفقة وأنقذ في القلب ، وقد دفع بعضهم طفله إلى الكلام فقال : « ماعى أن أقول وهذا الكلام لو لقي الشعر لحلقه أو الصخر لفلقه ، وإن قلباً لم ينضجه ما قلت لنيء . وقد سمعتم يا قوم ما لم تسمعوا قبل اليوم فليشمل كل منكم بالجود يده وليذكر غده واقياً بي ولده . واذكروني أذكركم ، واعطوني أشكركم (٥) » .

(١) القامة الكوفية : ٣٠ .

(٢) القامة الناجية : ١٩٩ .

(٣) القامة الازادية : ١٤ .

(٤) القامة الجرجانية : ٥١ .

(٥) القامة التجارية : ٨٩ .

ومنها من يزعم أنه عزيز ذلّ وغنيّ افقر ؛ « إنكم لن تأنسوا حادثاً ولن تدموا وارثاً . فبادروا الخير ما أمكن وأحسنوا مع الدهر ما أحسن ، فقد والله طمعنا السكياج وركبنا الحملاج^(١) ولبسنا الديباج وافترشنا الحشايا فما راعنا إلا هبوب الدهر بغدره وانقلاب الحن لظهره فماد الحملاج قطوفاً وانقلب الديباج صوفاً وهلمّ جرّاً إلى ما نشاهدون من حالي وزيتي^(٢) . »

الكديّة الجماعية : ومن الطريف أن بعض المكديّن كانوا يؤلفون جماعات يستنضون بها عن الاطفال ويقدمون واحداً منهم يسرون وراءه ويقول الجملة فيعيدونها من خلفه . . ؛ والحق أننا نكاد لانعرف هذا النوع من الكديّة الجماعية اليوم . إذ نحن نعرف تلازم مكديّين أحدهما أعمى مثلاً أو مقعد ، أو تلازم رجل وزوجته ، أو تلازم أسرة بكاملها . أما الكديّة الجماعية فقد وصفها لنا الهمذاني في المقامة الساسانية فقال : « فيينا أنا على باب داري إذ طلع علي من بني ساسان كتيبة قد لفتوا رؤوسهم ، وطلوا بالفرّة لبوسهم ، وتأبط كل واحد منهم حجراً يدق به صدره ، وفيهم زعيم لهم يقول وهم يرسلونه ، ويدعو ويجاوبونه ..^(٣) » .

وهكذا استعرض لنا الهمذاني أنواع الكديّة وأساليب المكديّن في عصره ، وقدم لنا صوراً مختلفة عن تلك الطبقة الفقيرة التي كانت تحتال للقوت ، والتي كانت في عددها متناسبة مع مآذرك من فساد الحال وسوء الوضع في تلك الفترة ، وهي فترة قيل إنه مامرٌ على الدولة أسوأ منها ، وحسبنا منها أنها يمت فيها الدور والمقارات بما يمسك الرمق من الخبز .

(١) الحملاج من البراذين الحسن الاجياد .

(٢) المقامة التجارية : ٨٨ .

(٣) المقامة الساسانية : ٩٧ .

هـ - قلة الأمن وكثرة اللصوص

السياسة والأمن : رأينا أن الأحوال السياسية لذلك العصر كانت مضطربة وأن أوضاع الحكم فيه كانت غير مستقرة ، ولا شك أن ذلك يؤدي في أغلب الأحيان إلى فقدان الأمن وكثرة الجرائم ، ونحن لانزال إلى اليوم نشاهد الأمثلة الكثيرة على ذلك ؛ إذ لا تلبث أن ترتبك سياسة البلاد وتترزّل أوضاع الحكم حتى تنشط الجريمة ويكثر الفساد ... وما يزال الأمر كذلك حتى يعود الأمر إلى نصابه وتتولى زمام الحكم يد قوية تعرف كيف تضرب على يد البغي والفساد ..

في التاريخ : وكان طبعياً أن تكثر الجرائم وحوادث النهب في تلك الفترة التي اضطربت فيها شؤون البلاد وأصبحت المناصب الكبرى نهباً مرزّعين الأقوياء ؛ لقد كان بين الناس لصوص يسطون على القوافل في الطرقات وعلى البيوت والمخازن في المدن ، كما كان بين السياسيين والحكام لصوص يسطون على المناصب وينهبون الوظائف ، والناس على دين ملوكهم ، وإذا كان عمران بن شاهين يقتصب السلطة في أرض البطيحة ويستقل بها أيام ممر الدولة ، فقد كان ممر الدولة نفسه مقتصباً للسلطة مستأثراً بها . وبما يدل على مبلغ الاضطراب وفقدان الأمن ذلك التمرّض الوقح لقوافل الحجاج والتجار حتى بات الحاج لا يأمن على حياته ، لقد كان الحج في تلك المصور بسبب ما كان في الطرق المرية من المخافات وقلة الأمن غير ممكن أحياناً أو ممرّضاً صاحبه للموت أحياناً أخرى (١) ، وفي كتب

(١) الحضارة الإسلامية ٢ : ٥٩ .

التاريخ أن الحج تعطل غير مرة نتيجة لما حلّ بقوافل الحجاج من قتل ونهب .

وليس خبر الجيش الذي زعم الغزو وقام بالسلب يبعد عنا ، وقد ذكروا عن جنوده « المجاهدين » أنهم كانوا يخرجون ليلاً ومعهم آلاتهم من السيوف والخرااب والقسيّ والسهام ويزعمون أنهم يأمرّون بالمعروف فيسلّبون العامة مناديلهم وعمارهم وإذا تمكنوا من تفتيشهم وأخذ جميع ما معهم لم يقصروا في ذلك (١) .

وحسبنا أن نقول إن العراق لم يتمتع بالأمن قط في أثناء القرن الرابع الهجري (٢) وهو مركز الدولة وفيه قوتها ، فما بالك بالمناطق والأقاليم النائية عنه وعن مركز السلطان ؟

في المقامات : يخصّ الحمداني هؤلاء اللصوص بنصيب من مقاماته ويذكر أنواعاً منهم متعددة ؛ فيحدثنا عن يتعرض منهم للمسافرين في الطرقات كذاك الذي خرج على ابن هشام وصحبه في طريق حمص ، ثم اندمج بهم وخدمهم وعمد إلى قوس أحداً فأوتره وفوّق سهماً فرماه في السماء وأتبعه بآخر فشقه في الهواء . وقال : سأريكم نوعاً آخر ، ثم عمد إلى كنانتي فأخذها ، وإلى فرسي فعلاه ورمى أحداً بسهم أثبتته في صدره ، وآخر طيره من ظهره . قلت ويحك ما تصنع ؟ قال : اسكت يا لعمرك ، والله ليشدنّ كل منكم يد رفيقه أو لأغصنّه بريقه ... (٣) ، ثم نزع عنهم ثيابهم

(١) الحضارة الإسلامية : ٦٦ .

(٢) المرجع السابق : ٢٩٤ .

(٣) القامعة الأسدية : ٣٧ .

وكاد يذهب بها لولا أن عاجله بعضهم بطعنة قصت عليه ، ومثله الذي خرج على ابن هشام وصاحبه الاسكندري وهما عائدان من الموصل فملك عليها القافلة وأخذ منها الرجل والراحلة ... (١) .

وأما اللصوص الذين يسطون على البيوت والمحال التجارية ، والنشالون الذين يسرقون من الناس في الطرقات فقد تحدث الهمداني عنهم طويلاً في المقامة الرصافية حيث قال علي لسان ابن هشام : « خرجت من الرصافة أريد دار الخلافة وحمارة القيظ تغلي بنار الفيظ ، فلما نصفت الطريق اشتد الحر وأعوزني الصبر ، ثلث إلى مسجد قد أخذ من كل حسن سره وفيه قوم يتأملون سقوفه ويتذاكرون وقوفه ، وأدام عجز الحديث إلى ذكر اللصوص وحيلهم والطارئين وعملهم ... (٢) » ثم يتابع ذكر أسمائهم وتعداد أنواعهم حتى زاد على السبعين نوعاً ، مما جعل هذه المقامة مصدراً « دسماً » للصوص والنشالين أو لمن يريد أن يعرف شرهم ويدفع عنه أذاهم ، كما جعلها ، من ناحية ثانية ، صورة من صور الأخلاق الفاسدة والبؤس المنتشر ...

الدكتور مازن المبارك

(يتبع)



(١) المقامة الموصلية : ١٠٣ .

(٢) المقامة الرصافية : ١٦٥ .

دراسات في العربية^(١) والائلسنية^(٢)

ليس بين كل البلاد التي تضاهي جزيرة العرب حجماً ، أو بين كل الشعوب التي تناهر العرب في الأهمية التاريخية والمكانة العالمية بلد أو شعب ناله من إهمال الباحثين في المعصور الحديثة ما نال الجزيرة العربية والشعب العربي^(٣) .

بهذه العبارة الصريحة المريرة صدر زميلنا الكبير الدكتور فيليب حتي كتابه القيم (تاريخ العرب) «مكملان» ، لندن ونيويورك ، منذ نصف وثلاثين سنة .

والواقع أن الباحثين لم يهتموا بجزيرة العرب والشعب العربي حضارة وعمراناً فحسب ، بل أهملوها لغة وأدباً أيضاً ، وربما كان لإهمال اللغة العربية سبب وجيه كصعوبة البحث فيها مثلاً من قبل بحاثين لم يقضوا في دراستها أكثر من ثلاث إلى خمس سنوات ، في معاهد أوروبية أو أمريكية . وبذكر عن لسان مستشرق أمريكي شغل كرسي الدراسات العربية في جامعة هارفارد أنه كان يقول : «إن صعوبة دراسة اللغة العربية لا تتجاوز سني

(١) المقصود بهذا الاصطلاح «اللغة العربية الفصحى أصواتاً وكلاماً وصرفاً ونحواً» .

(٢) أي علم اللغة التحليلي — التطبيقي ، لينجويستيكس .

(٣) فيليب حتي وادورد جرجي وجبرائيل جبور : (تاريخ العرب) ، «مطول» ، بيروت ، دار الكشف ، الجزء الأول ، الصفحة الأولى ، هذا الكتاب هو ترجمة كتاب الدكتور فيليب كي هيتي : هيسثري أف ذي أربتر الذي نشره دار مكملان للمرة الأولى في عام ١٩٣٧ .

الدراسة التحسين الأولى . ، ولا يخفى أن لتصريح كهذا أثره في نفس الطالب الغربي ؛ إنه ، بالرغم من فكاهته ، تصريح من النوع الذي يطلق في ذهن سامعه فيترك أثراً سلبياً هائلاً لا يلبث أن يفعل فعله في ميول الطالب العملية فيحوله عن العربية والأدب ويدفعه إلى مساوئها من الدراسات . . .

ولقد كان من نتائج إهمال البحث في اللغة العربية أن أغمط حق علماء الألسنية العرب فلم يذكر تاريخ العلوم الألسنية لهم فضلاً في تطور هذا العلم الحديث وبناء صرحه . فالطالب العربي والأجنبي على السواء يجد أبحاثاً متعددة تتناول العرب ديناً وشرعاً ، أمةً ودولاً ، وجغرافية وتاريخاً ؛ ولكنه ، إذا ما تصدى للتحري عن مصادر رئيسية في لغة أجنبية ، بحث في لغة العرب ومساهمة علمائها العرب والمستعربين في بناء صرح العلوم الألسنية والنهوض بها وعزلها عن الخرافات والأوهام ، وجد أن دون غرضه خراط القتاد . والقليل القليل المتوفر من هذه الدراسات اللغوية النادرة لا وجود له إلا في خزانات كبار المستشرقين^(١) ، وعلى رفوف مكاتب أمهات الجامعات الغربية^(٢) ، ولذلك نجد النبيه من خريجي الجامعات الغربية ، في العلوم الألسنية ، لا يزال يعتقد بأن هذه العلوم الحديثة ولدت في

(١) علماء السمايات خاصة من أمثال : دي ساسي ، قلايشير ، فرايتاغ ، فوليرس ،

فيسر ، راين ، بلوخ ، يشمانوف ، قليش ، بر كلاتد ، شيتالر ، الخ .

(٢) مكاتب جامعات هارفرد ، وكولومبيا ، وپرتستن في الولايات المتحدة

الأمريكية ، مثلاً .

بور رويّال (١) وبدأت غوها العلمي الحديث بفضل السير ولِيم جوتنز (٢) ...
بينما الحقيقة العلمية تقرر بأن العرب، تسعة قرون قبل بور رويّال، ونيف وألف سنة
قبل ولیم جوتنز ، أنجّوا علماء كان لهم في ميدان العلوم الألسنية شؤون . ففي
القرن الثامن الميلادي - وربما قبل ذلك بقرنين أو أكثر (٣) - كان علماء
الألسنية من العرب والمستعربين يتجادلون في ماهية الصوت وكيفية حدوثه ،
وفي ذاتية الحرف ، وكيفية حرفه ؛ وكان منهم من يخرج إلى المناطق
المعزولة في الصحراوات العربية للاستماع إلى اللغات واللهجات المتحدث بها
هناك وللإستماع إلى لغة من هو في عروبه عريق من الذين إذا تكلموا
أجادوا وما لحنوا .

إن هذه الحقائق التاريخية المثبتة مما يقوله مستشرقو الغرب وعلماءه من
أمثال هُلْجِر يَدِرْسُون الذي يقرر ، بحق :

(١) بور رويّال دي شان ، دير يبعد ثمانية أميال تقريباً عن فرّساي بالقرب
من باريس ، أسست فيه مدرسة دينية عام ١٦٤٣ م درّس فيها لأول مرة
غراماطيق لاتيني (١٦٤٤ م) وآخر إغريقي (١٦٥٥ م) من تأليف
لائسلو - رَجي ، إي سانديز ؛ إي هيسْتِري أُو كُلاسيكال
سُكالتَرشِيب . نيويورك ١٩٥٨ ، المجلد ٢ ص ٢٩٠ .

(٢) السر ولیم جوتنز ، ١٧٤٦ - ١٧٩٤ ، مستشرق إنكليزي زائع الصيت وأول
من لفت نظر علماء الغرب إلى صلة القراءة اللغوية بين اللغة السنسكريتية الهندية
واللغات الأندو - أوروبية المنتشرة في أوروبا الغربية ، وخاصة اللغتين الإغريقية
واللاتينية الكلاسيكيتين .

(٣) هنالك من يقول بأن المبشرين المسيحيين قد ترجوا التوراة والأنجيل إلى العربية
قبل نزول الوحي على الرسول العربي . فإذا صح هذا القول - وهو لا يزال
بحاجة إلى إثبات - كان علماء الألسنية من العرب والمستعربين قد بدأوا وأتموا
دراسة العربية في العصر الجاهلي .

« أورث العالم القديم (يعني بذلك الإغريق والرومان) أوروبا ميراثاً مثقلاً بالأوهام في تاريخ اللغة ... »

« وكان انتشار المسيحية مطلع المرحلة الأولى في تاريخ العلوم الألسنية في أوروبا . فلقد جلبت معها أولى الانبساطات في أفق العلوم الألسنية ... »

« وكذلك تدين العلوم الألسنية الحديثة للبوذية بدين كبير ... » (١) ولكنه يختم قوله بتصريح لا يمت^٢ إلى الحقيقة العلمية بصلة ، فيقول :
« ليس هنالك من سبب قط لشكر المحمدية (يعني الإسلام) في هذا المضمار . » (٢) أو العلامة بيسيرسين^٣ الذي يتجاهل في أبحاثه مساهمة العرب والمسلمين في تصعيد العلوم الألسنية والارتقاء بها إلى مصاف العلوم الحديثة في الغرب ، فيقرر بأن هذه العلوم ولدت عندما بدأ الناس يتساءلون لماذا لا يتكلم البشر جميعاً لغة واحدة ؟ كيف خلقت الكلمة ؟ ما هي الصلة بين اسم الشيء الحقيقي وذاتيته ؟ ولماذا يسمى هذا الشيء كذا عوضاً عن كيت ؟ الخ . ثم يتابع بيسيرسن عرضه التاريخي هذا فيقول بأن اليهود هم سبب الفوضى في العلوم الألسنية إذ علّم أنبيأؤهم بأن اللغة هي من وضع

(١) إتش بدرسون ، سبروغثيد تشكالي إي دت^٤ نيتندي آر هتندريدي : ميتودر^٥ اوغ^٦ ريزيلتاتر^٧ كوبناغن ١٩٢٤ وقد ترجمه إلى الإنجليزية جون وبستر^٨ سبراغو ونشر في كامبريدج ، ماس ، عام ١٩٣١ بعنوان لتجويستك ساينس إن^٩ ذي ثايتين^{١٠} ميتثيري : ميتدز^{١١} إند رزلتزر^{١٢} ر الصيغة التاسعة حيث الإشارة إلى البوذية تهدف المدرسة اللغوية الهندية التي تبلورت أسسها العلمية وظهرت في أبحاث بانيني .

(٢) المصدر ذاته ، التعليق والمواش ستأتي فيما بعد .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة

www.alukah.net

الإله ، خالق كل شيء . ويزيد فيقول بأن الاغريق القدماء أيضاً سببوا تشويشاً في هذا المضمار إذ عالجوا موضوع الألسنيات معالجة فلسفية موضوعية فقال قسم من فلاسفتهم بأن اللغة وجدت وتطورت بصورة طبيعية (فوزي) وقال آخرون بأنها وضع متوافق عليه (ثوذي) . ثم يشير هذا العالم الغربي إلى أهمية ترجمة التوراة والأنجيل إلى اللغة القوطية في القرن الرابع الميلادي (١) متجاهلاً تمام التجاهل الترجمة الروسية للكتاب المقدس التي وضعها كيريلس^٢ وميتوديوس^٣ في القرن التاسع (٢) والتي لا تقل أهمية عن الترجمة القوطية . أما القرون الوسيطة فإن يسبرسن يؤكد بأنها لم تنتج شيئاً ما يستحق الذكر وبأن هذا الحال المعتم الكالح لم يزُل إلا بفضل السر وليم جونز (٣) ...

وهكذا نجد الطالب المتخرج في العلوم الألسنية من جامعات الغرب ما زال كسلفه يظن بأن القرون الوسيطة وحتى القرون السبعة التي سبقتها كانت قروناً جرداء خالية لم ينتج خلالها في العلوم الألسنية إلا ما سجله بانيني وخلفاؤه من علماء الهنود . هذا الوهم هو المسؤول الوحيد عن تصريحات علماء الغرب الذين يقولون بأن العلوم الألسنية لم تتقدم خطوة واحدة خلال الزمن الواقع بين عهد بانيني الهندي وبور رويال الفرنسي .

(١) الترجمة المعروفة باسم « ترجمة وُلْفِيلا أو وُلْفِيلاس » التي يتفق المؤرخون على أن تاريخها هو ٣٨٣ ميلادية .

(٢) أ. لِسْكِين : « سَلَفِيْشِيْه اِبِرْمَسْتَرُوْتِغ » في سلسلة تِكْسْت اَوْنْدْ اِبِرْمَسْتَرُوْتِغ دِرْ بِيِلْ المنشورة في لايبزيغ عام ١٨٩٧ ص ٣١١ .

(٣) انظر المقال المعنون « غَرَامَرْ اِنْدْ غَرَامَرْ يَنْز » في او كسْفَرْد كَلَسْتَاكْ دِي كَنْتَرِي المطبوع في أكسفورد عام ١٩٤٩ .

وإذاً ، فالهدف من هذه الدراسة (وما سيلها من دراسات في العربية والألسنية) هو تعريف القسم الأكبر من المتخرجين وذوي الاختصاص في العلوم الألسنية بفضل العرب والإسلام في تطور هذه العلوم وعرض حقائقها التاريخية عرضاً يستند إلى وثائق لا مجال للشك فيها لا تاريخياً ولا نصاً ، وثائق نشرت لا في القاهرة ودمشق وبيروت وبغداد فحسب ، بل وأيضاً في لندن وأكسفورد وأوسلو ولايبزغ وبرلين وباريس . وسوف نبدأ هذه الدراسات بالتحري عن فضل الإسلام والمسلمين من عرب ومستعربين في الأبحاث الصوتية (فَنِيَتِيكْسْ) .

بدءُ اهتمام العرب بالعلوم الألسنية

ليس من السهل تحديد تاريخ اهتمام العرب بالعلوم الألسنية . إن أول دليل على هذا الاهتمام هو الدليل الكتابي المتوفر لنا من خلال الآثار والنقوش التي عثر عليها حتى تاريخ تحرير هذا البحث . وربما عثر فيما بعد على نقوش وآثار كتابية أقدم من المراجع التي اطلعنا عليها حتى هذا التاريخ ؛ في هذه الحال ، يجب إعادة كتابة هذه المقدمة الموجزة وإبدال ما نعتبره اليوم كمطلع فجر العلوم الألسنية العربية ، ورده إلى تاريخه الصحيح الذي نعتقد بأن علماء الآثار سوف يوثقون إلى اكتشافه . وإذاً ، فإن هذه المقدمة ليست سوى حجرة مسافة موقفة نضمها على مفرق طريق طويل لا نعرف حتى الآن أين مبدأه وإن كانت لدينا فكرة واضحة عن منتهاه .

إن الآثار والنقوش التي اكتشفت حتى الآن هي كل ما لدينا اليوم من مصادر في دراسة الألسنية العربية القديمة . ومن أقدم وأوثق هذه الآثار آثار سيناء والنقوش المصرية القديمة التي يعود تاريخها إلى أولى السلالات الفرعونية ،

والتي تحتوي على ذكر وصور لأعراب عملوا في المناجم المصرية في شبه الجزيرة المذكورة (١) . وليس هنالك من شك في أن تلك الصور المصرية القديمة هي لعرب البادية ، إذ يؤيد هذا الرأي وجود صور مشابهة لها لأقوام تدعوا في اللغة الآشورية أربي ، أي أعراب / عرب ، اكتشفت في العراق الحديث . فإذا ما اعتبرنا أولئك « الأربي » عرباً — وهذا افتراض منطقي — تمكنا من التقرير بأن الفكر الألسني العربي بدأ في التاريخ القديم البعيد ، وتبلور خلال القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، أي قبل الاغريق واليهود والهنود بقرون . فأعرابنا هؤلاء اهتموا بلغتهم اهتماماً علمياً دفعهم إلى محاولة إبداع صور للكلام العربي ، أي إلى كتابة لغتهم القومية . ومعلوم أن فن الكتابة هو الدليل الأول على نضوج الفكر الألسني .

أما إذا وجد من يعارض هذا القول مشيراً إلى أن الدلائل على اعتبار « الأربي » المشار إليهم عرباً هي غير وافية — وهذا من حق العلماء ، طبعاً — فإننا في هذه الحال نملك حق الإشارة إلى نقوش الجزيرة العربية — وهذا حق لا يمكن الاعتراض عليه . ففي جنوبي جزيرتنا الكبرى اكتشفت حتى اليوم نقوش يعود تاريخ أقدمها إلى حوالي عام ٩٥٠ قبل المسيح ، نقوش تدل بوضوح على نضوج التفكير الألسني لدى العرب القدماء نضوجاً تاماً لا يقبل الريب ، وصل إلى ذروته أربعة قرون قبل ولادة ارمسطاطيس

(١) رَ قَلَانْدِرْ زَيْثَرِي : ريسرْ شَرْزْ إِنْ سَايْنَايْ . لندن ، ١٩٠٦ ؛ وانظر مثلاً البحث الذي نشره غارْدَنْرْ في جُرْنَالْ أَقْهَاجِيْشَانْ أَرْكِبُولْجِي ، ٣ ، ١٩١٦ ، ص ١ — ١٦ ، وأيضاً المصادر المذكورة في هوامش الصفحة السادسة من كتابنا لِشَجْوْ سَتِيكْسْ إِنْ ذِي مَدْلْ أَجْزْ : فُونِيْتِكْ سَتْدِي إِنْ إِرْلِي إِسْلَامْ ، لايدن ، ١٩٦٨ .

فيلسوف الاغريق الذي ندين له بفكرة تقسيم الكلام إلى اسم وفعل وحرف....

وإن في النقوش التي اكتشفت لعرب الجنوب لآوفي دليل على أن العرب سبقوا الغرب بقرون في العلوم الألسنية وخاصة في علوم الصوت (فونتيكس) الذي يعتبر حجر الزاوية في الدراسات الألسنية . هؤلاء العرب القدماء درسوا لغتهم أصواتاً وكلاماً فأبدعوا في أبحاثهم وارتقوا بها إلى درجة من الكمال قلماً بُلِغَتْ حتى في عصرنا الحاضر (١) فلقد ميزوا بين أصوات لغتهم بين حروف لم يتمكن علماء (٢) الغرب من معرفة وتحقيق مخارجها بالضبط حتى اليوم فمرفوها بـ (س١ ، س٢ ، س٣) ، أي حروف السين والشين والصاد وحرف ربما كان بين السين والصاد (؟) والزاي والطاء .

إننا لعلى حق عندما نقرر ونقول بأن العرب أسدوا أكبر الفضل وساهموا أكبر المساهمة في تطوير وتصعيد المعارف الألسنية . أن هذه الحقيقة مما يقرره علماء الغرب ويقولونه كتابة ومحاضرات بأن العرب والمسلمين لم يساهموا قط في تطوير العلوم الألسنية ؟

* * *

- (١) انظر كتاب « ألتسود » أرايشه غراماتيك لما ريتا هيفنر المطبوع في لايبزيغ عام ١٩٤٣ وكتاب كرسنومانيا أرايكا مريدوناليس إيفرافكا لكونتي روسيني المطبوع في روما عام ١٩٣١ .
- (٢) هكذا عبر عن هذه الأصوات وُلف لِسْلُو في كتابه « لِكْسِيك » سوكونثري « باريس ١٩٣٨ » (؟) .

كان عرب الجنوب أصحاب تجارة ، وكانت قوافلهم تجوب الشرق العربي من أقصاه إلى أقصاه ، طلباً للكسب عن طريق التبادل التجاري المنتج . وكانت لهذه القوافل خانات تحط فيها طلباً للراحة بين كل مرحلة وأخرى . ومنت تلك الخانات حتى أصبحت جاليات مستقلة استوطنت طوال الطريق من الجنوب إلى الشمال ، ومن الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي . وإن لدينا من المعلومات العامة الصحيحة المستندة إلى وثائق صحيحة الكثير مما تضمنته كتب وأبحاث كثيرة يسرنا أن نشير إلى أهمها ألا وهو الكتاب القيم الذي ألفه السيد الدكتور جواد علي في تاريخ العرب قبل الإسلام والذي طبع ، في أجزاء لدينا منها ثمانية ، بإشراف المجمع العلمي العراقي ، فليرجع إلى هذا المصدر الوثيق .

وكان من جرّاء الاتصال الحضاري بين عرب الجنوب وعرب الشمال أن توحدت الكثير من العادات المعاشية والحضارية بين القومين . ومن جملة ما تعلمه عرب الشمال من إخوانهم الجنوبيين قسّن الكتابة مما تدلنا عليه النقوش التي عثر عليها في جنوبي الجزيرة وشمالها ، والتي يعود تاريخ بعضها إلى القرن السادس قبل المسيح ، صاعداً بعد ذلك إلى حوالي القرن الرابع الميلادي (١) ! هذه

(١) انظر كتاب ونيت المطبوع في كندا عام ١٩٣٧ بعنوان (إي صتدي أف لهينايت إندي تمودك إنسكريشنز) وكتاب كامسكيل المطبوع في كولونية بألمانية الغريبة عام ١٩٥٤ تحت عنوان لهيان أوثد لهياننش وكتابي لتهان المطبوع أولها في برلين بعنوان تسور إنترسيفروثغ دير تامودينشين إنشرفتين والآخر في لايبزغ عام ١٩٤٠ بعنوان تامود أوثد صفا . وراجع أيضاً كتاب فان دير براندين المطبوع في لوفين ، بالبلجيكا تحت عنوان ليزانسكروپسيون تامودين . وأيضاً الباب الأول القسم الأول آ من كتابنا إنجويستيكس إن ذي ميدل آجز . فونيتيك صتديز إن إرلي إسلام المطبوع في لايدن عام ١٩٦٨ ومصادره والوثائق المستند إليها فيه .

النقوش تدل على وجود الفباء عربية مؤلفة من ثمانية وعشرين حرفاً تشبه
شبهها كبيراً الألفباء التي استعملها عرب الجنوب . وأقرب هذه النقوش
الألفبائية شبهاً بحروف العربية النقش النبطي . ومعلوم أن النبط أقوام عرب
استعملوا اللغة العربية في حياتهم اليومية بينما كتبوا باللغة والقلم الآرامي
المؤلف من اثنين وعشرين حرفاً^(١) . وربما كانت النقوش النبطية هذه أصل
الخط العربي الذي تطور فأصبح الخط الذي نستعمله اليوم . وسيكون لنا
في هذا المجال شوط آخر

أما بصدد ما يظنه العلماء من أن المبشرين المسيحيين القدماء قد تركوا
أثراً في هذا المضمار فإن العلماء هؤلاء لا يزالون في حيرة من أمرهم اذ لم
يُعثَر حتى الآن على أثر كتابي مسيحي بحث تركه المبشرون القدماء خلال
عملهم الديني في شبه الجزيرة العربية ، قبل مجيء الرسول برسالته الخالدة
التي كان من جملة ما أسدته للعالم من قيم ونعم لفة رفيعة معبرة خلاقة
وأدباً عالمياً إنسانياً نبيلاً ، مُخْلِداً بخط جميل لم يعرف البشر مثيلاً لكمالهِ
الصوتي حتى تطور المعلوم الصوتية في الغرب ، الذي أدى إلى وجود الخط
المعروف بالخط الصوتي العالمي في عصرنا الحاضر .



(١) انظر الأبواب الخامس والسادس والسابع من كتاب الدكتور فيليب حتي
(فيلب كي هيتي) هبستري أف ذي أربرز ، الطبعة التاسعة ،
١٩٦٧ ، والباب الثاني من كتابنا المذكور في الحاشية السابقة .

كان فن الكتابة معروفاً في الجاهلية ، وقد استعمله المكثرون في معاملاتهم التجارية كما استعملوه وغيرهم من العرب في بعض الأحوال غير الاقتصادية في العصر الجاهلي^(١) . وهناك على الأقل ثلاث توييد هذا الرأي :

أولاً : كلام الله في قرآنه العربي حيث وردت كلمات عديدة تشير إلى هذا الفن ودقائقه ومفرداته ك : كتاب ، قلم ، صحيفة ، قرطاس ، سفر ، قط ، رق ، دواة ، سطر ، حبر ، مجلة ، نسخة ، سجل ، قمبر ، جرسيس ، ختم ، الخ .

ثانياً : إشارات عديدة إلى فن الكتابة في القرآن الكريم وفي سيرة رسول الله (ﷺ) ، مثلاً :

آ : القرآن الكريم ، سورة البقرة ، الآية ٢٨٢ : « يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه » وليكتب بينكم كاتب بالعدل ، ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله ، فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يخس منه شيئاً ، فإن كان الذي عليه الحق ضعيفاً أو ضعيفاً أو لا يستطيع أن يمل هو فليمل وليه بالعدل ،

(١) انظر مثلاً مارك : لذر بارمكي : هاند بوخ در فور ديميتشين إيفرافيك فيست أوسفيلتين إشرقتين (فابهار ، ١٨٩٨) ، خليل نامي (أصل الخط العربي وتاريخ تطوره قبل الإسلام) (القاهرة ، ١٩٣٥) . وج . كاتينو لي ناباتين (باريس ، ١٩٣٠ - ١٩٣٢) .

واستشهدوا شهيدين من رجالكم ، فإن لم يكونا رجلين ، فرجل وامرأتان
 ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ، ولا
 يأب الشهداء إذا ما دعوا ، ولا تسأموا أن تكتبوه صغيراً أو كبيراً إلى
 أجله ، ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا ، إلا أن
 تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم ، فليس عليكم جناح ألا تكتبوها ،
 واشهدوا إذا تباعدتم ، ولا يضار كاتب ولا شهيد ، وإن تفعلوا فانه فسوق
 بكم ، واتقوا الله وبعلمكم الله والله بكل شيء عليم . وأيضاً سورة النور ،
 الآية ٣٣ : « وليستغفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله ،
 والذين يتغنون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكتابهم إن علمتم فيهم خيراً ،
 وآتوهم من مال الله الذي آتاكم » ... إلى نهاية الآية . »

ب — سيرة سيدنا محمد رسول الله ﷺ (تحقيق ف . فوستينفيلد ،
 غوتنغن ، ١٨٥٨ ، ص ٣٣٢) وسواها (١) حيث نجد الرسول يأمر كتبه
 بالكتابة ، مثلاً ، السيرة : « أنا سراقه بن جشعم انظروني أكلمكم فوالله
 لا أريكم ولا يأتكم مني شيء تكرهونه قال فقال رسول الله ﷺ (لأبي بكر
 قل ما تبغني منا ، قال فقال لي ذلك أبو بكر ، قال فقلت تكتب لي كتاباً يكون
 آية بيني وبينك ، قال اكتب له يا أبا بكر ، قال فكتب لي كتاباً في عظم
 أو في رقعة أو في خزفة ثم ألقاه إلى ... »

(١) مثل السكامل للبرد ، وأسد الغابة لابن الأثير ، وقاريخ العتوبي وخيس الديار بكري ،
 حيث يجد الباحث كثيراً من الاشارات الدالة على معرفة العرب القدماء بفن الكتابة .

ثالثاً : في الشعر الجاهلي حيث نجد عدداً كبيراً من الأبيات التي تحتوي على إشارة الى فنّ الكتابة العربية ، مثل :

أنت حجج بعدي عليها فأصبحت كخط زبور في مصاحف رهبان
من شعر امرئ القيس في ديوانه الذي حققه محمد أبو الفضل إبراهيم ونشرته
دار المعارف بمصر في سلسلة ذخائر العرب رقم ٢٤ — ص ٨٩ (١) .

ولكن هذا الفن العقلي — العملي المهم لم يتقدم تقدماً محسوساً حتى
بزوغ فجر الاسلام وشمسه على العالم في شبه الجزيرة العربية . فالإسلام هو
دين سماوي أساسه « الكتاب » والكتاب كتاب الله أنزله على رسوله في أوانه ،
معجزة مازال البحث في ماهيتها أمراً غير مستحب ، كما هو الحال في جميع
الأمور الروحانية التي هي من الله وله . وعليه فإننا في ذكرنا لكتاب الله
لن نحاول أكثر من النظر فيه شكلاً ووصفا لغوياً من حيث انه ، علاوة على
كونه وحدة روحانية تامة ، هو أيضاً ، في شكله المادي ، وحدة لغوية تامة ،
كتاب في صحائف معدودة يحتوي على مادة لغوية معينة غير قابلة للتصنيف
والتغيير . ففي هذا المدد ، نجد آيات القرآن الكريم إنما كتبت اول ما
كتبت بخط قرب الشبه بالخط النبطي ، متحذر منه بلا شك . ومعلوم ان
الأنباط كانوا عرباً .. وبظننا أنه لو لم يمين الله على العرب برسول منهم تلقى
« الكتاب » وحياً أنزل عليه بلسانهم لما تطورت العربية لساناً وكتابة وأدبا
وعلوماً ، ولما وصلت إلى ما وصلت إليه من الكمال بتلك السرعة الهائلة ،
التي لا نجد في تاريخ الأمم وتاريخ الألسنة ما يماثلها ويضاهيها .

(١) جمع فيدر كثر من هذه الشواهد ونشرها في العدد العاشر من اوبسالا
اونيفيرسيتيس اورمسكرقت عام ١٩٤٨ ، وانظر أيضاً بحثاً لنا في مجلة
(ذي مسلم ورلد) الأمريكية ، العدد ٣/٥٦ لعام ١٩٦٦ بعنوان « اذجو كيشن »
إن إسلام قزم ذي جاهلية نو ابن خلدون ، ص ١٨٨ — ١٩٨ .

هذا ما نراه على أمداس معرفتنا الشخصية التي وصلنا إليها عن طريق الدرس والتمحيص . وطبعاً ليس هنالك ما يمنع الغير من مخالفة رأينا هذا ومعارضتنا فيه معارضة علمية رصينة . والواقع أن هنالك البعض ، من عربي أدب ، ومستشرق عالم ، ممن لا يرون رأينا هذا ... والفرق بيننا ان الرأي الذي نبديه تدعمه دلائل وشواهد نظرية ومادية ، بينما لا يدعم رأي معارضينا سوى نظريات احتمالية لا قيمة علمية لها .

أما وقد قررنا بأن الدين الحنيف هو المسؤول الأول عن تطور العربية وعلومها ، فانه ليجدر بنا الآن أن نبين بإيجاز كيفية ذلك ونتائجه .

في القرآن الكريم ، سورة المزمل ، الآية الرابعة ، نجد الأمر بترتيل « القرآن ترتيلاً » . برأينا أن هذا الأمر الصريح هو نقطة الانطلاق في تطور العربية وعلومها . معلوم أن المـرب القدماء « أنشدوا » الشعر إنشاداً ولم يلقوه إلقاء كما هي العادة في النثرمن خطاب وخطابة وقصة . ومعلوم أن إنشاد الشعر لم تكن له قواعد يعرفها الإخصائيون بذلك ، ويتبعونها بدقة وإخلاص . فلقد كان كل شاعر وراوية إنما ينشد الشعر انشاداً على سليقة فردية . أما « ترتيل » القرآن — والفرق بين القرآن والشعر هو فرق أساسي واضح — فما كان ليجوز فيه التحرر من تقليد أقره الرسول ووجب التقيّد به . وطبيعي أن يجري هذا التقليد النبوي مجرى القانون على كل من آمن بالله ورسوله . وهنا ظهرت عوامل ثلاثة :

أولاً : لم تكن لغة سكان الجزيرة العربية واحدة موحدة في القرن السابع الميلادي ، إذ كان هنالك لغات قبلية تختلف واحدها عن الأخرى أصواتاً ومفردات وتركيباً . ومعلوم أن الرسول كان قرشياً ، وإن قریش كانت لغة

المهرم الاجتماعي العربي ، وإذاً ، مرجعه في جميع الأمور الحضارية ، بما في ذلك اللغة . ونزل القرآن على محمد بن عبد الله بلسان لا يمكن ان يكون فيه أي اختلاف عن لسان الرسول . ويؤيد هذا ما تقرأه عن أوائل المسلمين ، وإصرارهم على تدوين كلام الله بلفظه الأصلية ، لغة قريش ، مقرّين عن علم ومعرفة بأن ذلك الكلام إنما أنزل على رسولهم بلغة قريش نفسها (١) .

ثانياً : عندما توسعت رقعة الاسلام وامتدت عبر حدود الجزيرة العربية ، ابتداءً من غير العرب ، يدخلون في الدين الحديث زرافات . ومعلوم أن المسلم ، مهما كانت جنسيته ومهما كان لسانه ، يدين لربه بواجب الصلاة وقراءة ما تيسر من « الكتاب » بلغة « الكتاب » .

وإذاً ، فلقد كان على كل مسلم ، عربياً كان أم أجنبياً تعلّم قراءة العربية تعلّم صحيحاً يمكنه من تأدية واجباته الدينية على سنة الله ورسوله .

ثالثاً : كان المسلمون الذين اعتنقوا الإسلام في الشام ومصر وفي العراق وفارس أقدم عهداً بالحضارة من عرب الجزيرة ، وكان جلهم من المسيحيين وبعضهم يهود . وهؤلاء كانوا على معرفة بتقاليد الشريعتين : المسيحية والموسوية ، فيما يتعلق بكتبهم الدينية من تورا وأناجيل ، وكذلك كان بعض العرب ممن تنصّر وتهود ، أو عاشر أهل الكتاب ، أو على الأقل ، رأى رهبان وكهنة المسيحية يمارسون طقوسهم الدينية ويعنون بكتبهم المقدسة (٢) ، فكان من

(١) انظر المقنع للداني والإتقان للسيوطي واو. برترنزل اورتوغرافي اوئد^١ بونكتيروثغ ديس^٢ كران^٣ (اسطنبول ، ١٩٣٢) و آ. جيفري متيريلز فور^٤ ذي هيسثري أف^٥ ذي يكست أف^٦ ذي قرآن^٧ لايدن ، ١٩٣٧) وأيضاً ح . راين آتشتيت^٨ ومست^٩ أرابين^{١٠} (لندن ، ١٩٥١) وحوده (القراءات واللهجات) (القاهرة ، ١٩٤٨) .

(٢) أنت حجج بدي عليه فأصبحت كخط زيور في مصاحف رهبان وقد تقدم ذكر هذا البيت في حاشية سابقة .

الطبيعي أن ينظر هؤلاء المسلمون الجدد إلى كتاب الله ، ويقرءونه بكثير من التقوى والخشوع . والقرآن الكريم ، كان ولا يزال في نظر المسلمين ، اعظم شأنًا من الكتب السماوية الأخرى ، ولذلك كانت هنالك حاجة ماسة لحفظه تاما كاملا لا يشوبه نقص لا في كلامه وتركيبه ولا في تجويده : وكانت هنالك ضرورة لتعليم الناس قراءة آياته البينات قراءة صحيحة لا لحن فيها ، خاصة وقد وقف بعض الصحابة على ما كان المستعربون يرتكبونه من الخطأ في قراءة الكتاب ، إذ كانوا يجوّدونه دون إلمام علمي بأعرابه فيقعون في أخطاء شنيعة (١) .

وهنا بدأت المصاعب تظهر للعيان ، فالخطّ العربي الذي رُسم به المصحف في عهد عثمان ، والذي أرسلت نسخ منه إلى كل من مكة المكرمة والبصرة والكوفة والشام ، كان خطّا لم يصل بعد إلى الكمال ، مثلا :

آ . كان الحرف غير منقوط ، وكانت بعض الحروف . تمثل عددا من الأصوات فالباء ، والتاء ، والهاء والنون في مطلع الكلمة ووسطها ، كانت تكتب سواء ، وكذلك الجيم والحاء والحاء ، والدال ، والذال ، والراء والزاي ، والسين والشين ، والصاد والضاد ، الخ .

ب . وكانت الكلمة غير معجمة ، غير محركة او منقوطة بالشكل ، فكانت آنذاك تمثل عدداً من الكلم : وكلم ، مثلا ، كان يمكن ان تقرأ : كلم ، كيلم ، كلّم ، كلّم ، الخ .

ج . ولم يكن هنالك ما يعبر عن الألف الطويلة وما يشير إلى الإدغام ، فكانت كلمة كلم يمكن ان تقرأ كلّم ، كلام ، كالّم ، كلام ، الخ .

واذا ، كانت المشكلة الأولى التي وجب التغلب عليها هي تمييز حروف العربية التي شابه أحدها الآخر . ولم يمكن تمييز الحرف بالنقط غريبا عن ثقافات

(١) سوف نتعرض لهذه الناحية التفوية بالبحث مطولا في القسم الثالث من هذا المقال .

الشرق الأوسط ، فاللغة السريانية مثلاً ، وقد تشابه في البدء بعض حروفها ، استعملت النقط بنجاح لتمييز حرف عن شبيهه (١) . وطبيعي أن يكون أول ماخطر لذهن العالم العربي آنذاك ، استعمال النقط لتمييز حروف العربية . وطبيعي أيضاً أن تكون هذه الطريقة وتطبيقها قد استغرقت أمداً من الزمن قبل استقرارها على حال نهائي ، يدلنا على ذلك :

أولاً : ان تمييز حرف الفاء عن القاف كان بنقطة فوق الأولى وأخرى مثلها تحت الثانية (ولا يزال هذا التقليد شائعاً في المغرب العربي حتى اليوم) ثم تطور فأصبح تمييز هذين الحرفين بنقطة فوق الفاء واثنين فوق القاف . ثانياً : ان حرف الشين ميّز أول الأمر عن السين بنقط ثلاث متوازية (أفقية لأهرمية كما هي الحال الآن) ، ويظهر أن هذا الحال قد أدّى إلى الخلط بين الشين وبين التاء والنون أو النون والتاء فنجم عن ذلك إبدال نقط الشين بالشكل الهرمي المعروف .

ثالثاً : ان نقط التاء المربوطة لم يصبح تقليداً مفعولاً به إلا بعد انصرام مدة من الزمن كتبت التاء المربوطة خلالها كالهاء .

أما هذه الطريقة في تمييز حروف العربية المتشابهة فقد عرفت منذ البدء بالإعجام أو التنقيط أو النقط (٢) . ويظهر أن النقط قد دخل العربية بالتدريج كما تدلنا على ذلك مخطوطات عربية قديمة . ولم يرق هذا التجديد في نظر

(١) انظر كتابنا لِنَقْوَيْسِيكْرُ إِنْ ذِي مِدْلُ آجَزُ : فُونِيكْ سَقْدِرُ إِنْ إِرْلِي إِسْلَامْ (لايدن ، ١٩٥٨) ص ١٣ .

(٢) انظر (كتاب النقط) للداني ، ص ١٣٢ — ١٣٣ ، وأيضاً (العقد الفريد) ج ٣ ص ١٥٤ .

رجال العلم والدين والأدب فعارضوه معارضة شديدة ، واعتبروا استعماله في الخط خطأ من كرامة العلم والعلماء ، وأيضاً ، تجديداً مكروهاً في رسم المصحف الكريم (١) .

أما المشكلة الثانية فكانت مشكلة الحركات . وهذه العقبة اللغوية ، كسابقها ، لم تكن غريبة عن ثقافات الشرق العربي القديم ، وقد اعترضت الكتابة السريانية فقررها علماء اللغة السريان باستعمال النقط وباستعارة الحركات من اللغة الإغريقية (٢) . أما العربية ، فلم تلجأ إلى الإستعارة بل عملت على خلق طريقة عربية أصيلة وفيت بالحاجة . وإنما لنرى آثار تطور النقط والإعجام واضحة في الكثير من أوراق المصاحف القديمة ، حيث نجد نقطة واحدة فوق الحرف تقوم مقام الفتحة وتحتة للكسرة وبجانبه للضمّة ، كما نجد الألف والواو والياء تعبّر عن حركات المدّ . وبعض هذه النقط التي نلاحظ وجودها خاصة في ما لدينا من أوراق مصاحف قديمة وضمت بألوان مختلفة لتمييزها عن سواها . وهكذا ، وبالتدريج ، وأبدعت الثقافة العربية الحركات الثلاث ، الفتحة والكسرة والضمّة (٣) .

وكما جرى الحال في نقط حروف العربية عارض رجال الثقافة العرب

(١) الاتقان للسيوطي ج ٢ ، ص ١٧١ ، حيث يذكر عن عبد الله بن مسعود أنه قال : « جودوا القرآن ولا تخلطوه بشيء » ؛ وأيضاً (كيف الظنون) ج ٣ ، ص ١٥٥ .

(٢) كتابنا المذكور في الحاشية الأولى ، ص ١٤ ؛ وأيضاً ت . فولدريكه : كومبنتديوس سيريالك غرامر (لندن ، ١٩٠٤) ، ص ٦ - ١٤ .

(٣) انظر كتاب النقط للداني ص ١٣٢ .

هذا التجديد معارضة قوية أدت إلى تأخر استعماله بعض الوقت ، وإلى حين (١) .

وبالرغم من هذا كله ، بقي لفظ العربية معقداً بعض التعقيد إذ لم يكن هنالك من الأشياء ما يمكن القارىء من تمييز الحروف المدغمة والمنونة والمهموزة ، ولم يكن من السهل تمييز هذه الحروف في الكلام المكتوب . وعليه فقد كان على علماء العربية إيجاد أشكال تفي بالفرض وتؤمن إجادة قراءة الكلام العربي المكتوب . ونجح علماءنا في إيجاد الحلول المناسبة إذ قرروا إدخال نقطتين على الحرف إبانة للتنوين ، تطورتا تدريجياً فأصبحتا ما يعرف اليوم بالفنحتين والكسرتين والضميتين . ثم ابتدع علماءنا الأوائل السكون فالشدة فالهمزة كما فصل ذلك الداني في كلامه عن الإدغام والإشمام والإمالة والإشباع والاختلاس (٢) ، وأبو داود في « المصاحف » (٣) والسيرافي في « الأخبار » (٤) ، إلخ .

الدكتور خليل سماعيل

جامعة ولاية نيويورك في بونغتون



- (١) النقط ، ص ١٣٣ وكتاب المصاحف لابن أبي داود ص ١٤١ ، والرسالة المذراة لابن المدبر ، ص ٢٥ ، والعقد الفريد ، ج ٣ ، ص ١٢ ، والاعتقان للسيوطي ج ٢ ، ص ٢٧١ ، وكتابنا المذكور آتفاً ، ص ١٥ وحواشيا .
- (٢) النقط ، ص ١٣٥ — ١٣٧ و ١٤٤ — ١٤٧ .
- (٣) ص ١٤٤ — ١٤٧ وكتاب النقط ، ص ١٣٤ ، ١٤٢ ، ١٤٦ ، ١٥٠ .
- (٤) ص ١٦ وأيضاً كتاب النقط ، ص ١٣٣ والفهرست ، ص ٤٠ .

بين كاتب وشاعر

في التاريخ الأدبي مصادفاتٌ عجيبة ومفارقات غريبة توحى إليك بأن
القدر يهيء أشخاصاً لأشخاص ، ويخلق أناساً من أجل أناس ، لخيرهم
أو لشرهم ، هذا يكسب وذاك يخسر ، ولكن هذا الكسب وذاك الخسارة ،
كلها ، يظللان خالدين في بطون الكتب ، باقيين في أثناء التاريخ على
مر المصور والآلآم

لقد وجد النابغة والنعمان ، وخلق جرير والفرزدق والأخطل ، وعرف
الزمن أبا تمام والبحري ، ورأينا المتنبي إلى جانب سيف الدولة ، لولا هذا
لما عرف ذاك ، ولولا ذلك لكانت شهرة هذا أقصر أمداً وأخصر مدىً .
من هذه اللقاءات العجيبة في الفن والأدب اللقاء الذي جمع الشريف
الرضي الشاعر الكبير ، وأبا إسحق إبراهيم بن هلال الصابي الكاتب الألمي
والمتفنن اللوذعي ، لقد جمعتها صحبة خالدة ، ولافت بينها علاقة وشيجة من
الفن في الشعر والنثر أوحى إليهما بالكثير من القصائد والمراسلات والمبارات
التي ذهبت مذهب الأمثال ، يستشهد بها الناس ويرون فيها آثراً عريقة
الأصالة ، بعيدة الأثر في النثر والشعر العربيين .

أما الصابي ، فهو أبو إسحق الحرّاني^(١) ، واسمه إبراهيم بن هلال
الصابي ، ولد سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة للهجرة وقوفي يوم الخميس ،
لاثنتي عشرة ليلة خلت من شوال سنة أربع وثمانين وثلاثمائة^(٢) .

(١) بلدة بينها وبين الرقة يومان وهي على طريق الموصل والشام والروم (معجم
البلدان — ياقوت) .

(٢) معجم الأدباء (الجزء الثاني ص ٢٠) .

وأُسرة الصابي أسرة حفل التاريخ بذكرها لما عرف من رجالها الكثر الذين خدموا الأدب والعلم ، وكانوا من مذهب يعرف أهله بالصابئة أو الصابئين ، وصَبَأً وصَبِئًا ، صَبَأً وصَبُوءًا ، خرج من دين إلى آخر ، وصَبَأُ فلان في دينه ، صار صابئًا ، وصَبَأُ النجم ؛ خرج من مطلعه وظهر ، وصَبَأُ فلان عليهم : طَلَعَ (١) .

والصابئة والصابئون ، يزعمون أنهم على ملة نوح ، ويعرفون في العراق باسم : الصَّبَّة ، واحدٌهم : صابي* . وما زال منهم جماعة حتى الآن . ويقال إن دينهم عبادة الكواكب ، ومذهبهم أن للعالم صانعاً حكيماً مقدساً عن سمات الحدثن وهم عاجزون عن الوصول إلى جلاله (٢) .

كان الصابي في عصر بني بويه ، وقد عاش مدة القرن الرابع للهجرة ، وهو العصر الذي تكشفت عبقرية الأدب العربي والفكر الإسلامي ، وبلغ الشعر فيه أوجه ، كما وصل النثر فيه إلى المحل الأعلى ، وبحسبك أن تعلم بأن من رجال هذا العصر : المتيني وابن العميد والصاحب بن عباد وأبو اسحق الصابي ، وعضد الدولة وسيف الدولة وأبو فراس الحمداني وغير هؤلاء كثيرون ممن حفلت كتب التاريخ بذكر مآثرهم وتدوين أخبارهم .

كان صديقاً لمز الدولة بختيار (٣) بن معز الدولة بن بويه ، وقد أراد له هذا الصديق الحاكم كل خير وحاول أن يسلمه الوزارة لديه شريطة أن يعتنق الإسلام ، ولكن الصابي امتنع من ذلك ، ويروي الصفدي أن

(١) معجم متن اللغة .

(٢) الملل والنحل للشهرستاني .

(٣) بختيار : لفظ فارسي مركب من بخت وهو الحظ ويار بمعنى صاحب ، أي صاحب الحظ وكان هذا لقب عز الدولة .

عز الدولة بذل له ألف دينار على أن يأكل الفول فأبى ، لأن الصابئة تحرم أكل الفول .

وصفه مؤرخوه بالعفة وحسن المعاشرة ، ولكنه ، على ما يبدو ، كان متعصباً لمذهبه لايهادن فيه ولا يداهن ، من ذلك رفضه للأعطيات والمناصب التي عرضت عليه حين اشترط عليه الإسلام أو مخالفته اعتقاده من معتقدهاته ومع ذلك فقد وصل إلى المراكز العليا في الدولة فقد عمل نائباً للوزير أبي محمد المهلبى في ديوان الإنشاء وأمور الوزارة (١) .

ولكن الأمور لم تسر على مايشتهي فقد اعترضت حياته مشاكل عديدة وصعاب كثيرة كادت أن تودي بحياته ، إذ كان العصر قد بلغ المرحلة الدنيا من الناحية السياسية ، وإن كان متقدماً ، كما أسلفنا ، من الناحية الأدبية والعلمية والثقافية ، وقد نَقَمَ عضد الدولة عليه أموراً لم تكن للصائب يد فيها وأساء الظن به حين قدم بغداد ، وذلك بسبب بعض الرسائل التي كتبها عن الخليفة وعن عز الدولة بختيار ، فحبس من أجل ذلك ، ولكن الناس ، من المعجبين بالكاتب الأديب ، توسطوا لدى عضد الدولة وعرفوه مكانة الرجل وفضله ، وأوضحوا له عذر الموظف في وظيفته ، والعامل في عمله ، فاستجاب الوساطة ، ورضي بأن يخلي سبيله على أن يعمل كتاباً يضمه أخبار بني بويه وتاريخهم وآثرهم وهو الكتاب الذي أسماه « التاجي » ، (٢) .

ولكن الصائب لم يسلم من التعرض لخطر الموت حين صرَّح لأحد زائريه في السجن أنه غير راضٍ عن تأليف هذا الكتاب وأنه إنما حمل

(١) مجمع الأدباء (جزء ٢) .

(٢) أخذ الاسم من : تاج الملة ، وهو من ألقاب عضد الدولة .

على تأليفه حملاً ، وربما كانت الكلمة التي نقلت إلى عضد الدولة ، ملفقة تلفيقاً ، أو مدموسة دساً ، فإن مثل الصابي ، وهو من عرف بفضلِهِ ورزاقته وفهمه ، لا يقدم على البوح برأيه والإدلاء بذات نفسه لكل زائر أو عابر ، فقد روت الأخبار أن أحد أصحابه زاره في السجن ، وكان الصابي متهماً في كتابة كتابه ، فسأله عما يعملهُ ، فقال : أباطيل أنعمها ، وأكاذيب القبحا ، ووصلت العبارة بنصها إلى عضد الدولة ، فأمر بإلقاء الصابي تحت أرجل الفيلة ، ولكن إخوان الرجل ، شفعوا إلى عضد الدولة في أمره ، وروى أنهم قبلوا الأرض بين يديه (١) فرضي أن يقيه حياً ، ولكنه أخذ أمواله ، وأبقاه بالسجن بضع سنين ، إلى أن أفرج عنه في أيام صحاصم الدولة ابن عضد الدولة (٢) .

كان أبو أسحق يمثل الرجل « المحترم » هذه الأيام ، فقد كان الوزراء يقدرونه ويشقون بقدرته وعلمه وادبه ، كالوزير المهلب وسيف الدولة وآل بويه والصاحب بن عباد .

ولا أدل على قيمة أبي أسحق الصابي الأدبية من هذه القصة يرويها عنه ابنه أبو عليّ المحسّن بن إبراهيم بن هلال أن أبا أسحق قال : راسلت أبا الطيب المتني - رحمه الله - في أن يمدحني بقصيدتين وأعطيه خمسة آلاف درهم ، ووسطت بني وبينه رجلاً من وجوه التجار ، فقال له (٣) قل له : والله ما رأيت بالعراق من يستحق المدح غيرك ، ولا أوجب علي في هذه البلاد واحد من الحق ما أوجبت ، وإن أنا مدحتك ، تنكر لك الوزير ، يعني - أبا محمد المهلب - وتغير عليك لأنني لم أمدحه .

(١) معجم الأدباء (جزء ٢) .

(٢) المصدر السابق .

(٣) أي المتني .

فأن كنت لا تبالي هذه الحال فأنا أجيئك إلى ما التمسْت ، وما أريد منك مالاً ، ولا عن شعري عوضاً ؛ قال والدي ، فتنبت على موضع الفلظ ، وعلمت أنه قد نصح ، فلم أعاوده (١) .

ولكن أبرز حدث في حياة هذا الرجل يتلخص في الصداقة الأدبية التي كانت بينه وبين الشاعر الكبير الشريف الرضي ، والشريف هذا هو أبو الحسن محمد بن الحسين الموسوي ، وقد كان شاعراً مرموقاً وشريفاً منظوراً ، ونقيباً للطالبيين في عهده كما كان أبوه نقيباً ، وأخوه هو الشريف المرتضى صاحب الأمالي .

كانت الصداقة ، والعلاقة الأدبية بين الصابي والشريف ، موضع تساؤل واستفهام ، فالصابي رجل يدين بغير الإسلام ، وهو حرّاني الأصل بعيد عن الوسط العربي في تفكيره وعقليته ، وإن كان يحترم رجال المسلمين ويسائرهم ، إذ كان يصوم شهر رمضان ، كما يقال ، ولو أنه لا يؤمن بهذا الصيام ، ولكن الشريف رجل من آل البيت ، ومن بيت النبوة ، وتقابة الطالبيين لم تكن بالمكان الحيث في مقامها ومحلها ، لأن هذه النقابة كانت تنافس الخلافة في نظر المسلمين ، وكانت الشيعة العلوية ترى في النقيب الطالبي ممثلاً للفكرة العلوية التي كانت ترمي في أهدافها البعيدة إلى استرداد الحق العلوي في الخلافة فإن العلويين كانوا وما زالوا يرون بأن سيدنا علياً هو أحق رجل بالخلافة بعد النبي ، لأسباب كثيرة لا مجال لسردها الآن ، وقد كانت نقابة هؤلاء المطالبيين بالحق الضائع تمثل الحق الذي لا يموت ، والأمل الذي لا يعبث به الزمن ، ولقد رأى الشريف الرضي المطالبيين بالخلافة من أبناء عمومته يذهبون قتلاً أو تشريداً أو تعذيباً منذ الحسين إلى عبد الله

(١) مجمع الأدباء (جزء ٢) .

ابن الحسن ، إلى زيد بن علي وغيرهم لأنهم أقدموا على المطالبة بالحق الطالبي علناً وصراحة ، ولأنهم لجأوا إلى القتال بدلاً من السعي إلى غايتهم عن طريق السياسة وتكثير الأعوان ، والتقرب من الناس ، وخاصة الأدياء وأصحاب المواهب والناقلين على الدولة العباسية .

ولقد أخذ الشريف الرضي يلمح إلى حقه شعراً وحديثاً ، ثم اشتد صراحة وتعريضاً حين رأى قيام الدولة الفاطمية في مصر ، ويروي أن الخليفة — وهو القادر بالله يومئذ — قد استدعاه إليه وسأله عن معنى قوله حين افتخر بالخليفة العلوي في مصر ، ويروي أن الشريف أنكر هذا القول ، وإن كان الأسلوب الشعري يدل عليه دلالة واضحة ، وهذه الأبيات من قصيدة يقول فيها :

كم مقامي على الهوان وعندي مقول صارم وانف حمي*
وإباء محلق بي عن الضيم — كم راع طائر وحشي*
أي عذر له إلى المجد إن ذلّ غلام في غمده مشرفي*
أليس الذلّ في ديار الأعادي وبصر الخليفة العلوي*
من أبوه أبي ، ومولاه مولاي إذا ضامني البميد القصي*
لف عرقي بعرقه سيدا لنا س جميعاً محمد وعلي*

إنها مطالبة صريحة بالحق الطالبي ، واستنجد صارخ بالخليفة الفاطمي العلوي في مصر واعتراف بتحمل الضيم في ظل الخليفة العباسي ، وألم نفسي من هؤلاء البويهيين الذين ممن استولوا على الخلافة وأعمالها ، واضطلموا بشئونهم رغم الإرادة المريية هاتيك الأيام .

كان الشريف إذن يلجأ إلى الصراحة في طلب حقه بأن يكون خليفة ، لأنه من أولاد علي بن أبي طالب صاحب الحق الأول ، ولقد غرر به شعره مرة فعرض نفسه لخطر محقق يوم خاطب الخليفة العباسي القادر بالله

بهذه الآيات الصريحة التي تجمل من الشريف منافساً قوياً ونداً علوياً
لا يسكت عن حق ولا يهادن في طلب .

عظفاً أمير المؤمنين فأننا في دوحة العلياء لا نتفرق
ما بيننا يوم الفخار تفاوت أبداً كلانا في المعالي مرق
إلا بالخلافة ، ميزتك فاني أنا عاطل منها وأنت مطوق

لقد قامت الخلافة العباسية على الفكرة العلوية ، فالطالبون هم أساس
الدعوة التي استند إليها أبو مسلم الخرماني وإبراهيم الإمام وأبو عبد الله السفاح ،
ولكن المادة محكمة ، كما يقول الفقه ، فإن العباسيين حين وصلوا إلى الخلافة
استأثروا به ونسوا أبناء عمومهم وشركاءهم في الدعوة إلى الحق الهاشمي ضد
الأمويين — بل لقد صار الطالبون الأعداء الألداء للعباسيين وخاصة في
زمن أبي جعفر المنصور وهارون الرشيد .

ولكن العلويين لم ينسوا حقهم هذا ، وظلوا يطالبون به إلى أن سكنت
ريحهم وذهبت الخلافة الإسلامية عنهم وعن خصومهم الهاشمين إلى الأتراك
والدلم والسلاجقة وغيرهم ، ممن تسلقوا إلى الحكم عن طريق هذه الفكرة
الهاشمية ، ثم نسوا أهلها حين وصلوا إلى غايتهم .

لذلك لجأ الشريف الرضي إلى الطريقة المعقولة ، لجأ إلى الأصحاب
وأكثر من الدعاية ، والأدباء من الكتاب والشعراء هم أولى الناس بأن يتقرب
إليهم صاحب الهدف السياسي ، لأن هؤلاء هم وسيلة الدعاية الأولى
هاتيك الأيام .

ولقد لام أناس الشريف الرضي يوم رثي الصابي ، فما يحق لرجل مسلم

شريف وتقيب للأشراف أن يبكي رجلاً غير مسلم ، ولكن الشريف أجاب
اللائمين بقوله : إني رثيت علمه وفضله (١) .

وقد اتهم المؤرخون الشريف الرضي بأنه انما سمح لنفسه برثاء الصابي
لأنه كان يطمح إلى الخلافة وأن الصابي كان يرشحه لها — وأنه كان من
أكبر أعوانه (٢) .

ولا بد من الوقوف قليلاً قبل الاقتناع بهذا الرأي ، لأن الصابي لم
يكن في ذلك الزمن إلا شخصاً ينتمي للعلم والفضل الأدبي ، فلم يكن له
أنصار ولا قوم ، لقد قضى ردهاً من حياته ينتقل بين الاضطهاد ، والسجن
واستصفاء الأموال ، وليت شعري ما عسى أن يستطيعه رجل مثل هذا
لا يأمن على نفسه غائلة الظلم ولا عادية الاضطهاد ، أمثل هذا يمكن أن
يعتمد عليه الشريف الرضي في أكبر مطمح يخطر على بال عربي هاتيك
الأيام وهو الخلافة الإسلامية .

الذي اعتقده أن الشريف لم يعتمد على الصابي في سعيه للخلافة ، بل
اتخذ الرجل الأدب وسيلة للدعاية ، بدلاً من أن يكون وسيلة للمعارضة ،
وأرجح أن العلاقة بين الرجلين الأدبيين لم تمتد الحدود الأدبية إلا قليلاً —
ولهذا فقد كان الشريف صادقاً في رثائه متفجعاً في بكائه ، ولعلك تحس صدق
الماطفة وأثر الحزن في قوله :

يأليت أني ماقتنيتك صاحباً كم قنية جلبت اسي لفؤادي
ويرجح لدينا قوة هذه العلاقة الأدبية قوله :

العقل ناسب بيننا إذ لم يكن شرفي مناصبه ولا ميلادي
إن لا تكن من أمرتي وعشيرتي فلأنت أعلقهم يداً بودادي

(١) معجم الأدباء .

(٢) معجم الأدباء (جزء ٢ الصفحة ٢٦ رفاي) .

تلك الصداقة ، ما نظن إلا أنها بريئة ، وإن شابها الزمن بشوب من السياسة لم يكن منه بد في ذلك الزمن فلم تزل صداقة الأدباء أقوى الصداقات كما قال أبو تمام قبل الشريف :

إن يختلف نسب يؤلف بيننا أدب أقناه مقام الوالد
ولقد عرف الشريف بالوفاء لإخوانه والإخلاص لأخذانه من الأدباء
والشمرء ، وبكفي تأييداً لهذه الفكرة ، أن تعلم عطفه وحده على ميار
الدلمي ، تلميذه وريثه ، فلو لا أدب ميار وموهبته الفنية لما كانت علاقته
بالشريف متممة بهذه القوة التي ذهبت مضرب الأمثال .
لقد كان الزمن الذي عاش فيه الأديبان الكيران - الصابي والشريف -
زمن اضطراب في السياسة والمفهوم الأخلاقي بحيث تغيرت الأفكار وساءت
الظنون . ومن هنا جاء هذا الرأي الذي لم يستطع قبول الصداقة البريئة
حتى رماها بالقصد المادي والغاية الدنيوية . وإن رجلاً مثل الشريف ، في
أخلاقه وفنه وثقافته وكرمه محتده ، لأبعد ما يكون عن سوء القصد
وزيغ النية .

أحمد الجندى



الكلمات التركية

في اللهجات العربية الحديثة

لما ذهبت إلى القاهرة في سنة ١٩٦٤ واستمعت إلى لهجتها شد انتباهي بمض الكلمات فيها مثل سادة ، وطازة ، وخانه وبقشيش وبهلوان وترزي وجنيز ، وعشرات أخرى من هذا القبيل شدت هذه الكلمات انتباهي لأنني استعمل الكلمات نفسها في لغتي - الأردنية - وتفيد نفس المعاني أو معاني متقاربة - فما سر وجود هذه الكلمات في هاتين اللغتين : اللغة الأردنية وبعض اللهجات العربية الحديثة . لم تدم دهشتي طويلة فبعد بحث يسير تبين لي أن هذه الكلمات فارسية الأصل دخلت اللغة الأردنية مباشرة بينما دخلت اللهجات العربية الحديثة عن طريق التركية والمعروف أن اللغة التركية غنية بالكلمات الفارسية . فلما تأثرت اللهجات العربية الحديثة باللغة التركية . وأخذت بعض كلماتها كانت من ضمنها هذه الكلمات الفارسية . المُرَّكَّة ، .

لقد دفعني حيي لدراسة الكلمات وتاريخها إلى جمع هذه الكلمات الفارسية ثم توسعت وجمعت الكلمات التركية المستعملة في اللهجة المصرية بنض النظر عن أصلها . ولما اتسع المامي بلهجات عربية أخرى أضفت إلى هذه الكلمات كلمات أخرى تركية تستعمل في بعض اللهجات العربية الأخرى مثل اللهجات السودانية والأردنية واللبنانية .

لقد دخلت اللهجات العربية الحديثة - لاسيما اللهجة المصرية - مئات من الألفاظ التركية طوال حكم المماليك والأتراك غير أن معظم هذه الكلمات

افترضت وما بقي منها إلا قدر يسير — ولقد استقر بعض هذه الكلمات في اللغة العربية وارتقى عن مستوى الكلام العامي إلى مستوى اللغة الأدبية مثل بشرف وبصمه ، وبوغاز وجرمك وطابور وطاقم وقنبلة ونيشان . ومن ثم اكتسبت دراسة هذه الكلمات نوعاً من الأهمية والخطورة .

إنني أذكر الكلمات التركية المعربة وأشرحها وإذا كانت الكلمة مستعملة في لهجة غير لهجة مصر فإنني أشير إلى ذلك ثم آتي بأصلها التركي مكتوباً بالحروف اللاتينية وفيما يلي بيان نطق بعض الحروف ولها نطق يخالف مثيلاتها في اللغات الأوربية .

★ ★ ★

تكتب اللغة التركية الحديثة بالحروف اللاتينية ، وتنطق معظم هذه الحروف كما تنطق في اللغة الانجليزية . أما الحروف التي يختلف نطقها فسنذكرها فيما يلي ونشرح نطقها :

C	ينطق مثل z في اللفظ الانجليزي Judge , Jam
ç	ينطق مثل ch في اللفظ الانجليزي Church
g	هذا الحرف في الغالب يطول الحركة السابقة .
j	ينطق مثل z في اللغة الفرنسية .
ş	ينطق مثل الشين العربية .
I (بدون نقطة)	صوت الضمة بدون تدوير الشفتين .
ö	صوت e مع تدوير الشفتين .
ü	صوت i مع تدوير الشفتين .
u	صوت u كما في Put في الانجليزية .

★ ★ ★

« أ »

أبلة : كلمة تخاطب بها امرأة صغيرة السن من غير الأقارب
تركي Ablâ الأخت الكبيرة .

أجزجى : الصيدلي

تركي Eczacı

أجزخانه : الصيدلية

تركي Eczahane ، Eczâne واللفظ مركب من الكلمة العربية
« أجزاء » التي تفيد معنى الأدوية بالتركية ، والكلمة الفارسية
« خانه » بمعنى البيت أو الدار .

أبخانه : المرحاض

لا يوجد هذا اللفظ في التركية الحديثة ، وهو مركب من الكلمة
العربية « أدب » والكلمة الفارسية « خانه » بمعنى الدار .
أشكره خبر : على المكشوف ، كما في قولهم : فعل كذا أشكره خبر .
لقد انقرض هذا اللفظ في اللهجة المصرية ولكنه لا يزال يستعمل
في اللهجة الأردنية .

تركي Aşikâre : علناً ، واضحاً ، واللفظ فارسي الأصل : آشكار .

أفندم : كلمة مفادها (١) (لبيك) (٢) أعد ما قلت من فضلك .
تركي Efendim .

أفندى : لقب كالسيد ؛ المثقف ثقافة غربية والمتزني بالزي الأوربي .
تركي Efendi واللفظ يوناني الأصل .

الاي : فرقة كبيرة من العسكر ،

تركي Alay .

- انجليز : جيل من الناس يقطنون انجلترا .
- تركي Ingiliz من الإيطالية Inglese .
- أوروبا : القارة المعروفة .
- تركي Avrupa من الإيطالية Europa .
- أورطه : وحدة من ألف جندي .
- تركي Ordu : الجيش ، المعسكر ، والجدير بالذكر أن من هذا اللفظ جاءت كلمة «أردو» وهي اسم إحدى اللغات الهندية وسميت بهذا الاسم لأنها نشأت في المعسكر ، كما جاءت من هذا اللفظ الكلمة الانجليزية Horde بمعنى القبيلة المتقلبة .
- اورمان : اسم حديقة في القاهرة .
- تركي Orman : الغابة .
- أورنيك : الاستارة ، وجمعه أرانيك . يكثر استعمال هذا اللفظ في السودان .
- تركي Örnek : العينة ، النموذج .
- أوسطى : صاحب صنعة ، ميكانيكي ، سواق السيارة .
- تركي Usta .
- أوضه : الحجرة ، جمعها أَوْض .
- تركي Oda .
- أونباشي : رتبة في الجيش والشرطة . ويكتب أيضاً «امباشي» ويجمع على أونباشية .
- تركي Onbaşı وأصل معنى الكلمة قائد العشرة وهو مركب من On أي العشرة Baş أي الرئيس (١) .

(١) الياء في لفظ «باشي» ضمير الإضافة فاصل معناه : رئيسهم . يقول الأتراك : العشرة رئيسهم بمعنى رئيس العشرة . وهكذا في بكباشي وبوزباشي وحكيباشي .

« ب »

باش : الرئيس كما في باشكاتب أي رئيس الكتبة ، وباشمهندس أي رئيس المهندسين .

تركي Baş الرأس ، الرئيس .

باشا : لقب شرف تركي .

تركي Paşa .

باشتخته : مكتبه ، سبوره .

تركي Paştakta من الفارسية : پيش تخته ، پيش معناه إمام

وتخته معناه لوحة من الخشب ، والجدير بالذكر أن « باش » في

هذا اللفظ محرف من پيش ولا صلة له بباش بمعنى الرأس .

باميا : الخضار المعروف .

تركي Bamya .

بخشونجي : مدير الحديقة .

تركي Bahçivan والكاسعة ci .

بدروم : الطابق السفلي من الدار . ويقال له أيضاً « بدرون » .

تركي Bodrum وأصل معناه السرداب .

برتقال : فاكهة معروفة .

تركي Portakal من الإيطالية Portogalle أصل معناه البرتقال .

برجل : أداة من أدوات الرسم الهندسي .

تركي Pergel .

برضه : أيضاً ، مع ذلك .

تركي Pirde . يظن بعض الناس أن الهاء في برضه ضمير الغائب ،

ويستبدلونها بالكاف عند الخطاب فيقولون : انت برضك .

م (١٣)

برطبان : وعاء من زجاج . ويقال له أيضاً مرطبان وهو الأصل .
فارسي مرتبان .

برنجي : الأول وهو من المصطلحات العسكرية ، واسم سيجارة في السودان .
تركي Birinci الأول .

برواز : الاطار .

تركي Pervaz .

بروجي : من ينفخ في البوق (مصطلح عسكري) .
تركي Boru البوق والكاسعة ci .

بزونج : القواد ، (يستعمل هذا اللفظ في اللهجة الأردنية) .
تركي Pezevenk .

بسطرمة : لحم مملح مجفف .

تركي Pastarma .

بشتي : من يتصل به جنسياً من الرجال (في اللهجة السودانية) .
تركي Puşt .

بشرف : مقدمة اللحن في الموسيقى .

تركي Peşrev من الفارسية وهو مركب من « پيش » أي أعلم
و « رو » أي الذهاب يعني المتقدم أو المقدمة .

بصمة : خطوط الأصابع .

تركي Basma الختم .

بقمط : نوع من البسكويت الصلب .

تركي Peksimet .

بقشيش : ما يعطى من نقد لخدم الفنادق والمطاعم وغيرهم .
 تركي Bahşiş من الفارسية بخشش أي المطاء والجدير بالذكر
 أن في هذه الكلمة المعربة أبدلت الخاء قافاً وهذا شاذ .
 بك : لقب تركي . وينطق « بيه » ويجمع على بهوات .
 تركي Bey .

بقجه : الصرة .
 تركي Bokça .
 بكباشى : رتبة عسكرية وينطق بياشى .
 تركي Binbaşı وأصل معناه قائد الألف ، وهو مركب من Bin
 أي الألف و Baş أي الرئيس .
 بلكه : يمكن ، لعل . يكثر استعمال هذه الكلمة في اللهجتين
 الأردنية والفلسطينية .

تركي Belki من الفارسية وهو مركب من « بل » العريضة
 و « كه » الفارسية .
 بلطجي : الحارس المسلح بالفأس ويطلق مجازاً على رجل مستبد متشدد .
 تركي Baltacı .
 بلطة : الفأس .

تركي Balta .
 بلوك : فوج أو جماعة (مصطلح عسكري) .
 تركي Bölük .
 بلياتشو : المهرج .

تركي Balyaço .
 بيه : القنبلة ، نوع من اللعبة المفرقة .
 تركي Bomba من الإيطالية .

- بنج : خمسة في لعبة الطاولة . بنج وسه : خمسة وثلاثة .
فارسي بنج .
بنجر : خضار معروف .
تركي Pancar .
بهار : التوابل .
تركي Bahar .
بهريز : نوع من الشوربه .
تركي Pehriz ، الامتناع ، الحماية ، من الفارسية .
بهلوان : اللاعب على الجبل ومنه أيضاً « الفهلوة » .
تركي Pehlivan : الملاك ، البطل ، من الفارسية .
بوطة : في اللهجتين السورية واللبنانية الآس كريم ، وفي اللهجة المصرية
نوع من الشراب المسكر .
تركي Buz الجليد .
بوغاز : المضيق .
تركي Bogaz .
بوية : الدهان . وفي اللهجة السودانية بوهيه .
تركي Boya .
بياده : المشاة .
تركي Piyade من الفارسية بياده ، وقديماً عرب هذا اللفظ أفقارسي
« يياذق » واشتق منه يياذق ظناً أن يياذق جمع .
بيره : شراب معروف .
تركي Bira من الإيطالية .
بيش : خمسة في لعبة الطاولة .
تركي Beş .

(يتبع) ❖❖❖ السودان : ف . عبد الرحيم

التعريف والنقد

أمراء البيان

أعادوا طبع كتاب : أمراء البيان ، الأستاذ الرئيس محمد كرد علي ، أدخله الله في واسع رحمته ، ولقد أعيد طبع هذا الكتاب النفيس في وقت تزامت فيه الشقة بيننا وبين البلاء من كتابنا المتقدمين واشتدت فيه الحاجة إلى الاقتباس من خالد بيانهم ، فنحن نعيش في عصر تكاد الصلة بيننا وبين أدبنا القديم تكون منقطعة الأواصر ، لقد انقلب عالمنا كل منقلب ، أدبه وثقافته ، ودخلت علينا مذاهب حديثة في كل أفق من آفاق الحياة حتى كاد بياننا يسجز عن الإفصاح عن هذا المنقلب العظيم ، على أن المتقدمين من بلغاء كتابنا وكبار علمائنا لم يضعفوا عن تمثيل الانقلاب الذي وقع في عصرهم في كل ناحية من نواحي الحياة ، فقد استطاعوا أن يجدوا لغة وأسلوباً لكل ماجرى في أيتامهم ، أما نحن فقد ظهر عجزنا في هذا الأمر حتى كاد بياننا يتفصل عن بيان المتقدمين ولذلك نجد الحاجة ماسة إلى تذكيرنا ببلاغة أولئك الأئمة والعرف من بحرهما ، وهذا ما يحملنا على أن ننظر إلى كتاب : أمراء البيان نظرة خاصة ، ونشكر للذي ألفه والذين أعادوا طبعه .

طبع الكتاب مرتين وأعيد طبعه هذه السنة ، وقد صدر الدكتور سامي الدهان ، عضو مجمع اللغة العربية بدمشق ، الطبعة الجديدة بمقدمة بليغة لم يخس فيها الأستاذ الرئيس حقه كما لم يخس كتاب أمراء البيان حقه ، لقد أنزل في مقدمته الأستاذ الرئيس المنزلة الرفيعة التي تليق بمقامه كما أنزل

الكتاب نفسه المنزلة السامية التي يستحقها ، كل هذا في بيان يدل على ذوق خالص وبراعة فائقة .

أما الأستاذ الرئيس فإن هذه السطور عاجزة عن أن تعطيه حقه أو تصوّر مقامه الجليل في فهم الأدب وقدره حق قدره ، لقد فصلت الكلام في مقدمته على بيان العرب أبلغ تفصيل ، فلم يغفل عن شيء من خصائص الأدب في عصوره بأجمعها ، كما لم يغفل عن شيء من تصوير الأطوار التي تقلّب فيها هذا الأدب ، وكما ظهرت بلاغته في المقدمة فكذلك ظهرت هذه البلاغة في الكلام على كل إمام من أئمة البيان مثل عبد الحميد الكاتب وابن المقفع وابن هارون وابن مسعدة وابن يوسف الكاتب والصولي والزيات والجاحظ والتوحّيدي وابن العميد .

من هذه الطبقة الرفيعة من رجال البلاغة ندرك مقادير هذا النثر الذي انتخبت منه نماذج في كتاب : أمراء البيان ، فاذا كنّا نقدر هذا النثر فلا يرجع تقديسنا إلى مجرد الإعجاب ولكنّا نشعر بتقصيرنا عن طبقة وبالجهد في ذوق محاسنة حتى نصل إلى درجته على الأقل ، هذا إذا كنّا لانستطيع أن نجاوِز هذه الدرجة .

لقد استطاع الأستاذ الرئيس محمد كرد علي أن يبلغ الدرجة الرفيعة من بلاغة المتقدمين ، فما علينا أن نضمّ اسمه الكريم إلى أسماء أمراء البيان .

سفيان ميري



حكاية الأيام الثلاثة

لا نرى الدكتور عمر النص غريباً عن قن الرواية ، لقد ظهرت قدرته على هذا النوع من الأدب في روايته الأولى : شهر يار ، التي كانت جذابة من أولها إلى آخرها ، وإذا كان من شروط الرواية محاسن اللغة ، فلمة الدكتور عمر النص لا تفتقر إلى هذه المحاسن ، ويكاد يكون شرط هذا الحسن أبرز شروط الرواية ، ولما أثني « أنا قول فرانس » على « موباسان » في أحد كتبه الأدبية كانت مسألة اللغة مظهراً من مظاهر هذا الثناء .

وقد يضاف إلى إتقان اللغة في الرواية إتقان الحوار ، فالحوار إنما هو روح الرواية على ما اعتقد ، ولقد نشاهد براعة الحوار ومحاسن اللغة في رواية الدكتور عمر النص الثانية وهي : حكاية الأيام الثلاثة ، فإن أكثر الروايات في أدبنا لا تزال تحتاج إلى أشياء كثيرة من قواعدها ، مثل سلامة اللغة وبساطة التعبير ودقة التحليل وحسن الحوار وماشا كل هذه الأمور .

إننا نجد في رواية : حكاية الأيام الثلاثة قوة في جذب القارئ إلى تتبع حوادثها ، فالقارئ لا يكاد يفرغ من قراءة الفصل الأول من فصولها حتى يشتد به الميل إلى الاطلاع على الفصل الثاني .

لقد جرت حوادث حكاية الأيام الثلاثة في مدينة « جالوق » سنة ١٤٠٢ الميلادية ، خلال غزو التتار لبلاد الشام ، ومن ذكر التتار وبلاد الشام نعرف روح موضوع الرواية ، لقد تجلّت البلاغة في وصف بطولة « جالوق » أي بطولة رجالها ومجدهم وضحاياهم ، ثم تجلّت هذه البلاغة في وصف إهمال المدينة وخضوع رجالها ونومهم عن الدفاع عنها ، وقد نجد في

أعمال « تيمورلنك » صورة لأعمال كل معتدٍ أثيم ، فكل كلمة من كلمات الرواية في وصف هذه الأعمال تعبّر عن حالة كل مغلوب على أمره في أي عصرٍ من المصور ولعلّ بلاغة الصبر على احتمال الأذى والإصرار على دفع هذا الأذى تمشّ في هذه الجملة : ولكن « جالوق » مستظل تضيء ... ، هذه العبارة تتضمن الإشارة إلى كل مدينةٍ من المدن التي تحمل الشر حيناً من الدهر ثم توطن النفس على دفع هذا الشر .

لسنا نبالغ إذا قلنا ان الدكتور عمر النص خلق للرواية وإتقانها ، وليس هذا بشيء قليل بالنسبة إلى عصرنا الذي استفاض فيه هذا النوع من الأدب .

ش.ج



اتجاهات النقد الحديث

للدكتور جميل صليبا

عهدنا بأستاذنا الدكتور جميل صليبا أنه قد نذر نفسه للفلسفة فهو منذ قرابة أربعين عاماً ما انفك يعلمها ، ويدرس قديمها وحديثها ، ويحقق بعض ذخائرها وكنوزها ، ويضع معجماً لمفرداتها ، وينقل إلى العربية بعض روائعها الغربية ، بأسلوب عربي مشرق أصيل ، نبقت أصوله في « مكتب عنبر » ، واخضرت غصونه وفروعه مع طول مصاحبة كتب الأمهات . وهو حين علّم وحقق ألف ونقل ، المثال الذي يحتذى ، والأسوة التي تقتفى . فمن استمع إلى دروسه وهي في فجرها المبكر ، رأى عليها مسحة من الأدب ظاهرة ، وطلاوة تنبع من حسن اختيار الألفاظ ، وضم الكلمة إلى أختها ، ومن حسن التوفيق في الجمل والتراكيب . وطلابه الأولون يذكرون أنه لم يعلمهم الفلسفة ليس غير ، ولم يلقيهم مذاهبها وفيرقها ، شرقها وغربها ، وما حفلت به كتب القدامى والمحدثين من مناقشات ومساجلات وردود ليس غير ، وإنما أخذوا عنه كذلك أدباً ولفه ، ولقد كان يؤكد لطلابه دوماً الصلة الوثقى بين الفلسفة والأدب فيقول : الأدب يتوَّج الفلسفة ، ولهذا لم أعجب حيناً أهدي إليّ كتابه الأدبي الأول عام ١٩٥٨ الذي سماه (الاتجاهات الفكرية في بلاد الشام وأثرها في الأدب الحديث) ، ولم أسأل نفسي : ما لهذا الإخصائي في الفلسفة بغير على الأدب ، فيبحث عن تأثير الاتجاهات الفكرية فيه ؟ فلقد كان جميل صليبا دوماً فيلسوفاً أدبياً ، وأديباً فيلسوفاً .

كذلك لم أعجب يوم أهدى إلي كتابه الجديد (اتجاهات النقد الحديث في سورية وهو مجموع محاضراته التي ألقاها في هذا العام (١٩٦٩) على طلاب معهد البحوث والدراسات العربية في القاهرة ، قسم البحوث والدراسات الأدبية واللغوية ، التابع لجامعة الدول العربية . فالنقد من الأدب ، ولم نعرف في أدبنا العربي عصرًا من العصور خلا من النقد ، منذ أن قام سوق عكاظ وجلس فيه مقدم من الشعراء ، حكماً بين الشعراء ، إلى يومنا هذا . فمن حق جميل صليبا الأديب الفيلسوف أن يبحث في النقد الحديث واتجاهاته في سورية ، ولا جناح عليه في أن يخوض ميدان الفن الذي يتوج اختصاصه .

قم أستاذنا المؤلف كتابه إلى اثني عشر فصلاً وخاتمة .

فتناول في الفصل الأول ركود الأدب في سورية خلال العهد العثماني ، وحالة الأدب في سورية خلال الحكم العربي ثم خلال الانتداب الفرنسي ، ثم خلال عهد الاستقلال ، وعوامل الإنتاج الأدبي وتأثيرها في النقد ، والمحافظون والمجددون .

وتناول في الفصل الثاني : رواد النقد الأدبي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وفي الفصل الثالث : النقد اللغوي : المحافظون المتشددون ، وفي الفصل الرابع : المحافظون المعتدلون ، وفي الفصل الخامس : طلائع التجديد في النقد ، وفي الفصل السادس : تحرير الأسلوب العربي من العيوب التي علق به في عصور الانحطاط ، وفي الفصل السابع : الثورة على الأدب التقليدي ، تحطيم الأصنام ، وعقد في الفصل الثامن فصلاً سماه : من النقد البياني إلى النقد التحليلي ، وفي الفصل التاسع فصلاً سماه : بين النقد الذاتي والنقد الموضوعي ، وبحث في الفصل العاشر : نقد

أنواع الأدب ، وفي الفصل الحادي عشر : مذهب الالتزام ، وفي الفصل الثاني عشر : مذهبه في النقد . وأنهى الكتاب بالخاتمة .

ومن المسير أن نبحث في هذه الكلمة مضامين العناوين التي أوردناها فيما سبق ، فالكتاب يقع في (٢٦٦) صفحة من القطع المتوسط وحسبنا أن نلم ببعض المواضيع التي نرى أنها تستحق البحث ، لنعطي صورة قريبة من الوضوح عن هذا الأثر القيم الذي قدمه أستاذنا الدكتور صليباً إلى المكتبة العربية .

فالكتاب كما ترى من تعداد فصوله يغلب عليه الترتيب المنطقي ، فهو يتدرج منذ أوائل النصف الثاني من القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا ، وهو يبدأ بالمحافظين المتشددين ، وينتهي بالمتحررين وبالملتزمين ، وليس بدءاً في التأليف أن يأتي كتاب من علم المنطق أربعة عقود منطقياً الترتيب .

وعلى الرغم من أن أستاذنا قد غاص في الأدب والنقد واللغة فإنه لم يستطع التحرر في بعض مواضيع الكتاب من أسلوب الفلاسفة وتعايرهم وألفاظهم ، فقد غلبت عليه أحياناً بشكل واضح ، كقوله (ص ٢٥١) :

« قيل ان بين النقد والعلم فرقاً كبيراً ، لأن العلم ينظر في الأشياء للكشف عن القوانين الطبيعية التي تضبطها ، والنقد ينظر في قيم هذه الأشياء . وإذا كان النقد مؤلفاً من أحكام إنشائية أو تقديرية تفاضل بين قيم الأشياء ، بحسب قربها من المثل العليا أو بعدها عنها ، فإن العلم مؤلف من أحكام خبرية أو وجودية تعبر عما هو كائن بالفعل . وإذا علمت أن ما يكتبه الكاتب أو يصوره الفنان أو يقوله العالم أو الفيلسوف يرجع في النهاية إلى أحكام خبرية أو إنشائية ، علمت أن حكم الناقد على قيمة هذه الأحكام كلها ليس حكماً بسيطاً ، وإنما هو حكم مركب أي حكم على حكم . »

فإذا كان النقد « حكماً على حكم » كما قرر أستاذنا المؤلف ، فإن كتابه لم يخل من هذه القاعدة ، فكثيراً ما أصدر « حكماً على حكم » أو إن شئت « نقداً على نقد » . ولنضرب على ذلك مثلاً واحداً فهو من جهة شديد الإعجاب بالأستاذ الرئيس محمد كرد علي رحمه الله ، يقول عنه بمعرض الرد على أحمد شاكر الكرمي (ص ١٣٧ - ١٣٨) : « فمحمد كرد علي الذي تربع في دست الوظيفة لم تخدم شعلة مواهبه ، بل ترك الكتابة في الجريدة وانصرف إلى الكتابة العلمية والأدبية ، ونشر خطط الشام والإسلام والحضارة العربية ، وأقوالنا وأفعالنا ، وكنوز الأجداد ، والمذكرات وغيرها ، حتى صار — بما قبسه من الثقافة العربية والثقافة الغربية . قائد الحركة الأدبية في بلاد الشام ، وبعد أسلوبه الأدبي من الأساليب البليغة الواضحة في غير تصنع ولا إفراط » . إلا أن قائد الحركة الأدبية ليس في نجوة من نقد أستاذنا المؤلف كقوله عنه : « وبلغ من ضعف ملكته الموسيقية أنه كان يستعين ببعض أصدقائه على ضبط أوزان الأشعار التي يستشهد بها في مقالاته » .

ويشير أستاذنا المؤلف إلى نقد قائد الحركة الأدبية في بلاد الشام لكتاب قواعد التحديث الذي ألفه جمال الدين القاسمي (ص ١١٩) ، وينقل قوله في مؤلفه : « إنه ينقل عن مجلات غاضاً من ذكر أسمائها ترفعاً ، وأنه يقتصر على نقل كلام غيره من أول الكتاب إلى آخره ، وأنه من العلماء المشهورين الكثيرين من التأليف على هذه الطريقة في الجمع والنقل وأنه آخر من جرى على تلك الطريقة التي ضعفت فيها ملكة التأليف ، فاكتمى في أكثر تأليفه بسط آراء غيره » ثم يشير إلى المساجلة التي جرت بين شكيب أرسلان ومحمد كرد علي حول هذا الموضوع ، ويعلق على رأي كرد علي بقوله (ص ١٢٢) :

« وإذا عدنا الآن إلى رأيه في طريقة النقل والجمع ، قلنا : انه لم يسلم هو نفسه من اتباع هذه الطريقة في بعض تأليفه ، فإن تراجع بعض الرجال الذين ذكرهم في كتاب كنوز الأجداد لا تختلف عن تراجع ابن خلكان والبيهقي والقفطي وابن أبي أصيبعة إلا قليلاً » .

ويتضح إنصاف أستاذنا المؤلف ، وغيرته على الجمع ، في رده على سامي الكيالي الذي اتهمه بأنه (ص ١٦٤) : « كان يضم الكثير من الأطباء ولكنهم كانوا يحاولون إنقاذه بطلب ابن سينا لا بطلب باستور ... ولم يستطع أن يخطو أي خطوة في تطوير الأدب » . فيقول : « وفي هذا القول حيدة عن الطريق ، لأن المجامع اللغوية لم تنشأ لتطوير الأدب ، بل أنشئت للحفاظ على سلامة اللغة ونقاوتها وتطوير ألفاظها حتى تصبح صالحة للتعبير عن حاجات العصر ... ويكفي الجمع العلمي شرفاً أن يعمل على صيانة اللغة ، وتطوير ألفاظها ، ونقد أساليبها ... » .

وفي فصل « الثورة على الأدب التقليدي - تحطيم الأصنام » الذي اتخذ له أنموذجاً متركه أحمد شاكر الكرمي ، يحلل الأسباب التي دعت إلى هذه الثورة « التي أرادت أن تطور الأدب ، وأن تنهض به ، وأن تبعث الحياة فيما ركده منه ، ولكن بشرط المحافظة على الفصحى ، وعلى اللغة وقواعدها ، « لأنها من أم أركان الأدب » ، وتبين نصرة أستاذنا المؤلف لهذه الثورة بما نقل من أقوال الكرمي ، وبالفتنات التي اختارها . مثال ذلك قول الكرمي (ص ١٤٦) :

« أول ما يجب الشروع به لإحياء الآداب العربية هو القضاء على المعجمة الخبيثة ، واجتثاث أصولها ، وإقصائها عن الناشئين جهد المستطاع : لكي لا تعلق بأذهانهم فتفسد ملكاتهم . » .

وأحمد شاكر الكرمي يسمي الذي يهملون شأن اللغة بالمتعدين ، ويقول عنهم (ص ١٤٧) : تمصف في رؤوسهم عاصفة الطموح ، وتدب في عروقهم حمى الطمع في الشهرة وبعد الصيت ، فيندفعون إلى الكتابة دون تعلم قواعدها ، فيشوّهون وجه الأدب بأجثاء التي ينفثونها ، والجراثيم التي يبثونها . . .

ولهذا فإن أستاذنا المؤلف يحكم على الكرمي هذا الحكم النصف الجليل (ص ١٥١) :

« وإذا أضفنا إلى ذلك كل ما عرفناه من حماسه وإخلاصه وصدقه وعدالته أمكننا أن نقول أن ذلك النجم المتوقع كان لا يزال في دور التكوين يوم أدركه الاحتراق ، .

وكما يبدو أن أستاذنا المؤلف كان نصيراً لثورة الكرمي فانه يبدو أيضاً أنه كان رفيقاً بأصحاب المذهب الحر وبدعاة مذهب الالتزام ، وعلى الرغم من أنه قد عرض آراء الواقفين والمخالفين ، فإن عرضه كان مجرداً ، ولم يصدر فيه « حكماً على حكم . . .

وليس هنا مجال بحث البدعة التي استحدثوها ، وزعموا أنها تحرير للشعر من الوزن والقافية ومن كل قواعده « عمود الشعر » التي أشار إليها الأقدمون ، منهم المرزوقي في مقدمة شرحه لحماسة أبي تمام . وإنما نكتفي بالإشارة إلى أن هذا المذهب إذا كتب له البقاء ، وهذا الحال ، فيمكن أن يكون كل شيء إلا الشعر .

وأما ماسمونه « الالتزام » فهو أيضاً بدعة جديدة منكرة ، لا يمكن أن تستقيم في أي زمان أو مكان .

لو عدت إلى أقوال أصحابها لوجدت فيها برقاً خائباً ، وسراباً بقيعة يحسبه الظمان ماءً ، ذلك بأن نصرة الأمازي الوطنية ، والتحدث عن الأممي الاجتماعية ، والنكبات القومية ، أمور قد التزمها الشعراء والأدباء في سورية ، في جميع المصور ، وفي العصر الحديث خاصة ، من غير إلزام وإنما دفعهم إليها شعور قومي عميق صادق ، وحس دافئ يتألم لأرزاء المجتمع ، وجراح نازفة لما حل بأرض الوطن من النكبات . ولا أدل على ذلك من مجموعة القصائد التي قيلت في الثورة السورية الكبرى (١٩٢٥ - ١٩٢٧) التي جمعها الأستاذ عبد الدين الخطيب في كتاب سماه « ديوان الثورة » . هذا الديوان لم يوح به مذهب سياسي معين ، ولا أملاء تسخير لقرائح الشعراء ، ولم يستلهم أصحابه قصائدهم إلا من وحي وجداناتهم . ولا ريب عندي في أن الذين يتحدثون عن « الالتزام » إنما ينظرون من وراء الأفق إلى ردة « باسترناك » فيما زعموا .

وخلاصة القول فإن الكتاب الذي بين أيدينا يمكن أن يوصف بأنه جديد في موضوعه وفي أسلوبه ، وهو من خير الدراسات المهمة الرصينة التي ينبغي أن يحرص عليها المتأدبون الناشئون ، وأن تزين بها مكاتب العلماء والأدباء والنقاد .

ظافر القاسمي

ضهور الشوير (لبنان)



دراسات في فقه اللغة

تأليف الدكتور صبحي الصالح

طبعة دار العلم للملايين في بيروت سنة ١٩٦٨ (الطبعة الثالثة)

الأستاذ الدكتور صبحي الصالح علم من أعلام التأليف في دنيا العرب . عرفناه أول ما عرفناه في كتابه (مباحث في علوم القرآن) الذي أصدره سنة ١٩٥٨ ، ثم في كتابه (علوم الحديث ومصطلحه) الذي أصدره سنة ١٩٥٩ ، ثم في كتابه (دراسات في فقه اللغة) الذي أصدره سنة ١٩٦٠ . وقد صدرت هذه الكتب جميعاً أول مرة في دمشق حين كان المؤلف أستاذاً في كلية الآداب بجامعة دمشق .

وسرعان ما عرفت هذه الكتب ، ولقيت عناية فائقة من الدارسين والباحثين ، كما طارت شهرتها بين طلبة الجامعات العربية خاصة . ثم تابعت طبعاتها لذلك ، حتى صدرت الطبعة الثالثة من كتاب (دراسات في فقه اللغة) في السنة الماضية متقحفاً ، ومزيداً فيه بحثان جديداً كما يقول المؤلف (١) .

وهذا الكتاب الأخير هو الذي يعنينا في هذه الكلمة العجلى . وهو كتاب قيم قويم ، أقامه المؤلف على أصول الدروس التي كان يلقيها على طلابه في كلية الآداب بجامعة دمشق .

أجاد الدكتور صبحي تأليف هذا الكتاب وتبويبه ، وأحسن فيه دراسة كثير من خصائص العربية ومسائلها وقضاياها التي تدارسها علماءنا في القديم والحديث ، مثل مسألة اللهجات العربية القديمة وأثرها في تكوين العربية

(١) انظر مقدمة المؤلف للطبعة الثالثة من ٥ - ٦ .

الفصحى ، وتقل اللغة وتدوينها ، ومثل ظاهرة الإعراب ، ومسألة الاشتقاق وأنواعه المختلفة ، ومسألة الدخيل وتعريب الألفاظ الأجنبية ، ثم المشكلات التي تواجهها العربية في العصر الحديث ولا سيما مشكلة المصطلحات العلمية ، وغيرها من قضايا العربية .

وكلها قضايا معروفة ، بحث فيها العلماء من العرب والمستشرقين ، وأبدؤوا فيها القول وأعادوا في أبحاث ومقالات متفرقة في كتب وصحف دورية كثيرة . ولكننا لم نرها مرتبة مجموعة معروضة معاً بين دفتي كتاب قبل أن يصدر الدكتور صبحي كتابه هذا . فهو لذلك يعد فريداً ، لا صنو له في باب . وهذا إلى بيان عربي أصيل جميل ، ولغة صحيحة فصيحة ، طبع عليها الدكتور صبحي ، فتجلت في كتبه جميعاً . ومن وراء هذا البيان الجميل واللغة الفصيحة حماسة ظاهرة للغة الضاد ، وإشادة دائمة بأصالتها وعبقريتها في القديم والحديث . ومنشأ هذه الحماسة حب للعريضة خالص ، يملك نفس الدكتور صبحي ، ويجعله دائماً راضياً عمن يحب ، مستحسناً لأحواله جميعاً . وهو على حق لا ينكر ولا يدفع في حبه الكريم هذا ، والموقف النبيل الذي يؤدي إليه . ولقد أوتينا مثله حظاً وافراً من هذا الحب ملأ ليالي عمرنا ، واستنفد منا طاقة الشباب الغالي .

ولا يمكننا هنا أن نوفي القول في هذا الكتاب القيم . وغايتنا القصوى هو التعريف به والإشارة إلى قيمته وحسب . وقيمة الكتاب الأساسية كائنة ، كما نرى ، في براعة المؤلف في رسم المعالم الكبرى في طريق الباحثين في كثير من قضايا العربية التي ذكرنا طرفاً منها آنفاً ، مثل قوله في كلامه على قضية اللهجات العربية القديمة : « هذه خلاصة الفوارق الرئيسة بين لهجتي تميم والحجاز ، رأينا من خلال عرضها أننا من تميم أمام لهجة

خاصة قائمة بذاتها ، لها خصائصها ومميزاتها . وعسى أن نكون قد استنتجنا من معرفتنا لذلك أن لهجة تميم قد أمدت العربية الفصحى بروافد غنية غزيرة ، ساعدت على استقرار نحوها وصرفها ، وسعة اشتقاقها ، وبعد دلالاتها ، وانبساط مدرجها الصوتي ، وحياء عدد كبير من مفرداتها . فإذا أردنا أن ننتقل إلى دراسة خصائص العربية ومميزاتها كان لزاماً علينا أن نفهم لدى أول خطوة نخطوها حتى آخر نتيجة نعطيها أن تيمماً تشارك قريباً بنصيب كبير من هذه الخصائص ، وأن إغفال دور تميم في هذا إنما هو نهائون بجزء لا يتجزأ من لغتنا العربية الفصحى^(١) .

وهذا حق مبين ، وهو أيضاً تخطيط وجيز دقيق لدراسة لهجة تميم ، وبيان أثرها في تكوين العربية الفصحى . ومثل هذا كثير في الكتاب .

ولنا بعد كلمة أخيرة نحب إسماعها ، وهي أن المؤلف الكريم قد صرف أكبر همه إلى بعض قضايا العربية دون بعضها . فقد أولى الاشتقاق وأنواعه مثلاً عناية خاصة ، وبذل في بحثها جهداً جاهداً ، على حين مرّ مرأ سريماً بقضايا أخرى مثل مسألة الترادف ، والمشارك في اللفظ ، أو ما اتفق لفظه واختلف معناه كما يسميه القدماء ، ومثل مسألة الأضداد . وهي كلها لا تقل أهمية عن مسألة الاشتقاق ، بل تفوق في أهميتها مسألة مناسبة حروف العربية لمعانيتها من مباحث الكتاب . وهي في الدراسات اللغوية أقرب إلى مسائل ما وراء الطبيعة في الدراسات الفلسفية .

ونحن في انتظار مزيد من الخير من الدكتور صبحي ، وهو أهل لذلك . قوّه الله ولقّاه برّاً .

الدكتور - عزة حسن



المورد

قاموس انكليزي عربي

تأليف منير البعلبكي

كتب منير البعلبكي في صدر مقدّمته لمعجمه المورد (١) أن مؤلّفه كان ثرة عمل متواصل طوال سبع سنوات أنفقها في تأليفه وطبعه ، وجاء في ثبّت المراجع التي اعتمدت في تأليف هذا المعجم أن معجم وبستر الجامعي السابع المطبوع في الولايات المتحدة الأميركية في عام ١٩٦٥ كان في جملة هذه المراجع . وقد تصفحت معجم وبستر المنوه عنه ، وأنا أتصفح هذا المعجم في كل يوم تقريباً منذ صدوره ، فاذا بأصحابه يدوسون على غلافه أنه نتيجة خبرة تنيف مدتها على القرن . أفلا يحقّ لنا إذن أن نأخذ من ذلك أن معجم البعلبكي الذي هو وليد معجم وبستر أشهر معاجم العالم الأنكلو أميركي على الإطلاق ، إنما هو ثرة عمل وجهد وخبرة يزيد أمدّها على قرن كامل .

وكم كان إعجابي شديداً بقاموس المورد ، وبرسوخ قدم صاحبه في اللغتين العربية والإنكليزية لدى قراءتي مقدمة القاموس التي سماها المؤلف تصديراً . وكنت قرأت فيما سبق لأحد الكتبة المتأخرين مقالاً كتبه عن اللغوي والمحقق المشهور الشيخ إبراهيم اليازجي ، فقد قال هذا الكاتب في معرض وصفه لشرح ديوان المتنبي الذي وضعه اليازجي ، وللدراسة المستفيضة التي كتبها اليازجي عن المتنبي وجعلها ذيلًا لشرح الديوان ، لو لم

(١) صدر هذا المعجم عن دار العلم في بيروت وأنجز طبعه على المطابع الأهلية اللبنانية

يمكن لليازجي غير هذه الدراسة لكفى بها دليلاً على علو كعبه في اللغة العربية وآدابها ، وأنا أقول ، وأراني على حق فيما أقول ، لو لم يكن لمير البعلبي غير هذا التصدير الذي مهد به لقاموسه لكفى به شاعراً على بلاغة صاحبه وتمكنه من اللغتين العربية والإنكليزية .

وكم كان إعجابي شديداً أيضاً بقاموس المورد لدى ماعلمته من تصديره أن عدد مفرداته أو مواده entries كما سماها المؤلف ، لا يقل عن مائة ألف مادة . فذكرت بعد علمي بذلك أن المعجم الانكليزي العربي المدرسي الذي وضع بين أيدينا خلال سنوات الدراسة الابتدائية والثانوية في المدارس الأميركية في لبنان ، وهو قاموس ابكاريوس^(١) ، لم يكن يزيد عدد مفرداته على ٢٥ ألف مفرداً ، وقلت في نفسي ما أوفر حظ المثقف العربي — وقل الطالب العربي على الأقل — في هذا العصر حين يتاح له في دراسته اللغة الإنكليزية أن يستعين بقاموس البعلبي الكبير ، عوضاً عن قاموس ابكاريوس الصغير ، وكم كنت أشعر بالحيية في دراستي للجغرافية والتاريخ والعلوم الطبيعية والرياضية حين اضطراري على مراجعة قاموس ابكاريوس للتفتيش عن المعنى العربي لإحدى الألفاظ الإنكليزية ، فلا أجده فيه غير المعاني البعيدة عن المعنى الذي افتش عنه ، أو لا أجده اللفظة المطلوبة بين ألفاظه فلا أرى بداً إذ ذاك من مراجعة معجم وبستر للتفتيش عن ضالتي المنشودة فإذا وجدت اللفظة المطلوبة وعثرت بين معانيها على المعنى الذي أريده ، وهذه المعاني قد تكون في بعض الأحيان كثيرة تحتاج في قراءتها وفهمها إلى الوقت والدأب ، لرحت بعد ذلك افتش عن اللفظة العربية المقابلة لمعنى اللفظة الإنكليزية الذي وقفت في العثر عليه ، وإنما كان التفتيش كما هو واضح ، فيما كانت تميزه حافظتي من المفردات العربية ، وجل هذه المفردات

مقتبس من كتابات بعض مشاهير المتأخرين من أمثال جرجي زيدان وفرح أنطون وجبران والريحاني وطانيوس عبده وسوام .

وعلى ذلك فاني بعد هذا البيان الذي يجلو حقيقة الدراسة للغة الإنكليزية في الحقبة الممتدة من أول الحرب العالمية الأولى إلى نهاية الحرب العالمية الثانية لايسعني إلا أن أغبط دارسي اللغة الإنكليزية في هذه الآونة ، وبخاصة الطلاب الجامعيين الذين يدرسون اللغة الإنكليزية وآدابها ، لأن لديهم سفراً مطولاً هو معجم البعلبكي يستطيعون الرجوع إليه لتقصي المعاني العربية لمعظم الألفاظ الإنكليزية التي تعترضهم خلال الدراسة ، بدون أن يكلفوا أنفسهم مشقة الرجوع إلى المعاجم الأميركية أو الإنكليزية . وإني إذ أغبط المثقفين والطلاب لأن لديهم مرجعاً غزير المادة يستطيعون اعتماده في تعلمهم اللغة الإنكليزية ، لأغبط أيضاً لأنني في كل يوم تقريباً أقلب صفحات هذا المعجم لاستقصاء المعاني العربية أو للتحقيق في المعاني العربية التي قد أجدني في حاجة إليها خلال الترجمة من الإنكليزية إلى العربية .

غير أنني شأن كل باحث مدقق ، وزولاً عند رغبة المؤلف بإبداء ما ينظر للمراجع من الملاحظات على منهج تأليف المعجم وعلى ما بين دفتيه من الثروة اللغوية استسمح المؤلف عذراً إذا أنا أبدت له الملاحظات التالية :

١ — كثيراً ما يلحق المؤلف آل التعريف بالأسماء الموصوفة وربما كان ذلك تمييزاً لها عن الصفات ، فهو في الصفحة الأولى من المورد يورد لفظة « الحِطَار » بأل التعريف لمقابلة لفظة abatis الإنكليزية ، وبعدها بلفظة واحدة يذكر لفظتي « بَجْزَر ، مَسْلَخ » بدون آل التعريف لمقابلة لفظة abattoir ، فهو إذن في إيراد الأسماء الموصوفة ، يهمل آل التعريف أحياناً ويلحقها بها أحياناً بدون أن يكون لذلك سبب هام يقتضي هذا الإلحاق . وجذا لو تخلي

عن آل التعريف تخلياً تاماً جريباً على المنهج المتبع في معجم ابكاربوس ومعجم الأب بلواليسوعي ، وهو معجم فرنسي عربي ، ومعجم المصطلحات الطبية الكثير اللغات لمؤلفيه الأماندة خاطر وخياط والكواكي وهذا أيضاً فرنسي عربي ، إلا في أحوال خاصة يفضل فيها تعريف الاسم بدلاً من بقاءه بحالة التنكير . وليس بمنكر أن آل التعريف تلحق دوماً بالأسماء الموصوفة في المعاجم العربية وحتى بالصفات أيضاً ، وربما كان ذلك أحد الأسباب التي دعت المؤلف إلى هذا اللاحق . ولكن الفرق جسيم بين التأليف في الحالة الواحدة وبينه في الحالة الثانية ، لأن أسلوب التأليف في المعجم العربي يقتضي أن يكون الكلام في سياق واحد وأن تكون فقراته المتتابعة معطوفة إحداها على الأخرى فلا محالة من إلحاق آل التعريف حتى بالصفات . قال المعلم بطرس البستاني على الصفحة الأولى من قاموسه محيط المحيط « الأبواب الماء والسراب والأبواب معظم السيل والموج » . وقال أيضاً « الأبدية الداهية يبقى ذكرها أبدأج أبدأ وأوابد . والأوابد أيضاً الوحوش والقوافي الشرر . الأبد الدهر والدائم والقديم الأزلي والولد الذي أت عليه سنة ج آباد وأبود ، وهكذا إلى آخر صفحة من صفحات معجم البستاني وإلى آخر مفرد من مفرداته .

وعلى تقيض ذلك فإن مؤلفي المعجم الطبي المذكور آنفاً أسقطوا آل التعريف من كل الأسماء الواردة في المعجم فقالوا عضلة لمقابلة كلمة muscle وقالوا عضلة صدغية في ترجمة muscle temporal بدون آل التعريف ولم يقولوا العضلة الصدغية بآل التعريف مع أن اسم هذه العضلة خاص بها دون سواها من العضلات فهو أحرى باستلحاق آل التعريف من كلمة عضلة ذات المعنى العام أو الدلالة العامة .

٢ - ويصطلح المؤلف في ترجمة الأفعال على صيغة المضارع بدلا من الماضي الذي هو الأصل في بناء الفعل وهو الصيغة الأصلية التي تقابل صيغة الـ infinitive في اللغة الانكليزية وسواها . فهو يقول على الصفحة الأولى في ترجمة كلمة abandon « يتنازل عن ، يهجر ، يترك الخ . . » وربما كان الأفضل ما جرى عليه مؤلفو المعاجم الأخرى الانكليزية العربية والفرنسية العربية من استعمال صيغة الماضي لمقابلة الأفعال ، وربما كان الأفضل من هذا وذاك أيضاً استعمال الماضي والمضارع معاً مع الاهتمام بآثبات حركة عين الفعل في كلتا الصيغتين لما لهذه الحركة من الشأن في تصويب التلفظ بالأفعال .

٣ - أما بشأن البواديء التي تدخل على الألفاظ الانكليزية فيمكن أن تقسم قسمين هما البواديء بخاصة prefixes وهذه تكون عادة من الحروف أو الظروف اللاتينية أو اليونانية نحو البواديء في الكلمات abduct أي أبعدَ و abscess أي خراج و subcutaneous أي تحت الجلد الخ ... والقسم الثاني هو الصيغ التركيبية combining forms وهذه تكون عادة من الأسماء اللاتينية أو اليونانية نظير الجزء الأول من الكلمتين oropharynx أي البلعوم الفموي و nasopharynx أي البلعوم الأنفي . غير أن مؤلف المورد لا يفرق بين هذه الصيغ فهو يسميها جميعاً بواديء (الصفحتان ١٩٤ و ٧١٨ من المورد) وهب أن تسميتها كذلك جائزة ، فما تفعل حين تترصنا كلمة مركبة من ثلاثة أجزاء مثل sternocleidomastoid أي العضلة القصية الترقوية الخشائية وماذا نسمي جزأها الثاني أي -cleido- الذي لا يمكن اعتباره بادئة لأنه الجزء المتوسط من الكلمة فلا هو بادئة ولا هو لاحقة . لذلك نرى أن الأفضل في التفريق بين هذه الألفاظ المستعملة في

بناء الكلمات المركبة أن نسمي ما كان منها من قبيل الأسماء بالصيغ التركيبية أي بترجمة اسمها حرفياً عن الانكليزية ، وأن يقتصر في إطلاق كلمة البادئة على الأدوات والحروف والظروف وما أشبهه .

٤ - وفي المعجم الكثير من الألفاظ العربية كلفظة السَّقْوَبَة التي عرّبت بها لفظة succubus ولفظة السَّكُّتَاش لمقابلة لفظة succotash والصَّنْفَرَة أو السَّنْفَرَة لمقابلة sandpaper أو emery paper وغير ذلك . وإني أظن أنه لا حاجة إلى أمثال هذه المُعَرِّبات إذ أن الناس يتعذر عليهم الاقبال على استعمالها فلا ينقضي عليها بعض الوقت حتى تعود من الألفاظ المأتمنة . وقد عرب المجمع العلمي العربي بدمشق فيما مضى كلمة chocolate بكلمة شَكُولَات على وزن قَعْمُولَات فهل استعمل الناس اللفظة العربية في الكلام أو الكتابة ، إنهم لا يزالون يقولون ويكتبون شوكولا أو شكولانه أو شكولاتا أو ما اقترب من هذه الكلمات في هجائه ولفظه .

٥ - ثم إن في بعض ألفاظ المعجم العربية شيئاً من نقص الإيضاح أو عدم التفريق فيما ترمز إليه من المعاني الانكليزية فكلمة solder الفعل ترجمت بكلمة « يَلْحَم » ، وكذلك كلمة weld ، مع أن هناك فرقاً بين اللفظتين إذ أن الأولى تفيد معنى وصل قطعتي المعدن باللحام والثانية تفيد معنى وصلها بالحرارة وبدون وساطة اللحام ، فلا بد إذن من التفريق بين المعنى الانكليزي لكل من اللفظتين فيما يقابله بالعربية .

٦ - وقد يكون في المعجم قليل أو كثير من الأخطاء في اللغة العربية نفسها ، فقد جاء على صفحة ٦٠ في ترجمة Indian club ما نصه « أداة خشبية قارورية الشكل يَتَرَيِّضُ بها » والصواب يَتَرَوِّضُ لأن الفعل راض واوي وليس في صيغة المضارع المجهول يَتَرَوِّضُ شيء من الاستعمال لقلب الواو ياء . وجاء على صفحة ٢٤٨ في ترجمة كلمة dark « مظلم ، داكن ، قاتم

الخ ... ، والصواب أدكن ومؤنثه دكناء لأن لفظة داكُن على وزن فاعل لم ترد فيما اطلعت عليه من المعاجم العربية (محيط المحيط للبستاني صفحة ٦٦٩). ثم إن المؤلف يقول على الصفحة ٦٥ من المعجم في إيضاح التعبير artificial horizon «حين يتمدّر عليهم رؤية الأفق الحقيقي» ، والصواب تتمدّر لأن الفاعل رؤية مؤنث . ويقول على نفس الصفحة في تعريفه اللغة الآريّة « اللغة التي تحدّرت منها معظم اللغات الأوروبية واشتقت منها معظم اللغات الأوروبية » والصواب تحدّر واشتقّ لأن فاعل تحدّر مذكر وكذلك نائب فاعل اشتقّ .

٧ - وقد يذكر مؤلف المورد القليل أو الكثير من الألفاظ الدامية لمقابلة نظائرها الانكليزية مع وجود مايقوم مقامها من الألفاظ الفصيحة فهو يستعمل كلمة غامق لمقابلة كلمة deep وفانح لمقابلة كلمة light مع أن الكلمتين عاميتان ، وقد استعمل الشيخ إبراهيم اليازجي كلمة مشبع لترجمة كلمة deep وكذلك فعل الأب بلو في معجمه الفرنسي العربي فذكر كلمة مشبع لمقابلة كلمة foncé التي لها نفس المعنى .

وذكر صاحب المورد كلمة مستديم في ترجمة كلمة constant وهي عامية في هذا الاستعمال وفي المحيط استدّام اللازم غير ثابت عند العرب لأنه مُتَعَدٍّ ومعناه طلب دوامه ولا يعني دام . لذلك كان الأصوب ترجمة كلمة constant بالدائم أو الموجود بصورة دائمة .

على أني فيما يتعلق بالتنبيه على الخطأ الملازم لاستعمال لفظة مستديم ، لا أخال أنها ستستعمل على وجهها الصحيح بل إن استعمالها كفعل لازم سيستمر إلى ما شاء الله لأنها كالفعل تَبَقَّى الذي تعدّه كتب متن اللغة فعلاً متعدّياً في حين أن أكثر الناس لا يستعملونه إلا فعلاً لازماً فيقولون

مَاتَبَقَى من الشيء أي بقي والشيء المَتَّبَقِي أي الباقي حتى أن صاحب المورد نفسه أثبت كلمة مَتَّبَقٍ لمقابلة كلمة residual التي تفضل ترجمتها بالباقي . والغريب في أمر هذه الألفاظ التي شاع استعمالها الخاطي حتى طغى على استعمالها الصحيح أنه ما من وسيلة يمكن التوصل بها لمحل الكتاب وسواهم على اجتناب الخطأ في استعمالها . خذ مثلاً آخر على ذلك لفظة استهدف اللّازم فلها تعني أصبح هدفاً أو غرضاً يرمى ومنه قولهم من صَنَّفَ فقد استهدف أي أصبح هدفاً للنقد . ومنه قول ابن الفارض :

ولقد أقولُ لمن تحرّشَ بالهوى عَرَضَتْ نَفْسَكَ لِلْبَلَا فاستهدفِ

أي اجعل نفسك هدفاً . أما الاستعمال الشائع فيُعَدِّي هذا الفعل ويجعل معناه رمى هدفاً مُعَيَّناً أو رمى نحو هدفٍ معيّن فيقولون مثلاً أن هذه الخطة تستهدف إصلاح هذا الأمر ، وما إلى ذلك . فاذا نحن نبيّنها على هذا الخطأ فلا اخال أننا نستطيع إصلاحه ما دامت إذاعات العالم العربي وغير العربي قاطبة وربما معظم جرائده أيضاً تجعل الفعل استهدفَ فصلاً متعدياً وتستعمله بهذا المعنى الخاطي .

٨ — ثم إن في تعريفات بعض المصطلحات الطبية والبيولوجية شيئاً من النقص مثال ذلك لفظة antibiosis فقد ورد ما يقابلها بالمرية كما يلي والتضادّيّة : تضادٌّ بين مُتَمَضِّيَّيْن يؤدي إلى إتلاف أحدهما . وقد جاء في معجم دورلند الطبي (١) ما معناه :

وان antibiosis هي bacterial antagonism أي التضادّ الجراثيمي وهو عبارة عن اجتماع لمتعضّيتين متلفٍ أو مؤذٍ لأحدهما أو لهما معاً . ومن ناحية

(١) الطبعة الرابعة والعشرون المصادرة عن شركة سوندرز للنشر والطباعة في فيلادلفيا

سنة ١٩٦٥ .

ثانية فقد جاء في المورد أن antagonism هي بالمعنى الطبي أو البيولوجي التضاد ، فلماذا نترجم اللفظة الأولى بالتضادية بباء النسبة وقاء المصدرية ، ونترجم اللفظة الثانية المرادفة antagonism بالتضاد بدون الياء والتاء .

وقد اعتبر المورد بعض الألفاظ الطبية أسماء في حين أنها قد تكون أسماء nouns وصفات adjectives في آن واحد مثل anticoagulant أي مانع التخثر فقد جملها المورد اسماً فحسب مع أن معجم دورلند الطبي يذكر أن اللفظة تعني مانع التخثر أي أنها تكون صفةً وتعني أيضاً المادة مانعة التخثر أي إنها تكون اسماً . والغريب أن صاحب المورد لم يغفل نسبة الإسمية والوصفية إلى بعض المصطلحات الأخرى الطبية نظير antiseptic أي مانع العفونة و antipyretic أي مانع الحمى فقد اعتبرها أسماء وصفات في آن معاً ، وذلك على حد ما جاء في معجم دورلند الطبي وسواء من المعاجم الطبية وعلى حد ما ورد في معاجم متن اللغة الانكليزية .

٩ - وقد يضع مؤلف المورد في بعض الأحيان ألفاظاً عربية جديدة لمُسَمَّياتٍ انكليزية لها ما يقابلها بالعربية نظير لفظة 'مجتدل الموضوعه لمقابلة كلمة arena التي تعني ساحة البراز أو حومة القتال أو حومة بدون إضافة . والطريف في هاتين اللفظتين الانكليزية arena والعربية حومة أن لفظة arena عنت في أصلها اللاتيني الرمل أو المكان الرمل ثم أطلقها الرومان على ساحة البراز لأن هذه كانت تفرش بالرمل ، وكذلك كلمة حومة فإن العرب استعملوها في بعض المركبات الاضافية فقالوا حومة البحر والرمل والقتال وغيره أي مظهره أو أشد موضع فيه . وهم يسمون موضع القتال حومة لأن الأقران يحومون حوله (محيط المحيط) .

ودكر صاحب المورد أن كلمة premolar وهي السن التي تلي الناب ، تقابلها كلمة قَبْطَاحِين العربية وهذه الأخيرة كما ترى منحوتة من كلمتين هما قبل وطاحن لمقابلة البادئة pre- مأخوذة من prae- اللاتينية ومعناها قبل ، وكلمة molar أي السن الطاحنة أو الرحى وهذه مأخوذة من mola اللاتينية أي حجر الرحى . غير أن العرب أطلقوا لفظة الضاحكة على السن التي تبدو عند الضحك ، أو السن التي تسلي الناب . وجاء في محيط المحيط الضاحكة مؤنث الضاحك وكل من تبدو عند الضحك أو السن التي بين الأنياب والأضراس وهي أربع ج ضواحك . وقال الأصمعي في الفم الأسنان وهي الشاياء والرَّبَاعِيَّات والْأَنْيَاب والضواحك والطواحن والأرحاء والنواجذ . ويقول الأصمعي وبلي الأنياب الضواحك وهي أربعة أضراس إلى كل ناب من أسفل الفم وأعله ضاحك ثم تسلي الضواحك الطواحن والأرحاء ثم تلي الأرحاء النواجذ . أما نحن في جامعة دمشق فقد اعتبرنا الأسنان التي تلي الأنياب ضواحك أولى first premolars وسمينا طواحن الأصمعي بالضواحك الثانية second premolars وذلك لما بين الضاحكة الأولى والثانية من التشابه في الملامح التشريحية حتى ليتعذر التفريق بينها أحياناً ، وأطلقنا اسم الأرحاء molars على الأسنان الثلاث الباقية وهي التي تلي الضواحك ، وسمينا أولاهها بالرحى الأولى first molar وثانيها بالرحى الثانية second molar وثالثها بالرحى الثالثة third molar وهذه الأخيرة هي الناجذ الذي ذكره الأصمعي . وقد سميناها رحى لأنها تحاكي أرحاء الأصمعي في أوصافها التشريحية وكل ذلك موافق للتسمية التي اصطلح عليها الفرنجة (١) . غير أننا احتفظنا بلفظة الناجذ لمرادفة ضرس العقل

(١) معجم المصطلحات الدنّية الذي وضعه اتحاد طب الأسنان الدولي وأصدره عن

لاهاي سنة ١٩٦٦ .

wisdom tooth المسمى كذلك عند الكثير من الأمم . وعليه وبعد هذا التفصيل التشريحي لا بقی ثَمَّةٌ وجوب لنحت كلة جديدة هي القَبْطَاحين هذا ناهيك من أن هذه الكلمة المنحوتة ثقبلة يمجها السمع فلا محالة من عدها مئة من يوم ولدت .

١٥ - وقد يعمد صاحب المورد أحياناً - وهي أحيان قليلة جداً - إلى التعاريف الطويلة لشرح بعض المعاني أو بعض التعابير الاصطلاحية كما في ترجمته للتعبير الاصطلاحي rule out فقد ترجمه بمباراة صحيحة ولكنها طويلة حيث قال « يملن أنه غير وارد أو لا مجال للبحث فيه » مع أنه قد يمكن الاستغناء عن هذا التعريف الطويل والاكتفاء بالفعل نفى أو استبعد لا سيما وأن وبستر يرى أن التعبير rule out يرادفه الفعلان exclude أي استثنى و eliminate أي أخرج واستبعد .

١١ - ثم إن المؤلف قد أحسن كل الإحسان بإبراده الكثير من المصطلحات الطبية حتى ما استعمل منها في مختلف نواحي الاختصاص كلفظة bitewing الدالة على الفيلم الشعاعي المُجَنَّح الذي يستعمل بعد عَضِّ جناحه في تصوير تيجان الأسنان العلوية والسفلية في آن واحد . وقد أحسن المؤلف كل الإحسان أيضاً بإبراده للكثير من الألفاظ معانيها المستعملة في البحوث الطبية . وذلك عملٌ جليل النفع يفيد منه المشتغلون في ترجمة هذه البحوث . فهو يقول مثلاً إن من معاني لفظة invasive معنى طبي هو « توسمي » ، وبخاصة : نزاعٌ إلى غزو الأنسجة السليمة ، ويستشهد على هذا المعنى بقوله invasive cancer cells . ولكنه على العكس من ذلك يسقط بعض المعاني الهامة التي يتوالى استعمالها في الكتابات الطبية مع أنها قد تكون في غاية البساطة مثل كلمة common الكثيرة الاستعمال في وصف

درجة تفشي المرض فيقال مثلاً common disease أي مرض شائع ومألوف

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة

www.alukah.net

أو كثير المصادفة والحدوث . وقد جاء في وبستر شرح هذا المعنى بقوله occurring or appearing frequently أي كثير الحدوث أو أنه يحدث أو يصادف غالباً وتكراراً . ومع ورود هذا المعنى في وبستر فإنه لم يرد بين معاني كلمة common في المورد .

ومن هذا القبيل أحد المعاني التي أوردتها مؤلف المورد لمقابلة كلمة dull فقد ذكر أن من معاني هذه اللفظة المعنى « غير واضح » . وبما أن هذه اللفظة صفةٌ يُلَبَّ استعملها في وصف الألم فيقال dull pain فقد كان من المفيد أن يُعزَّزَ المؤانفُ معنى عدم الوضوح بهذا الشاهد الذي يوصف به الألم بكونه مبهماً أو عميقاً وغير واضح . وذلك ما جاء في معجم كلارفيل الفرنسي الكثير اللغات ، وهو المعجم الذي نقله إلى العربية الأمانة خاطر والخياط والكواكي والذي سبقت الإشارة إليه ، فقد قال المؤلف الفرنسي douleur sourde بالفرنسية بقابلها dull pain بالانكليزية . وكذلك فإن معجم لاروس الفرنسي الكثير التداول لم ينقل إيراد هذا الشاهد لوصف الألم مع أنه ليس بالمعجم الطبي فذكر بين معاني كلمة sourde المعنى الذي يوصف به الألم بالعمق والإبهام فقال douleur sourde .

ومن هذا القبيل أيضاً عدم إيضاح المعنى البيولوجي الذي يتضمنه الفعل اللازم break في الاستعمال الاصطلاحي break down فقد ذكر المؤلف أن من معانيه « يحلّ » أو يُحَلِّلُ مركباً كيميائياً ، في حين أنه ليس من الضروري أن يكون الجسم المنحل مركباً كيميائياً بل قد يكون أيضاً نسيجاً مرضياً فيقال إذ ذاك في وصف الآفة المنحلة أو المتجزأة the lesion breaks down أي أن نسيج الآفة يتجزأ أو يتَهَتَّم .

ومن المعاني الطبية التي تحسن الإشارة إليها بين معاني الكثير من كلمات

المورد المعنى واقع في الجانبين أو مؤثر في الجانبين لمقابلة كلمة bilateral فقد

ذكر المؤلف جميع معاني هذه اللفظة خلا المعنى المتقدم مع أنه شائع الاستعمال في علمي التشريح والأمراض فيقال مثلاً bilateral enlargement أي ضخامة واقعة في الجانبين . وقد عبر وبستر عن هذا المعنى بقوله affecting reciprocally two sides أي مؤثر في جانبين متقابلين .

ومما سقط ذكره من المورد لفظة stiffness الاسم مع أن stiff الصفة المذكورة وأن من معانيها « جاسيء أو صلب » . وعليه كان من الضروري أن تذكر كلمة stiffness التي تفيد من الوجهة الطبية معنى جساءة العضو أو صلابته وببؤسته . ومما يدعو إلى العجب أن مؤلف المورد أثبت لفظة supraorbital أي فوق الحجاج أو فوق المحجج وترجمها باللفظة المنحوتة فوق المحجج ، ولكنه أسقط من المعجم لفظة infraorbital التي تعني تحت الحجاج أو تحت المحجج مع أن هذه اللفظة الثانية لا تقل في كثرة استعمالها عن الأولى .

ومما يشبه هذا السهو في التأليف أن صاحب المورد أثبت لفظة polymer ومشتقاتها ، وهي لفظة تطلق على المركب الكيميائي ذي الذرات المتأثرة أو المتضاعفة ، والوزن الذري المرتفع ، ولكنه أغفل اللفظة الشقيقة وهي لفظة monomer التي يسمى بها المركب الكيميائي ذو الذرات البسيطة أو غير المتضاعفة ، والوزن الذري المنخفض ، مع أن أول هذين المركبين يتكوّن عادة من اتحاد أو تماثر (تلمز كما يقول المؤلف) ذرات المركب الثاني (راجع معجم دورلند الطبي في مادتي polymer و monomer) .

ومن الألفاظ التي أشار المؤلف إلى معانيها العامة ولكنه أغفل الإشارة إلى معانيها الخاصة لفظة artifact (أصلها اللاتيني artis facta وبني تأثير العمل الفني في الشيء المصنوع أو في مظهره) . فقد ذكر المؤلف من معاني

هذه اللفظة معنيين هما أولاً الشيء الدال على مهارة صانعه والثاني النتيجة الصناعية الناجمة عن عامل خارجي . غير أنه لم يُشر إلى المعنى المؤلف في الاستعمال الطبي والدال على الخطأ الحادث في التصنيع المخبري أو على التبدل الطارئ على نتيجة العمل المخبري . مثال ذلك المظهر الكاذب أو الخادع الذي يشاهد أحياناً في الصور الشعاعية أو المحضرات النسجية ، فإذا أعيد التصوير الشعاعي أو التصنيع المخبري بعد تعديل طريقة التصنيع أو بعد تغيير المواد المستعملة فيه ، لاختفى المظهر الخاطئ من الصور أو المحضرات . وعليه فإن هذا المظهر الكاذب والطارئ على نتيجة العمل المخبري يشار إليه بالمعنى الخاص للفظـة artifact ، وهو المعنى الذي تذكره المعاجم الطبية ويهمله أكثر المعاجم المادية ومنها معجم المورد ومعجم وبستر الجامعي . وإنني أخال أن المؤلف في إغفاله المعنى الطبي لهذه اللفظة ذهب إلى ما ذهب إليه معجم وبستر الجامعي ، وكان الأحرى الاقتداء بمعجم وبستر الدولي الذي جمعه المؤلف في عداد المراجع التي اعتمدها في تأليفه ، فقد أثبت هذا المعجم المعنى الطبي الخاص للفظـة artifact كما تفعل المعاجم الطبية .

وقد يقال رداً على كل ما جاء في هذه الملاحظة أن معجم المورد ليس بالمعجم الطبي لكي يثبت المعاني الطبية لجميع ما ورد فيه من المفردات ولكن الرد على هذا الرد ما اكتدته في صدر هذه الملاحظة وهو أن المؤلف أورد المعاني الطبية للكثير من مفردات معجمه حتى أنه أورد فيه العدد الكبير من المفردات الطبية كما أشرت إليه في أعلاه ، فكان من المفيد أن تذكر فيه أيضاً بعض المعاني الطبية الأخرى التي أغفل ذكرها مع أنها لا تقل في أهميتها وكثرة استعمالها عن المعاني الواردة في المعجم .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة

www.alukah.net

١٢ - وأخيراً فإني لن أترك القلم جانباً قبل أن أقول كلمة عن هذه الألفاظ المنحوتة التي تكثر في قاموس المورد نظير دُوْ أَحْمَرُ أي دُونَ أَحْمَرُ التي ترجمت بها لفظة infrared ، وفَوْ بِنَفْسَجِيَّ أي فَوْقَ البِنَفْسَجِيَّ لترجمة لفظة ultraviolet وفَوْ مَحْجِرِي أي فَوْقَ مَحْجِرِ العين لترجمة لفظة supraorbital ، وشَمَقَمَرِي أي شَمْسِي قَمَرِي solunar وحِسِّي حَرَ كِي أي حِسِّي حَرَ كِي sensorimotor ، وشِرْيَانِيوَرِيْدِي أي شِرْيَانِي وِرِيْدِي arteriovenous الخ . الخ . . . أنا لا أنكر أن في استحداث هذه الألفاظ جرأة كبيرة من مؤلف المورد ولكني لا أظن أن صدى هذه الجرأة سيكون على النحو أو من القدر اللذين يشاؤهما المؤلف ، وذلك لأنني أعتقد بأن الأقلام لا تُقِلُّ على تداول هذه الألفاظ المنحوتة لأنها غريبة الوجه واليد واللسان ، ولأنها تبتعد كل البعد عن أصول تركيب الألفاظ العربية . أجل لقد نحت العرب بعض الألفاظ كما هو معروف فقالوا عبشمي ، وقالوا البسملة والحمدلة والحوقلة ولكن هذه الألفاظ المنحوتة على ما أعلم قليل عديدها فلا يتجاوز أصابع اليدين . وعليه فأنا أرى - وربما رأى سواي هذا الرأي - أن تترك أجزاء هذه الألفاظ المذكورة حرة بدون بترها وحصرها في كلمات منحوتة . وظاهر أن المغالاة في النحت ممكنة وسهلة في اللغات الأجنبية حيث يعترف العلماء والمُعْجَمِيَّوْنَ ما شاؤوا من المعين اليوناني اللاتيني لبناء الألفاظ الجديدة ، لا بل إن النحت هو الوسيلة الوحيدة عندهم لبناء الألفاظ المركبة ، خلافاً لما نحن عليه في لغتنا العربية من التقيّد بأحكام لغويّة وبيانيّة لا نستطيع الخروج عليها . وللتعميل على هذا الرأي الذي أراه أعود فأذكر اللفظة الانكليزية المنحوتة sternocleidomastoid التي تقدم ذكرها في صدر هذا المقال والتي تعني المَصْلَةُ القَصِيَّةُ التَّرْقُوِيَّةُ الخُشَائِيَّةُ . إن هذه اللفظة

الإنكليزية مركبة من ثلاثة أجزاء ، فإذا أردنا جمع الألفاظ العربية الثلاثة التي تقابلها في كلمة منحوتة واحدة لقلنا مثلاً العضلة القَصْترَ قُشَائِيَّةً على طريقة مؤلف المورد ، وتلك لفظة لا تسر الناظرين كما أن موسيقاها لا تطرب السامعين . ولذلك فإني أخال أن أكثرنا يعرض عن هذا التكلف الذي يغنيننا عنه ما في لغتنا العربية من الليونة والطواعية وما في أسماؤها من قابلية الإضافة وبناء صيغ النسبة ، هذه الصيغ التي تحب إلينا الاحتفاظ بالمصطلحات القديمة وتسهل علينا بناء المصطلحات الجديدة .

وبعد فإن هذا ما خطر لي تدوينه من الملاحظات على قاموس المورد . وكنت قد أنعمت النظر فيه وأكثر من مراجعته في الأسابيع الأخيرة خلال قياسي بترجمة مقال طبي من الإنكليزية إلى العربية ، فاجتمع لديّ من هذه المراجعة الملاحظات التي كشفتها وأوجزتها فيما تقدم ذكره . ومع أنها ليست كل ما يمكن قوله في مجال الملاحظة على مواد المعجم ، فإنها مها كثرت لا تعدّ شيئاً مذكوراً إذا هي قيست بالحسنات الجُلّى التي يطفح بها معجم المورد ، والتي تجعله خير معجم إنكليزي عربي أخرج للناس . هذا وإن المؤلف قد وعد في تصديره لمعجم المورد بأنه سيوالي التحقيق في أصول الألفاظ حين اقتضاها هذا التحقيق لتكون الطبقات القادمة أكثر شمولاً وأغزر مادة من الطبعة الحالية . وإني لموقن بأن تحقيقه سوف لا يقتصر على أصول الألفاظ ، بل سيتناول الألفاظ الجديدة والمعاني الجديدة للألفاظ الراهنة وذلك من شأنه أن يرفع معجم المورد إلى درجة السكّال التي يثّم بها معجم وبستر الدولي وسواه من المعاجم الأجنبية الطويلة .

الدكتور ميسيل الخوري

أستاذ في جامعتي دمشق وبغداد سابقاً

المعجم العربي

نشأته وتطوره

كتاب في جزأين صفحاته ٨٣٥ للدكتور حسين نصار المدرس بكلية الآداب في جامعة القاهرة

منشورات مكتبة مصر - دار مصر للطباعة ١٩٦٨

سبق لهذه المجلة أن وصفت الطبعة الأولى لهذا الكتاب في مجلدها السابع والثلاثين (ص ١١٥) بقلم العالم الجليل الأستاذ عبد الله كنون ، وصفاً وفياً الكتاب ما هو أهل له من التقدير ، ومنح المؤلف « إضافات قيمة أفاد منها » في طبعته الثانية هذه وقد أشار إليها شاكرًا في مقدمة الطبع .

لا أعيد شيئاً مما نشر عنه في هذه المجلة وبحسن بالقارىء الرجوع إليه ، لكن لا مندوحة لي عن تذكيره بأن الكتاب دراسة تاريخية نقدية خطوطها المريرة ثلاثة :

١ - الرسائل اللغوية على الموضوعات

٢ - المعاجم

٣ - المعاجم التي نحتاج إليها

والدراسة متأنية صابرة جاهدة تستحق مع الشكر والتقدير العناية بها وبالتواحي التي أطافت بها ، وكلها ذو خطر من الواجب الاهتمام به ؛ ولم يسعني الاعتذار حين كلفني السيد رئيس المجمع الكتابة عن هذه الطبعة ، فرأيت بعد الإشارة إلى ما كتب عن الطبعة الأولى وبيان نظرتي إلى هذه الدراسة أن أعرض ما بدا لي من ملاحظ بالترتيب :

ص ١٦ - « واعترف القرآن للعرب بهذه القدرة اللغوية قال تعالى :
(ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصيمون) وقال : (فإنما يسرناه
بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوماً لئلا) ...

... ومثال ذلك الرسول الكريم ... فكان يقول بصدد تعليل
فصاحته : (أنا أفصح العرب ، بيد أني من قريش وأني نشأت في بني سعد
ابن بكر) ...

.. كانوا يدفعون صبيتهم إلى أدبائهم وشعرائهم ليعيشوا معهم وينشؤوا على
تفوقهم اللغوي . مثال ذلك زهير بن أبي سلمى الذي عاش مع خاله بشامة
ابن الغدير الشاعر فخرجه شاعراً .

هذه النقول من صفحة واحدة يتنظمها ظاهرة واسعة الشيوع في الدراسات
الحديثة هي تحميل النصوص فوق ماتحمل ، وتجاوزها في الاستنباط إلى أبعد
منها ، فلا يوقف حيث وقفت ؛ فالآيتان ليستا اعترافاً بالقدرة اللغوية
وشتان ما بين اللدد في الخصومة والقدرة اللغوية . ، والحديث على فرض
صحته لا يشهد لقول المؤلف (إذ أرسل [الرسول] إلى البادية في طفولته
لهذا السبب) وقد ضعفه المحدثون . وليس في ترجمة زهير ما يؤيد (انهم
كانوا يدفعون صبيتهم إلى أدبائهم وشعرائهم ليعيشوا معهم وينشؤوا على تفوقهم
اللغوي) ، إنما هي حال زهير الخاصة أن كان خال أبيه سيد غطفان وحكيماً
وكان شاعراً .

ص ١٨ - أحكام عدة عن زواج الموالى هي موضوع نظر وتحتاج إلى
تحخيص ، ويحسن أن يرجع فيها إلى كتب الفقه والأحكام ، وما كان (الأغاني)
و (العقد الفريد) يوماً ما مرجعاً في مثل هذه الأمور .

ص ٢٢ - « بل تعلم بعض العرب أنفسهم الفارسية وتنظموا بها شعراً وتشبهوا بالفرس في أزيائهم واحتفالاتهم . نفهم ذلك من خبر الشاعر العربي يزيد بن ربيعة بن مفرغ مع عبيد الله بن زياد » وليس في الخبر المشار إليه ما فهمه ، وكل الذي فيه أن الغلمان الذين خاطبوا يزيد بالفارسية أجابهم بها جملة بجملة ، وهو شيء يستفيدة عادة من أقام حيث أقام يزيد فلا نظم شعر ولا تشبه في الأزياء والاحتفالات .

ص ٥٩ - في كلامه عن (الفائق) للزحشري قال : « ولا يعرض للمجاز وما إليه ، مما بني عليه الأساس . ولعل سبب ذلك أنه ألف الأساس بعد الفائق . » وهذا تعميم فيه نظر إذ لانعدم في الفائق تعرضاً للمجاز ، ففي كلامه مثلاً على مادة (ختل) جاء في شرح المراد من الحديث (وأن تتخذ السيوف مناجل) :

المناجل المجاز ، أي يؤثرون الحرث على الحرب .

ص ١٠٣ - « ومن المؤرخين من سلبه (أي ثعلباً) الكتاب جملة فنسبه إلى الحسن بن داود الرقي أو يعقوب بن السكيت » .

قلت : يحسن إثبات ما اشتهر عند المطلعين من كثرة نقد القدماء فصيح ثعلب حتى حملوه على إنكار نسبة الكتاب إليه (١) .

ص ١٦٥ - في كلامه على كتاب الفزاري الإسكندري أقحم ثلاثة أسطر . (وألف محمد بن أبي القاسم بن بايحوك البقالي .. الخ يحسن تأخيرها إلى ما بعد انتهاء كلامه على كتاب الفزاري في الصفحة التالية .

(١) في أصول النحو ص ١٩٣ (مطبعة جامعة دمشق ١٩٦٤) .

ص ٢٠٠ — س ١٤ (أبواب السالم) وأعني به هنا ما فيه حرف علة واحد أو همزة واحدة) ، أطلق (السالم) وهو يريد (غير السالم) كما هو ظاهر فعمل كلمة (غير) سقطت في الطبع ، إلا أن ذلك تكرر .

ص ٢٥٦ — في كلامه عن الخليل وكتاب العين : (بل أورد أشياء من لغة المعاصرين له في إقليمه العراق ، أو بلدته البصرة خاصة ولو كانت لا تعرف في البداية مما يدل على تسامحه وتحرره من القواعد المتزمتة) !! ؛

ولغة معاصري الخليل في البصرة عربية وما أثبتته منها في العين لا يخالف القواعد ، ومن الذي قال إن على صاحب المعجم ألا يثبت إلا ما كان يعرف في البداية ؟! وأي كان فكلمة (تسامح) و (تزمت) وأمثالهما مما تستعمل في عصرنا في غير محلها ، تصان عنه دراسة موضوعية جادة عن (المعجم العربي) .

ص ٢٥٨ — فيها نقل عن ابن الأنباري في قياسية النحو استقاه المؤلف من (الاقتراح) للسيوطي وكان ذلك سائناً في الطبعة الأولى سنة ١٩٥٦ أما في الطبعة الثانية فلا ، إذ أن (الاقتراح) منتزع انتزاعاً من كتاب لابن الأنباري اسمه (لمع الأدلة)^(١) وقد نشرته الجامعة السورية سنة ١٩٥٧ ونقل السيوطي تجد أصله في ص ٩٩ من لمع الأدلة ، ولم يعد (الاقتراح) مصدراً أصيلاً بعد نشر الأصل (لمع الأدلة) .

ص ٢٧٨ — (يكفي أن يذكر أمام المتأخرين كتاب العين حتى تنهال الشتائم واتهم جزافاً ، وأقرب مثال لذلك الأشعوني الذي قال عن لفظ انفرد به الخليل : « ... لم يسمع إلا من كتاب العين فلا يلتفت إليه ، ومن

(١) في الكتاب (رسالتان لابن الأنباري) الإغراب في جدل الإعراب و لمع الأدلة) مطبعة جامعة دمشق ١٩٥٧ بتحقيق سعيد الأنفاني .

الطبيعي أن يشار كه الصبان محشيه في شتائه قال ؛ وقوله (إلا من كتاب العين) أي المحشو بالخطأ .

في هذه الأسطر مثال آخر على الظاهرة التي أشرنا إليها في كلامنا على ص ١٦ : المبالغة في تحميل النصوص ما ليس فيها فكلمتا (لا يلتفت إليه) و (المحشو بالخطأ) خطأ ، ولكنها ليستا (شتائم تنهال) ولا تهماً تكال (جزافاً) .

ح ٢ : ص ٤٤٤ في كلامه على ابن فارس في مقاييسه : (فهو يقدم الأصل أو الأصول ثم يبني الفروع عليها ويختم المادة بالشواذ) . ولكن هذه الطريقة اضطربت عليه فمادة (عى) أصلها الشق ولكنها تطورت إلى ثلاثة فروع واضحة أولها ما زال محتفظاً بمعنى الشق صراحة ، وثانيها ما يدور حول الشمر الذي يولد به المرء ، والثالث ما يدور حول عقوق الوالدين . ومن الطبيعي أن يتناول الإنسان صيغ كل فرع منها على حدة ولكن ذلك لم يحدث في المقاييس .

قلت : لا اضطراب ، فقد أشار ابن فارس في أول كلامه على المادة بقوله : (العين والقاف أصل واحد يدل على الشق وإليه يرجع فروع الباب بلطف نظر ، قال الخليل : أصل العى الشق وإليه يرجع العقوق وكذلك الشعر ينشق عنه الجلد) . فلا يزال الأصل ملحوظاً في كل الفروع حتى دون لطف نظر ، وإذاً لا اضطراب ...

ص ٥١٦ — (ويبدو أن النسخة المطبوعة من الصحاح نالها شيء من التصحيح ، إذ ورد فيها البيت الأول والثالث ، ورواية (سمعوا من صالح) لا البيت الأول وحده ، ولا الرواية التي ذكرها الصغاني .)

قلت : لعل نسخة الصغاني فيها التصحيف لا أن النسخة المطبوعة من الصحاح صححت .

ص ٧٥٥ - (وكان المعتل من المهموز من أعظم الأمور إثارة لخيرتهم واضطرابهم حتى تخلص كثير منهم بجمع المعتل الواوي والياء والمهموز معاً ... والحق أن هذه مشكلة أخرى ربما تفوق غيرها في الصعوبة ..)

ربما صح هذا الوصف في المراحل الأولى لتأليف المعاجم ، أما اليوم فمن الإسراف إطلاق مشكلة على مثل هذه الأمور وقد تيسر للباحث الفصل في الواوي واليائي ، بل تيسر ذلك لمن قبلنا وفصلوا كلاً عن الآخر ، والخطأ في بعض كلمات ممكن إصلاحه ، فليس مشكلة ما حلوه منذ أزمان متطاولة .

ص ٧٥٦ - كان من أثر الدعايات السيئة التي أغرق فيها غيرنا كثيراً منا حتى صار يردد أن لغتنا نحوها وصرفها ومفرداتها وحروفها كلها مشاكل في مشاكل ، أن تسممت ناشئتنا في عقيدتها في لغتها ، ولولا أنهم يعرفون لغة أجنبية يجدون فيها ما هو أبعد مما يعد أولئك في باب المشكلات لأسرع ذلك في إهمالهم لغتهم مرة واحدة ، وليس هنا موضع بيانه ، وكان من ذلك التيار : الدعاية المريضة في أثر دراسة اللغات السامية الميتة وتصحيح العربية عليها ، وذلك عكس ما يقضي به المنطق وعلم اللغة العام ، أذكرني بذلك قول المؤلف (وحصروا [حروف الزيادة] في عبارة (سألتعونيها) ولكن البحث المقارن بين اللغات السامية جميعاً يهزأ من هذا الحصر ويرى أن الممكن زيادة غيرها من الحروف وقد حدث هذا فعلاً في العربية وأخواتها . وأترك هذا البحث المقارن إذ لا أستطيع أن أقوم به لعدم معرفتي بالساميات ، ١١ .

والمؤلف يعرف أن حروف (سألتهمونيهـا) هي الزيادات المطردة في الكلمات لمعانٍ خاصة ، وأن الأقدمين من علماء اللغة فرقوا بينها وبين حروف مزيدة سماعاً ، فوصفوا ذلك الواقع اللغوي وقرروه ونهبوا على هذه الألفاظ المعدودة القليلة ، مستغنيين كل الاستغناء عما يسمى بـ البحث المقارن بين اللغات السامية الذي يهزأ .

ص ٧٨٤ - ارتباط العربية بالدين (ارتباطاً شديداً أسبغ عليها القداسة فكان في ذلك نفعا وضررها . . أما ضررها فلأن هذه القداسة جعلت المسلمين والعرب يتمسكون بها بصورة واحدة (؟) منها ، فتأخرت عن حاجيات العصور الحديثة ولم تستطع أن تجاريها حتى نادى كثيرون بهجرها تماماً) .

لم أفهم المقصود بالصورة الواحدة منها إذ لم يشرحها المؤلف ولا بسط الصور الأخرى التي كان يجب أن يتمسك بها العرب والمسلمون . أترك ذلك وأتساءل عن آخر الفقرة : (وتأخرت عن حاجيات [كذا] العصور الحديثة) وهي شبهة يتلففها ناطق عن آخر : هل كان ينتظر هؤلاء الكثيرون أن يجد الكيميائي والفيزيائي والميكانيكي في القاموس المحيط ولسان العرب مصطلحات لما جدّ في ديار المخترعين بعدها بقرون ؟ ثم من هم كيميائيونا وفيزيائيونا وميكانيكيونا الذين اخترعوا ولم يجد لهم علماء اللغة مسميات لمخترعاتهم وأجهزتهم وأجزائها ؟ ما تأخرت اللغة ولكن أرباب الألسنة الطويلة في غير طائل تأخروا وانحطوا وتكاسلوا إلا عن اللغو . ولا يقال إن اللغة تأخرت حتى يعجز المهندسون منا والعلماء المتخصصون الذين درسوا لغتهم كما يدرس الأجني لغته ثم تخصصوا وحاولوا وضع المصطلح . أما حين يتصدى المختص المؤهل فسيجد كل شيء مهيأ وقد حصل ذلك فعلاً في آخر المئة الماضية في القاهرة وساحل الشام ، وفي الخمسين سنة الماضية

في دمشق حيث لبّت اللغة حاجات الإدارة والجيش وكليات الجامعة (في الطب والحقوق والعلوم والتجارة والزراعة) ، لبّت حين بذل المحتاج الجهد ولم يقعد يسوغ كسله بأن الماضين لم يهيئوا له .

إن تأخرنا هو في إعداد أنفسنا لنكون مؤثرين في عصرنا في العلوم والفنون والابتكار ، ومتى أردنا بجهد وصدق هذا الإعداد وجدنا لفتنا سابقة أمامنا (١) فما تقديسنا لفتنا أخرنا ، ولكن أخرنا إهمالها وقبول الدعايات المفرضة فيها وانسياقنا على أذيال مخططيها ومروجيها .

ص ٧٨٥ - (ووضع ابن سيده في مقدمة محكمه منهجاً يعتبر ثورة في عالم التأليف اللغوي العربي ... ولو طبقه عليه لأغنانا عن كثير من التخطط والاضطراب وكثير مما يزيد أخذه عن الغربيين اليوم ، ولكان معجمه فذاً بين معجمات العربية) .

قلت : خير من (لو) هذه أن يقوم نفر منا بتطبيقه على (المحكم) في طبعة علمية ذات نهج سليم محكم ، وحسب ابن سيده أن وضع الخططة وليكن التطبيق من نصيبنا . وعصرنا ميسر فيه كل شيء .

* * *

لست أرى ما رأى المؤلف من تسمية (منشورات اليسوعيين في بيروت) بالمعاجم في دراسة علمية من خصائصها تحديد الأسماء والصفات ، وكان حسبه أن يشير إلى هذه الأعمال التجارية التي نظر حين تأليفها إلى ماخطط لمدارس اليسوعيين في حاشية تنوه بأثرها في إفساد اللغة ، أما أن تسمى

(١) انظر بسط قضية اللغة العربية وما أثير حولها من حرب خفية في عصرنا الحديث في كتابي (حاضر اللغة العربية) — مطبوعات معهد الدراسات العالمية بالقاهرة ١٩٦٢ .

مدرسة !! وتقرن بالمعجم الوسيط فهذا ظلم كبير . ولن أشتهد إلا بأقوال المؤلف نفسه في وصفها ، وإنصافه كفيلاً برفع الحيف في طبعة قادمة إن شاء الله .

في كلامه على (أقرب الموارد) وزياداته على القاموس المحيط قال (ص ٧١٨) :

« وأخذ بعضها الآخر (يعني الزيادات) من معجمي جوليوس Golius وفريتاغ Freitag ومحيط المحيط وقطر المحيط للبستاني . وكان جيوليوس وفريتاغ قد اعتمدا في معجميهما على بعض كتب الأدب المتأخرة التي لا يشتهد بلغاتها ولا تعنى بالترام الفصحى ، فأدخلا في معجميهما كثيراً من الألفاظ المولدة والعامية ، فتسربت إلى معاجم بطرس البستاني والشرطوني ، ففقدت هذه المعاجم تقدماً مرئياً . وخاصة من الأب انستاس ماري الكرمللي الذي كان يقف لها بالمرصاد . » .

وإشارة المؤلف إلى أنها لم يقصد بتأليفها إلا غرض خاص لطائفة معلومة مما يبعدها عن صفة المعجم الذي يكون عاملاً عادة ، جاء في ص ٧٣٠ :

« وآخر الظواهر فيها عنايتها بالألفاظ والمعاني المسيحية أو التي لها دلالات خاصة عند المسيحيين . وكان ذلك أمراً طبيعياً لهم لأنهم جميعاً مسيحيون نشؤوا على تربية مسيحية دينية وألفوا معاجمهم لمدارس مسيحية دينية هي مدارس اليسوعيين . » .

وعرض المؤلف لنقد بعض هذه المنشورات الذي نشره اليازجي فقال : « .. ونكتفي هنا بالإشارة إلى كتاب تنبيهات اليازجي على محيط البستاني الذي يخرج الباحث من دراسته بأن البستاني وقع في الأخطاء التالية :

التصنيف ، وتفسير الألفاظ بأخرى غير موجودة في موادها ، والخطأ في التفسير ، وعدمه تماماً ، وسوء عبارته ، والخطأ في ضبط الألفاظ ، والإتيان بعبارة لم ينص أحد من القدماء عليها وقد استمد كثيراً من هذه المعاني من جولوس وفريتاخ ، ومن الآثار المسيحية ، وأتاه كثير من هذا الخطأ من سوء فهمه لبعض عبارات الفيروزآبادي وبعض اصطلاحاته وعاداته في قاموسه .

وكل هذه الأخطاء على وجه التقريب نجده عند أفراد مدرسة اليسوعيين جميعاً .. ، اه وواحدة مما عدّد المؤلف كافيّة في إبعاد هذه المنشورات عن صفة المعجم أو أي صفة علمية .

إذا كان ماتقدم يسمى مدرسة فلمؤلف رأيه ، لكن الذي لايجوز بحال أن تقرن هذه الأعمال بالمعجم الوسيط ويقال في المقابلة إن هذا خير من معاجم اليسوعيين ، بين الفريقين فروق صارخة فأين أعمال هؤلاء الموصوفة آنفاً من أعمال مؤسسة دستورها المحافظة على سلامة العربية وتلبية حاجات العصر في ميادين العلوم والفنون .. الخ وجماعتها علماء أعلام ، أعمالهم خلصت للعلم لا لاستهلاك مدارس خاصة أريد الحيلولة بين تلاميذها وبين معاجم اللغة الصحيحة .

* * *

لئن استطعت تعداد ماوقفت عنده من هذا الكتاب النافع إن مراقبي منه أكثر ، والأعمال العلمية هي التي تستحق أن يوقف عندها طويلاً ويبدل في مسيل استكمالها كل جهد ، وأرجو أن يطرد نحو هذا البحث واستكماله

في طبعة بعد طبعة والله الموفق (١) .

(١) رأيت - خدمة للكتاب - أن أشير إلى ما لم يذكر فيه من أخطاء الطبع التي تلفت النظر لغلبة الصحة والجودة عليه :

ص	س	خطأ	صواب
ح	١	جدير بالشكر المشرفين . .	المشرفون
ـ	ـ	والعاملين	والعاملون
٢	٤	هذا	هذه
١٦	١٧	وينشئوا	وينشئوا
١٧	١٧	حدا بالمتورخين إلى	حدا المتورخين على
٥٤	٤	لا زال	ما زال
١٠٤	٤	أخطئوا	أخطؤوا
١٢٢	٢٢	الألف بائي	الألفبائي
١٢٤	٢٢	بينها	بينها
١٦٢	١٥	الجغرافيا	الجغرافية = ١٦٩ الخ
١٧٠	٩	وصفهم	وصفها
٢٠١	٢٣	الباقيين	الباقيين
٢١٢	١٩	عقد	عقدوا
٢٢٢	١٤	يمبئون	يمبئون
٢٢٣	٤	نظام . . بنظام	بنظام . . . نظام
٢٢٩	٩	الرائين	الرائين
٢٣٥	١٤	صحيح	صحيح
٢٥٠	٥	هل لا بد	ألا بد
٢٦٢	٦	أقطب	أقب

ص	س	خطأ	صواب
٣١٩	٦	الأقسين	الأقسين
٣٤٤	١١	هنا	ها هنا = ٥/٣٧٠
٣٧٤	٥	لاضطرادها	لاطرادها
٣٨٦	٥	لا يتعارض ... مع تحريه	لا يتعارض ... هو وتحريه
٤٢٨	٦	اتفق مع الخليل	اتفق هو والخليل
٤٤٦	٢	ثلاث أصول	ثلاثة أصول
٤٤٩	٩	بواسطتها	بوساطتها
٤٥٤	٩	والمزاد	وللزيد = ٥٣٩ .. الخ
٤٧١	٢٠	تميزه عن	تميزه من
٤٨٦	١٩	عربي	غير عربي
٥٠١	٩	اللغويين	اللغويون
٥٤٠	٢٢	فأجفؤوا	فأجفؤوا
٥٦٤	٣	على جميع صيغ ومعاني كتابي المين والجمهرة :	على جميع صيغ كتابي المين والجمهرة ومعانيها
٥٨٦	١٧	المعاني الثلاث	المعاني الثلاثة
٦٤١	١٣	المطلقات السبعة	المطلقات السبع
٦٧٧	٧	حدا به إلى	حداه على

سبب الألفاني



الأعلام العربية

(دراسة لغوية اجتماعية) للدكتور ابراهيم السامرائي

٩٤ س من القطع الوسط - مطبعة أسعد - بغداد ١٩٦٤

ما ضم بلد مختلفين في الجنس أو العقيدة أو الحضارة إلا كان بين فئاته أخذ وعطاء وتأثر وتأثير، في الأخلاق والعادات والمواضعات، لا فرق في ذلك بين غالب ومغلوب ووطني ومحتل. واللغة، هذه الظاهرة الاجتماعية لا تنأى على الناموس العام، فما زالت اللغات الأوروبية الغربية مثلاً تحمل طوائف من كلمات أصولها عربية تسربت إليهم من مئات السنين، وما زالت لهجاتنا الدارجة في البلاد العربية عليها آثار من التركية والكردية والفارسية، ثم الإنكليزية والفرنسية والإيطالية في عصرنا الحديث.

وهذه الرسالة محاولة من صاحبها، أثبت فيها عدداً من الأعلام التي يسمّى بها في العراق، بين طوائفه المختلفة من مسلمين ونصارى ويهود وصابئة، استقرأها الباحث، وأشار إلى ظاهرة حديثة تسربت فيها أعلام مما يسمي به المسلمون إلى بقية الطوائف، كما أثبت أعلاماً سجلها من تونس والجزائر، ثم نظرق إلى ما يشيع في إيران من أعلام عربية الأصل على أكثرها الطابع المذهبي، وهو يأمل أن تيسر له مادة أخرى يكمل بها هذا الاستقراء الذي لا بد منه في الدراسات اللغوية الاجتماعية التاريخية، على حد تسميره.

ولا ريب أن الخطوة الأولى إلى تلك الغاية هو الاستقراء والتسجيل، يعقبها خطوة ثانية تتميز بها مدلولات الظواهر التي تدرس، وينظر بعدها ما يمكن أن يستنبط منها من أحكام اجتماعية تاريخية.

هذا وقوله ص ١٥ « وهذه المسألة اللغوية [يعنى تعبيرهم في الشهل الإفريقي عن ابن الحاج ب بلحاج] عربية قديمة فقد سمع (بلحاج بن كعب وبلعنبر وبلهجوم) وغيرها ، موهم ، فلا شك أن الباء في الأعلام الأخيرة مختصرة من (بنو ، بني) على حين باء (بلحاج) مختصرة من ابن . وأخشى أن يكون خلد في قوله ص ٥٠ « دراسة الأعلام الحديثة ... تؤلف جانباً لغوياً لا بد من الاضطلاع به والتبصر فيه ليكون ذلك معيناً على فهم العربية الفصيحة » فالتبادر إلى الذهن العكس .

وربما كان شيء من التعميم غير الصحيح في حاشية (٧) ص ٥٣ : (حمد الله) من أعلام الإيرانيين وهو غير معروف عند العرب ، !! ففي دمشق مثلاً عدد من البيوت ألقابها آل حمد الله

كما توقفت عند قوله ص ٧٣ « سبتي : من الأعلام الشائعة بين المسلمين في عصرنا هذا » ويحسن أن يحدد المكان ، فما أذكر أنني سمعت به في الأعلام الشائعة .

وفي بعض أخطاء الطبع ما يحير القارئ كقوله ص ٧٥ : (سمحه) وهي من أعلام اليهود الشائعة الاستعمال ، وهي من مادة عبرانية وهي صفة مؤنثة تعني في العربية (فرحة) . اهـ فهل يريد : تعني في العبرانية (فرحة) العربية ، كما هو الظاهر من القرينة ؟

والعرب ترسم (سورية) بالهاء لا بالألف كما ورد في ص ٨ وكذلك إفريقية المرسومة بالألف خطأ في ص ٢٧ . وصواب (ابن أصيعة) في ص ٤٠ هو : ابن أبي أصيعة .

أرجو أن يوفق الله المؤلف الفاضل إلى بلوغ ما يأمل فيما ينفع .

س. أ.



طب الحبشة ونباتاتها

المؤلفات الطبية الحبشية

تأليف ستيفان ستره لسين

نشرته الأكاديمية البولونية للمؤلفات الشرقية عام ١٩٦٨

هذا الكتاب تبلغ صفحاته نحو (٨٠٠) صفحة مطبوع على ورق جيد بقياس ١٦ر٥ × ٢٤ سم^٢. عالج فيه المؤلف في مقدمة بلغت نحواً من (١٠٠) صفحة ، البحث عن الطب والسحر عند الأجباش ، وتوسع توسعاً كلياً في الكلام عن اللغة الحبشية وكتاباتها ولهجاتها ، وذكر المراجع التي اعتمد عليها ، كما تحدث عن عالج الموضوع من علماء آخرين ، ثم استطرده في الكلام عن بعض المخطوطات الطبية ، فخصص لكل من المخطوطات الست التي كانت ترجمتها -الفرنسية- تحتل الجزء الأكبر من الكتاب ، صفحات يتحدث فيها عن أوصاف المخطوطة ومكان وجودها ومؤلفها ولمن كتبت ، وتجد المؤلف يصرف جهده لوصف اللهجة التي كتبت بها المخطوطة ، ويستعين بصور الكلمات الحبشية التي لفتت نظره ليتحدث عن تهجيتها وعن موضوع الرسالة ولماذا خصصت ، ويذكر الأمراض بأسمائها الفرنسية ، فإن لم يعرف اسم المرض كتب اسمه بأحرف فرنسية كما يلفظ بالأمرية أو الفيزية ، وإليك مثلاً لذلك : يقول في وصف مخطوطة (أبا يوحنس) أي (الأب يوحنا) ما يلي :

إن القسم الثاني من هذه المخطوطة (الوريقات ٥١ - ١٠٠) تحمل عنوان « كتاب الكتاب لكل أمراض الجسم » تحوي الكلام عن الجراحة.

ومعالجة الأمراض العامة (الكسور والقطوع والمعضات والميزه ، والكسلاسينا ، والجرب ، والجروح ، والجذام الخ) فنجد هنا كلمتي الميزه والكسلاسينا أمريتين .

ويتحدث عن التكرار في الموصفات وكثيراً ما يستعمل نصوصاً كاملة مكتوبة بالأحرف الأمهرية . ثم يتحدث المؤلف في الفصل الثالث عن مشاكل كتابه ولهجات المخطوطات فيستعرض كل حرف من حروفها فيتوسع في الكلام عن ذلك الحرف وأشكاله المستعملة في كل لهجة من لهجات الحبشة ، مستعيناً بكلمات مرسومة طبق الأصل ، ثم ينصرف إلى تهجية الأحرف فيوزعها إلى أحرف حلقيه وشفوية وسنية ، ويمضي طويلاً في التحدث عن ذلك فتبلغ الصفحات التي خصصت لذلك (٦٠) صفحة ، ويتحدث خلالها عن الكلمات المستعارة من لغات أخرى يستلها بالعربية فيتحدث عن الألفاظ التي اقتبسها الأجاش من العربية وأماكن وجودها في المخطوطات كالمصطكي والصبر والزبيب والسفرجل والهليل والخيار والراوند والتيل ولسان البحر إلخ

ثم ينتقل إلى الإغريقية واللاتينية فيستعرض ما اقتبس من هاتين اللفظتين من ألفاظ وأسماء ، ثم اللغة التيفرينيا ، ثم لغة الأغاو وخلاف ذلك من لهجات ولغات ، ثم ينهي مقدمته في التحدث عن اللغات الخليطة بين الأمهرية والفيزية ، وملخص القول : إن تلك المقدمة ذات قيمة كبيرة لكل من يحاول الترجمة من اللغات الحبشية كالأمهرية والفيزية ، فقد جمعت فأوفت وتحديث فأفاضت ، واعتباراً من الصفحة ١٠٣ حتى الصفحة ٥٨٠ يترجم لنا المؤلف المخطوطات الست التي عثر عليها ، فيخصص الصفحة اليسرى

لصفحة من صفحات النص المخطوط مصورة بعناية والصفحة اليمنى لترجمة هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة

تلك الصفحة ، وقد ذيل كل صفحة من صفحات النص بحاشية تذكر مقابلة بين كلماتها والكلمات المختلفة في النصوص الأخرى .

ويتدىء بكتاب الحيات حسب المخطوطة (ك) فيستغرق ذلك (٤٤) صفحة ثم يخصص (١٢) صفحة لتصوير المخطوطة (ل) ثم يترجم المخطوطة (ث) وهكذا إلى أن يتم له ترجمة المخطوطات الست حسب الخطه ذاتها ومنتهجاً النهج ذاته . ثم يخصص ما تبقى من الكتاب لتصوير مخطوطات أخرى غير مترجمة .

والخلاصة إن الكتاب المذكور هو كتاب ترجمة مخطوطات حبشية عن الطب قام بترجمتها إخصائي باللغات واللهجات الحبشية غير طيب ، ولذلك فهو لا يعرف النباتات الطبية وأسماءها العلمية ، وكثيراً ما نجده يستعمل الكلمات الحبشية للنباتات ، وهذا ما يجعل إمكانية الاستفادة من تلك الترجمة محدودة بالنسبة للأطباء والمشتغلين بالطب القديم . وقد اعترف المؤلف في صدر مقدمته بأن الموضوع يحتاج إلى لجان مؤلفة من أطباء ونباتيين بالإضافة إلى علماء اللغات الحبشية ليكون العمل تاماً .

ولعل الأجزاء الأخرى من هذه المجموعة القيمة مستحقنا بمعلومات أكثر وضوحاً وأكثر فائدة سواء للأطباء أو للنباتيين .

مصن السقا



محمل تاريخ الأدب التونسي

من فجر الفتح العربي لأفريقية إلى العصر الحاضر

تأليف : حسن حسني عبد الوهاب

عدد صفحاته ٣٥٨

صُبع مطبعة المنار بتونس ١٩٦٨ م

ظهر هذا الكتاب لأول مرة بتونس سنة ١٩١٨ م بعنوان المنتخب المدرسي من الأدب التونسي . وبعد مضي نحو ربع قرن على الطبعة الأولى ، طبع طبعة ثانية بالقاهرة سنة ١٩٤٤ م . ثم بعد نفاذ الطبعة أعادت طبعه مكتبة المنار بتونس ، بعد أن استبدل اسمه ، وضم مؤلفه إليه طائفة وافرة جديدة من الأدباء ، خلت الأولى والثانية من تراجمهم .

وقد قسم المؤلف تاريخ الأدب التونسي إلى أربعة أدوار رئيسية ، يفصل بين كل واحد منها حدث مهم يحمل في تاريخ البلاد انقلاباً عظيماً في السياسة والاجتماع والعلم والأدب والفن ، وهي :

الدور العربي ٢٧ - ٣٠٠ هـ = ٦٤٧ - ٩١٢ م . والدور العربي البربري الأول ٣٠٠ - ٦٠٠ هـ = ٩١٢ - ١٢٠٤ م ، وفيه ثلاثة عصور : العصر المييدي ٢٩٦ - ٣٦٢ = ٩٠٩ - ٩٧٣ م ، والعصر الصنهاجي ٣٦٢ - ٤٥٠ = ٩٧٣ - ١٠٥٨ م . وعصر الطوائف ٤٥٠ - ٦٠٠ هـ = ١٠٨٥ - ١٢٠٤ م .

والدور الثالث هو الدور العربي البربري الثاني ٦٠٠ - ٩٥٠ هـ = ١٢٠٤ - ١٥٤٣ م . ويتبدى مع ظهور الدولة الحفصية التي تدخل الأسبان في شؤون البلاد واستيلاء الترك عليها .

والدور الحديث ، وفيه عصران : العصر الحسيني الأول ١١١٧ - ١٣٠٠ هـ = ١٧٠٥ - ١٨٨٢ م ، والعصر الحسيني الثاني وفيه ظهرت النهضة الأدبية الأخيرة ويمتد حتى قيام الجمهورية التونسية .

وقد سعى المؤلف بقدر المستطاع أن يجمع في هذا المجلد عدداً من الأدباء القدامى المحترمين ، فبلغ عددهم ٩٢ أديباً بين نثر وشاعر ، وهم : عبد الله بن الزبير ، عقبة بن نافع ، موسى بن نصير ، الحسام بن ضرار ، الأغلب التميمي ، سليمان الفافقي ، عبد الرحمن بن زياد ، ابراهيم ابن الأغلب ، داود القيرواني ، أسد بن الفرات ، الامام مسحنون ، أبو العباس بن الأغلب ، عبد الملك المهري ، أحمد بن سودة الأغلبية ، بكر ابن حماد ، عبيد الله المهدي ، أبو بكر اللؤاوي ، أبو العرب التميمي ، القائم بأمر الله ، أبو القاسم الفزاري ، ابن الرايس ، محمد بن هاني ، علي بن الأيادي ، عبد الله بن أبي زيد ، ابن عبدون الوراق ، عبد الكريم النهشلي ، عبد الرحمن الفراسي ، محرز بن خلف . ابراهيم الحصري والكاتب الرقيق ، ابن الريب ، ابن غانم الكاتب ، علي بن أبي الرجال ، ابن خلوف الحروري ، علي بن حبيب ، عبد الواحد بن فتوح ، ابو طاهر التجيبي ، ابن أبي حديده ، الحسن بن رشيق ، محمد بن شرف ، علي الحصري ، عبد الله الشقراطي ، أبو الحسن الحداد ، ابن تيم بن المعز ، أبو الفضل بن النحوي ، ابن بشير المهدي ، جعفر بن شرف ، ابن فرحان القابسي ، أبو زكرياء الأول ، أبو المطرف بن عميرة ، أحمد بن اللياني ، أبو عمرو بن عريية ، محمد بن أبي الحسين ، هنان ابن جابر ، أحمد التيفائي ، ابن الهماط المهدي ، أبو الفضل التيجاني ، عبد الله التيجاني ، ابن حُسَيْنِيَّة ، محمد الظريف ، عبد الرحمن بن خلدون ، الشهاب بن خلوف ، أبو الفتح ابن عبد السلام ، محمد الرشيد باي ، علي

الغراب ، الشيخ الشافعي ، محمد الورغي ، خليفة المشرقي ، ابن سعيد
الحجري ، حمودة بن عبد العزيز ، محمد ماضور ، محمد الأصرم ، الطاهر بن
عاشور ، محمود قابادو ، ابن أبي الضياف الباجي المسمودي ، محمد السنوسي ،
أبو القاسم الشابي ، الطاهر الحداد ، عبد الرزاق كركباكة ، مصطفى آغة ،
سعيد أبو بكر ، الشاذلي خزندار ، محمد أوريقية ، محمد الخضر بن الحسين ،
العربي الكبادي ، والسعيد الخالصي .

وقد ترجم لهؤلاء ، ثم ذكر بعض آثارهم من شعر ونثر ، وذل كتابه
بعض التعليقات المفيدة أوضح بها ما كان غامضاً ، نغمده الله برحمته وإحسانه ،
وجزاه خير جزاء .

عمر رضا كحالة



الأصول العربية للدراسات السودانية

جمع وإعداد وتنسيق : يوسف أسعد داغر

عدد صفحاته ٢٦٢

طبع في مطبعة النجوى بيروت ١٩٦٨ م

عهدت منظمة اليونسكو إلى واضع هذا الكتاب ، العمل خلال أربعة
أشهر بتدء في ٨ كانون الثاني ، وتنتهي في ٨ أيار ١٩٦٧ م ، في وزارة
التربية والتعليم في السودان ، كخبير للتوثيق التربوي .

وقد أتاح له رئيس المجال أن ينقب في مكتبة جامعة الخرطوم عن
المراجع الخاصة بالسودان ، فتجمع لديه مجموعة كبيرة تقرب من ألفي مصدر
في الدراسات السودانية ، من كتب وضعها أو ترجمها سودانيون ، أو كتبت

عن السودان في الخارج ، أو نشرت في السودان في الفترة الواقعة بين ١٨٧٤ - ١٩٦٧ م .

كما تضم هذه المجموعة - مئات المقالات والبحوث المنشورة في المجلات العربية الكبرى ، أو في المجلات السودانية التي ظهرت في السنوات الأخيرة ، مما استطاع الوصول إليه ، ولم يتعرض للأبحاث والمقالات التي نشرت في الصحف اليومية أو الأسبوعية .

وأما خطة العمل في هذه المجموعة فقد وضع جامعها تحت كل موضوع معين المصادر التي تعود إليه ، وأثبتها وفقاً للترتيب المعجمي لأسماء مؤلفين أو كاتبها ، وإلا فبمنوان الكتاب أو المقال ، ان كان غفلاً من اسم المؤلف . وإذا شاء الباحث أن يتعرف إلى الكتب أو المقالات والأبحاث التي وضعها المؤلف ، فعليه أن يتبع الأرقام المثبتة بعد اسمه مباشرة في الفهرس الخاص بالمؤلفين ، إذ لكل كتاب أو مرجع رقمه المسلسل الذي يميزه ، كما أورد اسم المؤلف تبعاً للشهرة أو الكنية أو اللقب الأشهر في حال غموض اسم الأسرة .

وبالختام نشكر الأستاذ واضع هذه الأصول على ما قدم ويقدم من بحوث أصيلة تعين الباحث والمؤلف في عملها متمنين له متابعة العمل والبحث .

ع . ك



كتاب الطبقات

عن أبي عمرو خليفة بن خياط
رواية : موسى بن زكريا التستري
لمحمد بن أحمد الأزدي

القسم الثاني : عدد صفحاته ٤٦٧
تحقيق : مهيل زكّار

بلغ عدد من ترجم له في هذا القسم ١٤٢٦ مترجماً ، وقد ذكرهم المؤلف على طبقات وهي من قريش ، ثم من المهاجرين من قريش ، ثم من أبناء المهاجرين من قريش ، ممن سكن مكة من أصحاب رسول الله ﷺ ، ثم من أهل الطائف من أصحاب النبي ﷺ ، ثم من أهل اليمن من أصحاب رسول الله ﷺ ، فمن أهل اليمامة من أصحاب رسول الله ﷺ ، فمن أتى مصر من أصحاب الرسول وشهد فتح مصر ، فمن أتى الشامات من أصحاب الرسول ﷺ ، فمن أهل الشام بعد أصحاب الرسول ﷺ ، فمن أهل المواسم ، فمن نزل الجزيرة ، فمن أهل الموصل ، فمن أهل خراسان ، فمن أهل الري ، فالمدائن فواسط ، فمن نزل بغداد وتأهل بها من المحدثين ، فتسمية من حفظ عنه الحديث عن رسول ﷺ من النساء . وقد وضع للكتاب فهرس للطبقات والمترجمين والأعلام والقبائل والأرهاب والائتم والأماكن والأحاديث النبوية ، مما أضاف للثام عما حواه هذا الكتاب من أبحاث جديرة بالناية والتقدير .

وقد علق المحقق في صلب صفحات الكتاب تعاليق مفيدة ، ذكر في بعضها المراجع التي اعتمد عليها في تحقيق الكتاب مما يدل على جهد مشكور وفقه الله إلى المزيد من العمل على إحياء تراثنا العربي الجليل .

ع . ك



العصا في حياتنا وتراثنا

تأليف عبد القادر عيَّاش

عدد صفحاته ٩٦

طبع : دير الزور ١٩٦٨ م

هذا بحث طريف ومفيد عن العصا قد بحثه مؤلفه بحثاً دقيقاً فشمّل نواحي متعددة ، فقدم له توطئة ، ثم ذكر الأسماء القاموسية للعصا التي وردت في اللغة العربية ، منذ عصر الجاهلية فذكر ألفاظاً كثيرة لأشكال وأجناس من العصي ، استمر استعمالها في اللغة ، من قبل الشعراء والكتاب والأدباء والعلماء في كل العصور إلى اليوم في تعابير وتشابيه ومجازات وأمثال وحكم بمفرداتها وجموعها ومشتقاتها وتصاريفها بمختلف المعاني ، وقد رتّب المؤلف هذه الألفاظ على حروف المعجم .

ثم أورد الباحث مراتب العصا وما إليها ، فالأسماء المحلية لها ، فشجر العصي والميدان ، فتقويمها وتزيينها ، فالاتجار بها ، فالعصا في التاريخ ، فاستعمالاتها ، فالجلد ، فالعصا في عادات العرب ، فجناياتها ، فالعصا في الفكاهة والنوادر والقصص ، فالعصا في الشعر العربي القديم ، ففي الأمثال القديمة ، فضرب الأمثال بها في الشعر العربي القديم ، فالعصا في آيات القرآن الكريم ، ففي الحديث النبوي ، فتسمية الأشخاص بأسماء العصا ، فالعصا في الأدب العربي الحديث ، ففي الأمثال الشعبية ، فالعصا في ألعاب الكبار ، ففي ألعاب الصبيان ، فالعصا في الفنون والمتاحف ، فالعصا في الاغاني الشعبية في الفرات .

وبالختام نشكر المؤلف على رسالته الصغيرة بعدد صفحاتها ، الكبيرة بما حوته من أبحاث تدل على الجهد الذي بذله في جمع مادة بحثه وتنسيقه ، فجزاه الله كل خير .

ع.ك



ديوان

كمال نصرت

عدد الصفحات (٣٧٦ صفحة من القطع المتوسط طبع في بغداد عام ١٩٦٨)

يضم هذا الديوان شعر أحد الشعراء العراقيين المعاصرين ، وقد قدّم له إبراهيم الوائلي الأستاذ بكلية الآداب من جامعة بغداد . وفي الصفحة الأولى صورة للشاعر تحتها بيتان من نظمه ، وقد أشار صاحب المقدمة إلى تأثير الشاعر نصرت بالرصافي ود طريقته في الأداء ، ونحن نؤيد صاحب المقدمة الموقفة في رأيه الناقد ؛ ان شعر الشاعر منصرف إلى الفكرة والموضوع وإنه قليل الالتفات أو الاهتمام (بالموسيقى التصويرية التي تنسجم في إيقاع رتيب) على حد تعبير الأستاذ الوائلي كما نؤيد رأيه في ملاحظة بعض التناقض عند الشاعر حين يطوّح به اليأس فيتمنى الموت ، وحين تعود إليه قوة ذاته فيصف نفسه بالتحمل ومغالبة الدهر والأيام ، وبلي التقديم مقدمة أخرى للأستاذ عبد القادر البراك لم تضيف شيئاً إلى الديوان لولا بعض عبارات المديح التي أملاها على الكاتب وفاؤه للشاعر لا تقده العلمي الصحيح ، وبعد هذه المقدمة الثانية ، قصيدة بائية الطول للشاعر جميل أحمد الكاظمي في تقرّظ الديوان ، لم تردنا تعريفاً ولم تكون عندنا رأياً خاصاً ، ثم أبيات أخرى للشاعر عبد الهادي البغدادي ، وهي ذات معنى عام يصح أن توضع بين يدي كل ديوان ، وأخيراً تأتي ترجمة الشاعر بقلم محمد علي حسن وقد تحدث فيها عن أصله ونسبه وحياته ودراسته والوظائف التي شغلها والترجمة تعطينا معلومات مفيدة عن حياة الشاعر حسب السنين .

ثم يأتي شعر الديوان ، وهو موزع على أبواب هي الوطنية ، السياسيات ، الاجتماعية ، الإخوانيات ، الوصف ، المراثي ، الهجاء ، الغزل ، ثم عدد من القصائد جعل لها الشاعر عنواناً (ديوان سميّة) وهي موجهة إلى مغنية عراقية معروفة . ثم مجموعة أخرى عنوانها « السمر » وهي مغنية عراقية أخرى أُلْمِعَ إلى اسمها في القصيدة الأولى من هذه المجموعة . ومجموعة شعرية ثالثة عنوانها « عذراء المستشفى » وأخيراً المتفرقات ، ولقد تعددت مقاصد الديوان وفق اختلاف الموضوعات وتباينها ، وشعر الشاعر بسيط في لفظه وفي مضمونه . وهو لا يدلّك على ثقافة واسعة ، كما يدلّ على أن الشاعر اعتمد على فطرته الأدبية وعلى مجالسة الأدباء والإفادة منهم وخاصة الزهاوي والوصافي ، أما الصور الشعرية والمعاني الجديدة والخيال البعيد فألوان تجدها نادرة في هذا الديوان .

أحمد الجفري



ديوان محمد العيد محمد علي خليفة

عدد الصفحات (٦٠٢) من القطع المتوسط

من مطبوعات الشركة الوطنية للنشر والتوزيع

ومن منشورات وزارة التربية الوطنية بالجزائر لعام ١٩٦٧

يشتمل هذا الديوان الشعري الكبير على مقدمة صغيرة بقلم وزير التربية الوطنية الجزائرية وعلى تقديم بقلم (رائد الأدباء ورئيس العلماء الإمام الشيخ محمد البشير الإبراهيم رحمه الله) ، ويبي ذلك كلمة بقلم الأمير شكيب أرسلان ، ثم خاتمة شعرية عنوانها « خاتمة ثناء وإبتهاال » ثم تبدأ القصائد مبوبة حسب

الموضوعات ، المتسلسلة على الطريقة الآتية (أدبيات وفلسفيات ، إسلاميات وقوميات ، أخلاقيات وحكميات ، اجتماعيات وسياسيات ، اللزوميات ، الإخوانيات الثوريات ، الذكريات ، المتفرقات ، الألفاظ ، الأناشيد) .

ويتهي الكتاب إلى جدول كبير يبلغ ثمانى صفحات يشير إلى الخطأ المطبعي الذي ورد في الكتاب ، وهو يدل على كثرة الأخطاء ، وفي الصفحة الأخيرة من الغلاف ترجمة لصاحب الديوان مع صورة صغيرة له بلباسه الجزائري الوطني ، ومن الاطلاع على هذه الترجمة ، نتبين الطابع الديني العربي الذي التزمه الشاعر وهو الطابع الذي ظهرت آثاره في قصائده الكثيرة التي ملأت الديوان .

أما شعر الديوان ، فمن الشعر العربي الذي أفاد أسلوبه من القراءات الدينية ولا بدع فالشاعر من تلامذة جامع الزيتونة في تونس ، ويلاحظ قارى الديوان أن القصائد طويلة وأن نفس الشاعر غير قصير ، كما أن أكثر هذه القصائد قيل في مناسبات خاصة وعامة ، كالحفلات والاجتماعات الدينية والوطنية وأبرز ما في هذا الشعر أسلوبه الصحيح ، وإن كان بسيط المعاني غير معتمد على الصور البراقة ، والخيال الشعري الذي يهتم به الشعراء الجدد .

أ.ج



الأمثال البغدادية المقارنة

الجزء الثاني

عدد الصفحات / ٣٩٠ / من القطع المتوسط

من تأليف العميد المتقاعد عبد الرحمن التكريتي

من مطبوعات مكتبة المشتى - بغداد لعام سنة ١٩٦٧

هذا هو الجزء الثاني من كتاب « الأمثال البغدادية المقارنة » ، ويعني العنوان أن المؤلف ، أو المحقق ، قد جمع أمثال أحد عشر قطراً عربياً وقارنها بالأمثال العراقية المماثلة ، وهي على حد قوله ، أول محاولة لمقارنة الأمثال العربية ، وقد سبق أن أهدانا المؤلف الجزء الأول من سفره ، وبدأ هذا الجزء بتبنيه أشار فيه صاحب الأمثال إلى المراجع التي استعان بها على وضع كتابه ، وقد رتب الأمثال على الحروف الأبجدية بادئاً جزءه هذا بحرف « التاء » ، وطريقته أنه يأتي بالمثل العراقي فيثبت به بالخط العريض الأسود مع وضع رقم لكل مثل ، ثم يشرح بعده لماذا يضرب هذا المثل ، ويبي ذلك تعقيب بين المثل الذي يؤدي معناه في قطر عربي آخر ، وبدأ هذا الجزء بالرقم (٥٨٣) وينتهي بالمثل ذي الرقم (١١٨٥) وفي الصفحات كلها حواشي تبين المراجع التي يمكن الرجوع إليها استزادة للاطلاع .

والعمل الذي قام به العميد التكريتي عمل شاق ومضن ، وهو يسد ثغرة علمية في الثقافة العربية الحاضرة .



أ.ج

ديوان ابن الدهان الموصللي

حققه عبد الله الجبوري في / ٢٨٠ / صفحة

من القطع المتوسط عام سنة ١٩٦٨ م وطبع في مطبعة المعارف ببغداد

هَذَا شاعر وُلد في الموصل سنة ٥٤١ هـ على وجه التقريب وتوفي في حمص سنة ٥٨٢ هـ فهو عراقي سوري . وقد قدم المحقق للديوان بمقدمة ذكر فيها تعدد أسماء الذين حملوا هذا اللقب ، ووصف مخطوطة الديوان وصفاً مسهباً كما تحدث عن أهمية شعر الشاعر . أما اسم الشاعر المفصل فهو : مهذب الدين عبد الله بن أسعد أبو الفرج الموصللي الشافعي .

لم يلتزم المحقق الترتيب الأبجدي في نشر قصائد الديوان فقد بدأه بقصيدة عينية . وأكثر الديوان من شعر المديح الذي يتخلله الغزل كما كانت عادة الشعراء في عصر الأيوبيين وهو عصر يعتبر في نظر الناقدين عصر انحطاط للشعر ، ولكن شعر هذا الشاعر على ما تخلله من تكلف وصناعة غير خالٍ من الإحساس الشعري وإن كان التقليد قد أخذ بجانيبه وراى عليه . وفي القصيدة العينية التي بدأ بها الديوان أبيات مشهورة ردها المغنون وتأنق في تلحينها الملحنون وهي :

قل للبخیلة بالسلام تورعاً كيف استبعت دمي ولم تتورعي

وفي قصائد الديوان المطولات التي تذكرك بعبود الشعر الأولي كالقصيدة اللامية التي وردت في الصفحة (٣٥) فقد بلغ عدد أبياتها (٧٤) بيتاً وكذلك قصيدته الحائية التي وردت في الصفحة (٥٩) وعدد أبياتها (٨١) بيتاً وهما في مديح السلطان صلاح الدين الأيوبي .

ويبدو أن الشاعر كان معجباً بالسلطان مأخوذاً بانتصاراته الرائعة مما أثار شاعريته وحفزها على الإسهاب ، وكان يتمالي عن التكسب بالشعر في زمن كان التكسب فيه مهنة فهو يخاطب القاضي الفاضل ، رجل الأدب في عصره فيقول له :

وفاءً لحق الود لا تاباً مني ولا بائعاً شعراً ولا طالباً جدوي
وهي مزية تحفظ له فتشكر .

ولكن التقليد الذي ملك عنان شاعريته قد حجب عنه الآفاق الشعرية الصحيحة فخرج شعره بسيطاً مصنوعاً لا يحرك القارئ إلا في موسيقاه اللفظية وعباراته المنغومة . أما المعاني الجديدة وأما الصور والملاحظات الأخاذة فنادرة في هذا الشعر الذي جنى عليه عصره كما جنى على الشعراء غيره . ويختتم المحقق الديوان بستة من الفهارس المفيدة ، ثم قائمة خاصة بالكتب التي حققها الأستاذ الجبوري .

وهذا الديوان مفيد لأنه أحيى شاعراً مغموراً ، ولأنه يعطي صورة من صور عصره الأبوي كما يذكر القراء بقوة الشعر ومئاته وجزالته .

أ.ج



آراء وأنباء

انتخب مجمع اللغة العربية في الجلسة التي عقدها بتاريخ ١٧ ذي القعدة ١٣٨٧ هـ وفق ١٥ شباط ١٩٦٨ م ، الأستاذ عبد الهادي هاشم عضواً عاملاً فيه ، وقد صدر بذلك المرسوم ذو الرقم (٧٥٤) المؤرخ في ١٣٨٨/١/٨ وفق ١٩٦٨/٤/٦ .

وقد دعا المجمع الأستاذ المنتخب لاحتلال المقعد الشاغر بوفاة المرحوم الأستاذ عز الدين علم الدين التنوخى ، وعقد لاستقباله جلسة علنية بتاريخ ٧ صفر ١٣٨٩ هـ وفق ٢٤ نيسان ١٩٦٩ م .

وفي جلسة الاستقبال ألقى الدكتور عدنان الخطيب عضو المجمع خطاب الترحيب بالعضو الجديد ، الذي أجابه بخطاب تحدث فيه عن حياة سلفه وآثاره . وفيما يلي ثبت نص الخطابين .



خطاب الدكتور عدنان الخطيب

في حفلة استقبال

الأستاذ عبد الهادي هاشم

[في ظهيرة يوم من شتاء سنة ست وأربعين وتسعمئة وألف ، كانت الشمسُ تبدو مثقلة وثيدة الخطى ، حينَ بدأت «عناية الله» ، واسمها بالفرنسية « Providence » ، ترفعُ مراسيها وهي تتحرك ببطء نحو الغرب ، مبتعدة عن رصيف ميناء بيروت .

كانت الباخرة تحمل على ظهرها ، فيمن تحمل من السفّار ، نفرأ من أبناء الشام ، وقفوا على سطحها ، والبشر يطفح من وجوه أكثرهم ، فقد جرى الزمان بما يشتهون بآخرة ، وأبحروا نحو بلاد فيها ما يرغبونه من علم ومعرفة .

كان هؤلاء السّفَر ، يلوحون بمناديلهم كمادة المسافرين ، تحيةً لأهل لهم وصحاب وقفوا على الرصيف ، تنسكب الدموع من عيونهم ، ساخنة هادئة تحمل معنيّين ، دمعُ فراق لأحبة يأنون ، ودمعُ إشفاق لهؤلاء الذين ركبوا البحر ولما يطهر مأؤه مما زرع فيه من صواعق تزهقُ الروح باللس الرقيق .

لقد كانت «عناية الله» أول سفينة تقصد إلى أوربّة بعد أن أُذيع في الناس ، نظافة البحر مما بثّ المتحاربون في دروبه ، خلال حرب ، خمد أوارها ، قبل أن تتفجر . وكانت العناية المبذولة في الكشف عن هذه

م (١٧)

— ٩٤٣ —

الخبايا في البحر ، أضيّق من أن تحيط بكل شيء ، وما زال الناس في الفينة بعد الفينة ، يسمعون عن قرايين قدمتها هذه الألفام طعاماً شهيئاً لما ضمّ البحر بين جنباته من أحياء . كان من بين هذه الضحايا برءاء ما اجترموا ذنباً ، فاصطلوا بالنار ، بعد أن قدّر لسميرها الذي أجبه الطامعون ، أن يهدأ ، فلا جرم ، تسكبُ الدموع عن حبٍّ ، وتسكبُ الدموعُ من إشفاق .

ما كادت الباخرة تبعد قليلاً ، حتى أخذ جرسٌ فيها يقرع على شكل خاص ، فبُسر للسفّار ، بأنه دعوةٌ إليهم كي يجتمعوا على السطح ، وبدأ المسافرون يتحلقون حول الرّبابنة وهم يرشدونهم إلى ما يجب عمله ، إذا ما نُزلت الباخرة بهم من لغم مسنّته ، ويعلمونهم كيف تلبسُ أدوات العوم ، إذا أُهيب بهم : أن ألقوا بأنفسكم إلى الماء .

كان المسافرون يستمعون بقلوبهم إلى هذه الإشارات تُلقى عليهم بالفرنسية ، وتلفت الرّكب من أبناء الشام أو أكثرهم إلى رجل يحسنُ فهم الفرنسية ينطقُ بها أهلها ؛ فوجدوه فتيّاً يكبرُهم سنّاً ، سبق له أن أمضى زمناً في فرنسا ، وعاد إلى دمشق ، بعد أن تزود بكثير مما يجهلون ، ثم لما لفت الحربُ الدنيا حالت بينه وبين ما يشتهيهِ من عودة إلى أوربة ليمُعبّ مما كان نهل ؛ فإذا به حين أُتيح له السفر من جديد ، يلقَى رفاقاً كانت الحربُ حجزت أكثرهم عن متابعة الدراسة التي منى نفسه بها .

أخذَ الفتى يترجمُ لرفاقه ما كان يلقي عليهم بيُسْرٍ وطلاقة وإيجاز ، تركتُ له أثراً طيباً في نفوسِ ركبٍ تفاوتت أسنانهم واختلفت دراساتهم ، واتفقوا في غاية واحدة ، هي الرغبة الصادقة في أن يكتب لهم أن يردّوا منابعَ العلم والثقافة لم تكن سبلها ميسرةً لهم من قبل .

وأنس الفتى برفاقه وأنسوا به ؛ كان يقصُّ عليهم من أبناء باريس ما تهفو إليه قلوبهم ، وكانوا يستزبدونه شرحاً ، فيجيب كلاً إلى سؤاله بتفصيل وافٍ دقيق بلذ للجلس الاستماع إليه ، ولو كان لا يعنيه من أمره شيء . كان في أحاديثه يبين عن ثقافة أدبية واسعة ، وذاكرة قوية تحسن أن تلي ، يزينه تواضع جَم . فإذا به في مركز الريادة بين الركب ، ساعده في ذلك خلقٌ رضيُّ ، وصدورٌ رحبٌ ، وعقلٌ راجحٌ ، وأريحيةٌ كريمةٌ ، وصنعةٌ مارسها فملكته عليه جانباً من طباعه ، كان مدرساً عانى التعليم مذ كان يَفَماً سنواتٍ طوالاً ، فتعود مصادقة طلابه وأهلهم ، في المدينة وفي القرية ، فليس يدعاً أن يغدو في هنيهات صديقاً لنفسي من الشباب الجامعين ، كانوا رفاق سفرٍ طويل .

كان يقف إلى جانب الفتى المعلم ، فتى آخر يبدو أصغر منه بسنوات قد لا تتجاوز اثلاث ، كانا ابني حيٍّ واحد من أحياء دمشق القديمة ، وانفق أن أمضيا بعض دراستهما في مدرسة واحدة ، يوم لم يكن من ثانوية في دمشق إلا « مكتب عنبر » . كانا يلتقيان حيناً في باحة المدرسة ، وفي الدروب المؤدية إليها حيناً آخر ، وكان أقصى ما يربطهما تحية عابرة يتبادلانها إذا ما التقيا في درب ضيق .

كان الفتى الأول ، رجلاً أدبياً واجتماعياً ، موفداً من وزارة المعارف للتعلم في دراسة اللغات القديمة ، وكان الثاني رجلاً قانون وإدارة . يشغل منصباً قضائياً ، إنه موفدٌ من وزارة العدل لدراسة النظم القضائية في البلاد الأوربية المختلفة ، وبحكم صغته هذه ، كان مثبداً في خطواته متمهلاً في أحكامه ، لا يتكلم إلا بمقدار ، يجب النكتة ويحسن الاستماع إليها ، ولكنه يندر أن يلقيا إذا اتسعت حلقة المستمعين إليها .

وجد الفتى القاضي نفسه ، إلى جانب رفيق عرف صورته وجهل
طوبته ، فاذا به يجد رفيقاً عالي التهذيب ، عفيف اللسان لين العريكة ،
سمحاً في صلاته مع الآخرين ، فحين أُتيح له أن يلتقي به على انفراد يمتع
طرفه بمنظر الشمس وهي تتكوّر في البحر ، نابته شعور أنيس مدّة
الحديث بينها حتى وجدا نفسيهما ينشدان مع شاعر دمشق الكبير :

ماله في عظيم الشأنِ قرنٌ كلُّ جبارٍ يداينه مهينٌ
سعةٌ ليس لها من غابةٍ حُشرتْ عنها عيونُ الناظرين
أنا إنْ أوجستْ منه خيفةٌ خافه قبلي أمير المؤمنين
علاءُ المينِ فتغضي قرناً ويهولُ النفسَ حتى تستكين
كلُّ يومٍ تسجدُ الشمسُ له فكأنَّ الشمسَ بالبحر تدين
ترغي في حوضه حمرةً خجلاً كالرود في حوض خدين
وكنا إذا نظرا إلى أمواج البحر تتلاحق مرتفعة منخفضة ، رددا
مع الشاعر قوله :

أُتري ، أمواجه أنفاسه رُدِّدت بين شقيق وأنين
جحفلٌ يركب منها جحفاً يتمادى كجنود زاحفين
وكنا إذا اجتمعا ضحى يستمتعان بدفء الشمس ، ويمتعان ناظرهما
بجمال حوْم الطيور ، تلتقط ماتخلفه الباخرة من طمام ركبها ، أو إذا
ذكرنا حينها إلى مراتع الصبا ومدارج الطفولة ، أنشدا مع الشاعر :

وطيورُ البحر في أسرايها تنهادي كشراعات السفين
قلت للسرّب ، وقد أقبل من أفقٍ ؛ قلبي به عانٍ رهين
أيّها القاطعُ عُرضُ البحر هلْ لك عهدٌ بروابي قاسيون

ثم مهوى القلب دارات الهوى منزل الأهل ، حمي المستضعفين
بأبي الشام وأمي ، إنها كعبة الآمال والحصن الحصين

* * *

وفي يوم غامت شمس ، وتجمع السفار يصطلون بالقرب والحديث ،
انضم إلى السفر الدماشقة أحد رجال السلك السياحي في بلد عربي
شقيق ، وقد أنس بظرفهم وتهذيبهم ، وأنسوا بعلمه وثقافته ، فإذا به
يدعوهم إلى مائدته عشية اليوم التالي ؛ ولكن البحر هاج ضحوة ،
وكانت الباخرة تترق في مضيق « مسينا » وصخب موجه ، واضطربت
السفينة ، ثم غدت على ضحامتها ، وكأنها طفل عصبت عيناه بفيامة يسمى
وراء لدائه ، فإذا بالسفار يهرعون إلى مضاجعهم مرضى بدوار البحر ،
فأخذ أفراد الركب الشامي ، ينسل الواحد منهم تلو الآخر ، وما كادت ساعة
الغروب تأزف ، حتى كانت قاعة الاستقبال قد أفقرت إلا من ثلاثة ،
صاحب الدعوة والصديقين وهما يتساءلان عن الدعوة ، إن كانت ما تزال
قائمة ، فأجاب صاحبها : هي قائمة مادمتنا ثلاثة على الأقل . ولم تمض
بضع عشرة دقيقة ، حتى اعتذر المعلم ، فران صمت مطبق ، ثم قام
السياسي وقام القاضي ، دون أن ينبسا بمنت شفة ، لقد مضى كل منها
متجلداً نحو مقصوره .

وعندما بدأت السفينة تلقي مراسيها في « مرسليليا » ، كان كل رفة
السفر شعر بأن المتعة التي نعيم بها أربت على مشاق السفر الطويل ، وكان
أكثر الركب شعوراً بهذه التعمى ، ابنا الحي الدمشقي الواحد ، فقد
شعرا بأن آصرة ربطت بين رجلين فجملت منها صديقين أخوين .

ولا ينسى القاضي يوم نزل من الباخرة ، ليلحق بقطار باريس ، أن
اليابسة كانت تميد من تحت قدميه ، فقد حمل معه شيئاً من دوار البحر ،
وأن مساعد صديقه المعلم كان عوناً دفع عنه أذى كثيراً .

وحمل القطار الصديقين إلى باريس حتى إذا بلغاها ، سلك كلٌ منها مسلكاً وما اجتماعاً بعدئذٍ ، على ندرّة ما اجتماعاً ، إلا على ودٍ صافٍ وحبٍ مقيمٍ .



أيها الزميل العزيز .

هذه صفحةٌ من ذكريات ، كتبها في يوم غبر ، ثم جاء يوم في سنة أربع وخمسين وتسعمئة وألف ، وكنتُ أنولى منصب « نائب عام في وزارة العدل » ، فإذا بي أسجل في هامشٍ : [في هذا اليوم زرتُ الصديق الأستاذ عبد الهادي هاشم ، مهنئاً بتوليته منصب الأمانة العامة لوزارة المعارف ، وقد ذكرنا رحلتنا على السفينة « عنـاية الله » فنعمننا دقائق برجّع الذكرى وانتشينا بالحديث عن أيام لا تنسى] .

وإذا كنتُ يا صديقي ، بدأت حديثي الليلة بذكرياتنا فلأصل الحديث بالقول : إني أملتُ يوماً أن تكون في استقبالي في هذه القاعة ، إذا ما قيس لي الدخولُ إلى هذا الصرح العظيم ، فقد كبرتني بسنوات ، وكنتُ ذا سابقةٍ في خدمة العربية ، والعمل على تحقيق أغراض هذا المجمع الذي نفاخرُ العربَ به ، وكان من حقِّ سابقتك ، أن تكون سابقاً في الدخول إليه ، ولكن الرياح كثيراً ما جرت بغير ما تشتهي السفن ، على أنها قد تجري أحياناً بأسرع مما كان يؤمل ذو حظ من السفتانين ، وما كان الحظ ليغير يوماً من فضل السابقين في علم أو معرفة . لقد حانفت الريحُ سفينتي فأرستها بحمايةٍ ، وما هو ذا حظي يجري الليلة بما أشتي فأمْنَح من قبل الرصقاء شرف استقبالك باسمهم .



سيدي الأستاذ الرئيس

أبها الرصفاء الأعزاء

سادتي المحترمين

يسعدني في هذه الأمسية الزاهرة بمشارككم ، أن أقدم إليكم واحداً من رجال يعتر جمع دمشق بأن يضمهم إليه ، فيقوى بهم على حمل العبء الذي نهض له خمسين عاماً مائاً به ، عبء خدمة الضاد أم اللغى لسان الذكر المبين . وبأمثال هذا الزميل الجديد يستمر جمعنا الغالي مجاهداً في سبيل تحقيق أغراضه ، ملتقياً الأضواء على تراثنا المجيد ، خبيء الأقبية المهملة والقاعات المجهولة ، ساعياً لجعل العربية الخالدة ، لغة العصر الحديث تسير علومه وفنونه .

لقد ولد رصيفنا الجديد عبد الهادي هاشم ، في حيٍّ من أقدم أحياء دمشق ، سنة ثلاثين وثلاثمائة وألف للهجرة ، الموافقة لسنة اثنتي عشرة وتسعمائة وألف للميلاد ، في أسرة شامية عُرف كثير من رجالها بمزاولة التجارة ، كما عُرف بعضهم بالانصراف إلى طلب العلم أو الانقطاع إلى العبادة . بدأ الزميل تحصيله الأولي ، كما كان يفعل أكثر أبناء الأسر الشاميّة العربية التي تسكن داخل دمشق وحول جامعيها الأموي الكبير ، في « المدرسة الجقمقية » يوم كان على رأسها علامة دمشق وأحد رواد نهضتها المعاصرة وأصحاب الفضل على كثير من شبابها المرحوم الشيخ عيد السفرجلاني . ومن الجقمقية تحوّل زميلنا إلى مدارس أهلية وأجنبية تلقى فيها تحصيله الثانوي ، إلى أن أنهى هذا التحصيل في « مكتب عنبر » ثانوية دمشق

ومن « الجامعة السورية » جامعة دمشق الوحيدة ، حصل الزميل على شهادة « مدرسة الأدب العليا » ، وكان أول متخرجي « دفته » . وحالت الوظيفة بينه وبين إتمام دراسة « القانون » التي بدأها ، فانتسب إلى « سلك التعليم » واضطر إلى العيش سنوات عديدة بعيداً عن داره في دمشق .

وفي سنة ست وثلاثين وتسعمئة وألف أوفدت وزارة المعارف زميلنا إلى باريس ، فتلمذ لكبار المستشرقين فيها ، وانعقدت أواصر الصداقة بينه وبين كثير منهم ، وفيها درس شيئاً من علوم الفلسفة والتربية والألسن وألم إماماً وافيّاً ببعض اللغات السامية ، ومنها اللغة الحبشية القديمة (الجعز) ، ثم عاد إلى دمشق في بداية الحرب العالمية الثانية ، فسُمّي أستاذاً للعربية في المدارس الثانوية ومديراً لدار المعلمين ، حتى إذا ما وضعت الحرب أوزارها ، أوفد إلى سويسرة ليتم فيها دراسة اللغات السامية والحامية ، فتمكن من المصرية القديمة ومن العبرية ، ونال في هذه جائرة « باومان » عن دراسة وضعها عن الفيلسوف اللغوي اليهودي ، سعاديا غاوون المعروف عند العرب بـ « سعيد بن يوسف الفيومي » ثم اختارته منظمة « اليونسكو » آنذاك ليكون خبيراً ثقافياً لها في القطر الليبي الشقيق ، بعد إعلان استقلاله سنة ١٩٥٢ م ، فأقام فيه مدة عامين ، كان خلالها خير سفير بين شقيقين ، يحمل الحب والود بين جنبيه ، كما يحمل رسالة الفكر بين يديه .

ولما عاد الزميل عبد الهادي هاشم إلى دمشق ، تولى فيها وظائف كثيرة علمية وإدارية فكان محاضراً في كلية الآداب بجامعة دمشق ، ومديراً للتعليم الثانوي والتعليم الريفي ، فرئيساً للجنة التربية والتعليم ، فأميناً عاماً لوزارة المعارف ، ثم تولى بعدها مديرية دار الكتب الوطنية بدمشق « المكتبة الظاهرية » ، ثم مديرية إحياء التراث العربي القديم في

وزميلنا اليوم أمين عام مساعد للشؤون الثقافية في وزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومي ، ويتولى تدريس « فقه اللغة » في كلية الآداب بجامعة دمشق ، وهو عضو في اللجنة الوطنية السورية لـ « اليونسكو » ، وعضو في المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والمعلوم الاجتماعية .

وإلى جانب هذا قام زميلنا الأستاذ عبد الهادي هاشم بتمثيل سورية على خير ما يكون التمثيل ، في كثير من المؤتمرات العلمية والتربوية ، ولا سيما في مؤتمرات « اليونسكو » و « جامعة الدول العربية » و « مكتب التربية الدولي في جنيف » ، كما شارك في تحرير كثير من المجلات الأدبية والتربوية ، وحاضر في أكثر من مدينة عربية ، وحقق بعض المخطوطات من تراثنا ناشراً ذلك في مجلة مجمع دمشق ، كما أعان بعض الباحثين في تحقيقاتهم لمخطوطات عربية قيمة . وقد سبق لجمعنا أن نشر تحقيق رصيفنا لكتاب فقيد العربية الكبير أستاذ الجيل المغفور له سليم الجندي المسمى « الجامع في أخبار أبي العلاء وآثاره » وهو في ثلاثة أجزاء ضخام .

* * *

سادتي :

هذه المامة مربية عن الأستاذ عبد الهادي هاشم ، الذي أجمع أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق على اختياره رصيفاً لهم ، خلفاً للزميل الراحل فقيد العربية الأستاذ عز الدين علم الدين التنوخي ، يشدون به أزرهم ويتابعون معه خدمة العربية وآدابها .

وإني باسم المجمع أدعو الرصيف الكريم إلى خطاب مجمي يحدثنا فيه عن سلفه الراحل أجزل الله ثوابه .

١٣٨٩/٢/٧ هـ

خطاب الأستاذ عبد الهادي هاشم

في حفلة استقباله

سيدي وزير التعليم العالي ، سيدي وزير الثقافة ،

سيدي الأستاذ الرئيس ، سادتي أعضاء المجمع مدونة اللغة وحماها .

أحسنتم بيّ الظن فارتضيتوني لكم رصيفاً ، وأخذتم بضبّعي ، مُنعمين
متفضلين ، فأحللتُموني في مجعكم الكريم منزلة سامية تجاوز الأمانى وتغوت
المطامع ، منزلة ما كانت عنقي تتناول إليها ، لمعرفتي بنفسي وشعموري بنقصي
ويرحم الله امرءاً عرف حدّه فوقف عنده . وإني لموقن أنه لم يرفعني إلى
مزاملتكم إلا عين راضية نظرت بها إليّ ، ونفسٌ سمحة عالية تجاوزت عن
عجزي واحتسبت بمحبتي لهذه اللغة الشريفة وإخلاصي لها واعتدادي بأدبها
وحرصني على تراثها ففسحت لي مكاناً بينكم ، وأرجو ألا تكونوا على ذلك
فيما بعد من النادمين .

ولئن لم أكن أطمع في أن أغدو في يوم من الأيام من أعضاء المجمع
فما ذلك لأتني غريب عنه أو بعيد منه ، فأنا من معينه ارتويت ، ورجاله
اقتديت ، ألفتُ رحاب المجمع منذ أكثر من أربعين سنة ألزم قاعاته
وأشهد محاضراته وأتلمذ لأعلامه وأتخرّج بمن شرّفتُ بصحبته منهم أو
حظيتُ بمزاملته فيهم ، وكنتُ أجدي ملازمتي المجمعين الخُلّدين شرفاً أزهي
به واعتزّ ، وأرى في عشرتهم غذاء الروح ومثمة العقل وراحة النفس ،
وما أزال أذكر الفرحة التي غمرتني يوم اختارني الأستاذ الرئيس محمد

كرد علي منذ خمسة وعشرين عاماً لأشارك في التهيئة لمهرجان المعري الألفي ،
ولأكون في إمرة الرجل النبيل الأمير جعفر الحسني في الإعداد للمهرجان
والعمل لإنجاحه .

كما أذكر بالفخر والشكر ذلك اليوم الذي وقف فيه طه حسين منذ
أكثر من اثني عشر عاماً في حفل افتتاح مؤتمر الجامع العلمية الأول في
دمشق يتوجه على رؤوس الأشهاد إلى رئيس الجمهورية السورية المرحوم
شكري القوتلي طيب الله ثراه بقوله :

« ولا بدّ أن يُردّ الحق إلى أهله ، ولا بد من أن
استأذن فخامتكم في إشارة موجزة إلى تاريخ التفكير في عقد
هذا المؤتمر ، وأولُ تفكير في عقد هذا المؤتمر إنما كان في
اجتماع اللجنة الثقافية للجامعة العربية في جدة ، وكان الفضل
فيه لممثل سورية العظيمة ، في ذلك الوقت كان الزميل عبد الهادي
هاشم يمثل سورية في اللجنة الثقافية ، فهو الذي أوحى إلينا بهذه
الفكرة ، ولا غرابة في هذا ، فما رأيتُ إلى اليوم أحداً
كالسوريين لا ينسى العروبة ومجد العروبة ومستقبل العروبة ،
مارأيتُ أحداً كالسوريين يذكر هذا ويستصعبه في حِلِّه
وترحاله ، يفكر فيه كما يفكر في نفسه ، فالعروبة جزء مقوم
لكل عقل سوري ، وجزء مقوم لكل قلب سوري ، وجزء
مقوم لكل ذوق سوري . كان الذي أوحى إلينا بالتفكير في هذا
المؤتمر رجلاً من رجال سورية ، فكان من الطبيعي أن يكون
عقد أول مؤتمر للمجامع العلمية في مصدر التفكير فيه : في دمشق

مهد العروبة وعاصمتها وهناك مزية خاصة لدمشق ، فجميعها
هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة

العلمي الموقر هو أولُ المجامع العربية وجوداً وأشدّها نشاطاً وأخصبها إنتاجاً وأعظمها تأثيراً في حياة اللغة العربية الحية وأقدرها على إحياء التراث العربي القديم ؛ نتخذ في كل هذه الأشياء مثلاً ونغودجاً ، ونطمع في أن نسير في إثره ونطمع في أن نصنع صنيعه ونقتدي برجالاته من زعماء العروبة وأعلام البيان .

اعذروني أيها السادة إذا أطلتُ الاستشهاد بشيء من خطاب عميد الأدب العربي في هذا العصر ورئيس مجمع اللغة العربية في القاهرة اليوم ، فقد فعلتُ ذلك لأعيد إلى الذاكرة رأي كرام زملائكم في مجتمكم وتقديرهم رجاله وإكبارهم جهاده .

قلتُ لم تنقطع صلاتي بالمجمع ، بعمدتُ أو قربتُ ، ولكنْ انضرتُ أيام عمري وأعوذها عليّ بالخير واليمن تلك الأعوام التي قضيتها في حرم المجمع ، على رأس دار الكتب الظاهرية ، فقد كنتُ ألقى الأستاذ الرئيس (خليل مردم بك) رحمه الله ، كل يوم ، لا المذاكرة في قضايا الإدارة فقد كان أمرها سهلاً ميسوراً ، ولكن للمداولة في مسائل أدبية ولغوية ، ولللقاء الأفاضل من الوافدين على المجمع لزيارة رجالاته ، ولما حلّ العلامة الأمير مصطفى الشهابي في نيابة الرياسة خلفاً للرحوم الأستاذ المغربي كان يخصني بوده ويُشركني في بحوثه ، وقد ذكرني بقاءاتنا الماضية يوم زرتُه رحمه الله الزورة الأخيرة فبيل وفاته بيومين .

★ ★ ★

ولئن أتيسح لي شرف لقاء أكثر أعضاء المجمع من قبل ، فإن صلاتي بالرحوم عز الدين التنوخي الذي أحللتُموني محله بعد انتقاله للأعلى كانت

أوثق وأقوى ، فقد كنتُ أعرفه وأنا في ريتق الشباب من خلال ما ألف

وترجم وحقق وحاضر ، فلما سُمِّيتُ منذ ثلاثين عاماً أستاذاً للمريسة في ثانوية حمص خَلَفْتُ فيها الأستاذ التنوخي وسرتُ على نهجه ، وكنتُ أزوره عند مقامي إلى دمشق وأستهدي برأيه فيحتفي بي ويصفيني وده وإخاه ، وكان تواتر اللقاء يزيدني إعجاباً بأبي قيس ومحبة له ، ويكشف لي كثر الأيام فضائل وشمائل في نفسه وخلقه وعلمه لا يكاد يعرفها أخص خلطائه .

ثم ازدادت صلتني به توثقاً أيام كنتُ في المجمع ، فكانت لجنة المطبوعات تعقد اجتماعاتها في مكنتي ، وكان التنوخي أحد أعضائها ، وكانوا يبيحون لي أن أخوض في الحديث معهم وكأني أحدهم ، ويُشركوني في عملهم وإن لم أكن منهم . ثم لما تحوَّلتُ عن المجمع إلى وزارة الثقافة كان الفقيه يتماهدني بالزيارة بين الفينة والفينة ، فأردتُ تحيته وأقصدُ إلى مكتبه في المجمع وإلى داره في ضاحية الميزة (أو دمشق الجديدة كما كان يحلو له أن يسميها) وكنتُ في الحالين سعيداً مقبلاً لما كان يفيض فيه من طلل الحديث وحلو النادرة وبارع الرواية وحاضر النكتة ، ولما كان يلقي به مجالسه من كرم الترحيب ورفع الكلفة والانبساط الوقور دون ما تبذل ولا إسفاف . ولا أزال أذكر آخر لقاء بيننا وكان قبيل وفاته بلواذ أسبوع وكنا نتحدث فيه عن (معاني الشعر) للأشنانداني وما صنعه في تحقيقه ، وكان يومها مفترق الشعر منشرح الصدر يتدفق بشراً ونشاطاً ، وما كنتُ أعلم أنها آخر مرة ألقاه فيها في هذه الفانية . على أن صلتني لم تنقطع بالتنوخي بعد وفاته ، فقد عكفتُ على العناية بكتاب الأشنانداني واستكمال تحقيق أصله ولحقه وذيله والتقديم له ، وأرجو أن يظهر الكتاب إلى الأسواق بعد أسبوع أو أسبوعين .



تقضي سنة للمجمع حميدة بأن يتحدث الخلف من أعضائه في حفل استقباله عن مساهمته ، وكنتُ أحسب الأمر هيناً يسيراً ، وأن معرفتي بأبي قيس وبمجموع آثاره قيمة بأن تجعل الأمر على طرف الثمّام ، وما كنتُ أدري أن شدة القرب حجاب وأن العين لا ترى جارتها ولا تحسن وصفها وأن أجهل ما يكون المرء عندما يحسب نفسه عالماً ، وأن ترجمة مَنْ بعد من الغرباء قد تكون أسهل وأيسر من ترجمة مَنْ دنا من القرباء ، وهذا عذري إذا لم ترضوا سيداتي وسادتي عما سأسوقه في ترجمة الفقيد ووصف بعض آثاره .

يُسمّى 'عز الدين علم الدين التنوخي' إلى أسرة يذكر بعض العارفين أنها كانت قد اتخذت العراق مسكناً منذ مئات السنوات ، ثم هاجر بعض أبنائها إلى الشام وأقاموا في سواحله وعلى جباله الشام يشتركون مع أهلها في رد عادية الصليبيين عن الثغور الشامية . ثم انتهت تلك الحروب واستقر أبناء هذه الأسرة في لبنان وتكاثر نسلهم وغلبوا على أرجاء واسعة من الجبل . فلما وقعت الواقعة في عين دارة سنة ١٧١١ م / ١١٢٢ هـ بين القيسيين وعلى رأسهم الأمير حيدر الشهابي واليمنيين وأمراؤهم بنو علم الدين وانجلت عن هزيمة اليمنيين وقتل الكثيرين منهم نزع مَنْ سلم من آل علم الدين إلى دمشق واتخذها موطناً له .

وقد ولد الفقيد عز الدين بدمشق حوالي سنة ١٨٨٩ م في أسرة كادحة عاملة تصنع سروج الخيل وتتفوق في هذه الصناعة فتصير إليها مشيختها ويسمى والده (شيخ السروجية) فإذا لقي الوالد وجه ربّه حل محلّه في المشيخة ابنه وهو أخو عز الدين .

نشأ الفتى عز الدين في هذه البيئة ، ولكن نفسه عزفت صغيراً عن الرضى بأدنى المعيشة ، وتطلعت إلى مجد مؤمل مؤمل . فبعد أن أنهى الدراسة

الابتدائية في المدرسة السباهية والاعدادية في المدرسة الرشدية تحوّل عن دمشق إلى يافا ومنها إلى الأزهر في القاهرة يدرس على شيوخه بحمل معارف عصره ، وقد عاش التنوخي في مصر عيشة شطّاف وقَشَف يتبلّغ بالقليل ، وينصب ويتعب من أجل الحصول عليه ، ثم عاد إلى دمشق قبيل إعلان الدستور سنة ١٩٠٨ ولم يبلغ العشرين من العمر ، فتصدّر للتدريس والإقراء في جامع بني أمية ، وأقبل الناس عليه ، ورضوا عن طريقته في الوعظ والإرشاد ، ودعوته إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، وقد أعانه على امتلاك قلوب طلابه طلاقة لسان وحلاوة حديث وبعث عن الجمود والتطرف ، ودعوة معتدلة لإصلاح في شؤون الدين والدنيا متزن متد ، وعلم غزير اكتسبه من الأزهر ومن دروس علاّمي دمشق يومئذ جمال الدين القاسمي وعبد الرزاق البيطار .

وكان جو الشام متلبداً بالفيوم : حكومة تركية غاشمة توجس من بنيه شراً ، وتضرع لهم أذى وضراً ، وتربص للايقاع بمن أبوا منهم الإقامة على ضيم يراد بهم ويلاذهم ، وأنفقوا من الاستكانة إلى ظلم أولئك الطورانيين الفاصيين ، فقامت جمعيات سرية عربية تدبّر للخلاص مما تعانيه البلاد وكان التنوخي فيما يبدو ضالماً معها مشاركاً في بعضها .

وتوفده جمعية أهلية مع بعض الشباب الشاعيين إلى فرنسا لدراسة الزراعة في (غرينيون) ، فاذا أتم عز الدين دراسته عرّج في طريق عودته على القسطنطينية يتصل فيها بالجمعيات العربية السرية ، وينتسب إلى بعضها كالمتدي الأدبي ، ثم يهبط بيروت لينهض بتعليم الزراعة في مركزها الزراعي سنة واحدة ، وما تلبث أن تنشب الحرب العالمية الأولى ويساق التنوخي إلى مدرسة ضباط الاحتياط في دمشق ، وقبل أن تم دروسها يفرّق جمال باشا قائد الفيلق الرابع طلاب المدرسة العرب ، ويميّن التنوخي في

حلب ، ولكن الضابط الصغير يتبين الغدر في نفوس الأتراك فيفارق دمشق خفية إلى جبل الشيخ ومنه إلى بادية الشام فإلى الجوف (وهي دومة الجندل) ثم ييمم شطر العراق فالحجاز لينضم إلى الشريف حسين عندما أعلن ثورته على الأتراك . وهناك يسميه الشريف (وزيراً للزراعة في واد غير ذي زرع) كما يقول التنوخي . ثم يلتحق بجيش الأمير فيصل ويدخل دمشق ثانية بعد أن حررها الجيش العربي .

وكانت تلك الفترة مباركة على الأمة التي أخذت تنشئ الحياة يومئذ ، وتمتد لغدٍ باسم مشرق يذكر بالأمس البعيد الوضاء .

وشارك التنوخي مع بعض علماء الشام حينئذ في بعث العربية ونشرها وتعليمها ، وتألف من صفوة هؤلاء العلماء المجمع العلمي العربي في حزيران عام ١٩١٩ وكان عز الدين في عداد هذا الرعيل الأول .

ثم بسهم التنوخي من بعد في تأليف جمعية (الرابطة الأدبية) ويشرف على إصدار مجلتها ، ولكن السلطة الفرنسية — وقد غزت جيوشها البلاد الشامية بالحديد والنار — لم ترق في عينها الرابطة ولا مجلتها ، فأمرت بحل الجمعية وحجب مجلتها سنة ١٩٢٢ وكمت الأفواه وكسرت الأقلام وبثت في البلاد الهلع والفرع .

ضاقت السبل أمام هذا الشاب التنوخي في بلده ، فلما دعاه ساطع الحصري إلى العراق — وكان قد رافق فيصلاً الأول إليه — ولى وجهه شطر بغداد وأخذ يدرس في دور المعلمين الأولية والعالية وينشر المعرفة ويصير الناشئة بلغة الجدود وتراثهم المجيد الحصب ويضع لطلابه كتباً في العلوم واللغة والأدب لا يزال الناس يذكرونها ويشكرون مسعاته في تأليفها .

ثم يناله الحنين إلى مسقط رأسه فيعود في أوائل العقد الرابع إلى دمشق وينصرف إلى المجمع وعمله فيه ردحاً من الزمن ، ويشارك في

محاضراته وندواته ، ويسهم في مهرجان المتنبي سنة ١٩٣٦ ، ثم يُسمّى
بُعيد ذلك مدرساً للعربية في ثانوية حمص ويتقلب بعدها في وظائف كثيرة
إدارية وتعليمية في السويداء ودمشق ؛ إلى أن يوكل إليه تدريس علوم
الآلة في كلية الآداب ويظل قائماً بها إلى أن يحال إلى التقاعد عام ١٩٥٣
وهو على أتم ما يكون نشاطاً وحيوية . فيتفرغ أو يكاد للعمل في المجمع
وفي مجلته ، ثم ينتخب عام ١٩٦١ عضواً في المجمع العلمي العراقي ، وأخيراً
يسمى نائباً لرئيس المجمع العلمي العربي في دمشق أواخر العام ١٩٦٤ بعد
وفاة العلامة الأستاذ المغربي . فكان يقضي سحابة نهاره في المجمع ويزور
أصيلاً إلى مزرعة له في ضواحي دمشق كان قد اقتناها لما عاوده الحنين
إلى الزراعة . ومن هذه المزرعة يذهب إلى لقاء وجه ربه راضياً مرضياً
فجر يوم الجمعة ٢٤ من حزيران ١٩٦٦ (٦ ربيع الأول ١٣٨٦ هـ) .

★ ★ ★

كان المرحوم التنوخي رضي الخلق كريم النفس جمّ التواضع عفّ
اللسان قريباً إلى القلب ، وكان متمسكاً بدينه معتزاً بقوميته مجاهداً في
مسبيل أمته بسيفه وقلمه ، جامداً في الحفاظ على لغتها وتراثها . وكان وافر
النشاط يعمل في المجمع والمزرعة والمشروعات الخيرية والاجتماعية لا يصرفه
واحد منها عن غيره .

وكان إلى ذلك قوي الذاكرة حاضر البديهة جميل النكتة .

وقد قضى حياته الطويلة جُلداً دءوباً على الدرس والبحث والعلم والعمل
حتى غدا حجة في العربية مشاركاً في علوم أخرى كثيرة ، وحتى خلّف
لنا ثروة ضخمة من الآثار النافعة والتصانيف القيمة . وقد تُشير في حياته

م (١٨)

منها أكثر من عشرين كتاباً ورسالة بين مؤلف ومترجم ومحقق في شتى ضروب المعرفة .

فأول ما ألف رسالة فلسفية سماها (الفتح المبين) في شرح عينية ابن سينا الرئيس :

هبطت إليك من المحل الأرفع ورقاء ذات تدلل وتمنّع وقد طبعت هذه الرسالة في مصر أيام كان التنوخي يدرس في الأزهر ولم تجاوز سنه الخامسة عشرة فيما يبدو .

ثم نشر في العراق كتاباً في مبادئ الفيزياء في جزئين ترجمه عن الفرنسية لفرنان ماير ، ثم ترجم قصة قلب الطفل في جزئين أيضاً ، وأصدر كتاب دروس الإنشاء مقتبساً من كتاب موريس غربغو ثم والى في دمشق تحقيق بعض التآليف الأدبية واللغوية ومنها :

كتاب المنتقى من أخبار الأصمعي للرباعي وكتاب تكملة إصلاح ما تفلط فيه العامة للجوالقي وكتاب بحر العوام فيما أصابت فيه العوام لابن الحنبلي . ثم أخرج لطلابه في الجامعة ثلاثة أجزاء فيها شرح (إيضاح القزويني للدمشقي) في البلاغة وكتاباً سماه (إحياء العروض) وشارك في وضع (المعجم المسكري) الفرنسي العربي والانكليزي العربي ثم نشر تحقيقه المتقن لكتاب الابدال لأبي الطيب اللغوي في جزئين كبيرين وكتاب الثنى وكتاب الإتياع وكلاهما لأبي الطيب نفسه ثم نشر كتاب الابدال للزجاجي وحقن مقدمة النحو خلف الأحمر كما نشر الجزء الثالث من شرح الجامع الصحيح مسند الإمام الربيع ابن حبيب الأزدي .

وبتوفاه الله قبل أن يفرغ من تحقيق كتب أخرى كان يعتزم نشرها ، ومنها كتاب (معاني الشعر) للأشناندي في أصله ولحقه وذيله ، وكتاب

(الدلائل في غريب الحديث) لقاسم بن ثابت السرقسطي، وكذلك كتاب (منتهى الطلب) لابن ميمون فيما يذكر صديقه الملامة عبد العزيز الميمني الراجكوتي . هذا إلى عدد جم من الرسائل الصغيرة والمقالات والقصائد التي كان ينشرها في مجلات كثيرة كالمجلة السلفية ومجلة الزهراء ومجلتي التربية والتعليم في بغداد والشام ومجلة الرابطة الأدبية ومجلة الثقافة ومجلة المجمع العلمي العربي ، ومن عجب أن آخر مقالة له نشرت في صدر عدد مجلة المجمع الذي نعاها فيه .

قضى التنوخي ستين سنة كاملة (من ١٩٠٦ إلى ١٩٦٦) يؤلف ويترجم ويحقق في أنواع شتى من المعرفة ، ولوددت أن أتحدث عن خصائص كل من مؤلفات التنوخي وأن أذكر موضوعه ومنهج التنوخي فيه لو كان الوقت مسعفاً ، ومع ذلك فلا أحب أن يفوتي الحديث ولو موجزاً عن ثلاثة من تصانيف التنوخي هي كتاب الابدال وكتاب تهذيب الإيضاح وكتاب مسند الربيع بن حبيب . ففي هذه النماذج دلالة واضحة على نهج التنوخي رحمه الله في التأليف والتحقيق ، وبيان لطول بآعه في علوم كثيرة لا يتاح لغيره الإلمام بها مجتمعة ، بله إتقانها والتمكن منها .



فأول هذه التصانيف التي اخترت كتاب (الابدال) لأبي الطيب عبد الواحد ابن علي اللغوي الحلبي المتوفى سنة ٣٥١ ، وقد نشره التنوخي في جزئين يقعان في قرابة ألف ومائتي صفحة ، ووطئاً له بحديث ضاف عن الإبدال اللغوي والنحوي وحدودهما ، وبسط قواعد الإبدال اللغوي وضرب الأمثلة عليها ، ثم انتقل إلى الكلام على القلب الشعري وعلى تعاقب الفصحى والعامية ، وعلى التعاقب بين العربية واللغات السامية ، وعلى تولد اللغات من اللغات ، وشرح ذلك كله شرحاً علمياً لا تكاد تقع على مثله عند المعنيين المتفرغين

أمثل هذه البحوث ، وانتقل بعد ذلك إلى بيان أثر قلة الإعجام في التصحيف ، وإلى مباحث شتى تتصل بالترادف والتعاقب . ثم أخذ يقارن بين المتقدمين والمحدثين في هذا العلم ويرجح المحدثين وهو في خلال ذلك يسوق آراءً في هذه الظاهرة اللغوية الصوتية : ظاهرة الإبدال ، يحاول فيها أن يفيد من العلم الوضعي المستحدث اليوم في تعليل ما رواه العرب سماعاً ولم يحكموا تعليله . ثم عرّف التنوخي بمؤلف (الإبدال) أبي الطيب اللغوي وانتقل إلى الحديث عن مخطوطة اشتملت على الكثير من كتب أبي الطيب ، وساق الأدلة على أن عزو الكتاب الذي نشره إلى أبي الطيب عزو صحيح . أما نص الكتاب فقد ضبطه بالشكل الكامل المتقن ، وهذا الضبط في الشكل أمر لا مندوحة عنه في كتب اللغة ، ولم يدع التنوخي كلمة لغوية في هذا السفر الضخم إلا شرحها ، معتمداً أوثق المراجع وأوسع المعاجم ، حتى جاءت حواشي الكتاب أضعاف متنه . ويبدو أن أبا قيس كان يودّ المضي في العناية بالكتاب فوق ما فعل ، فهو يقول (في مقدمة الإبدال ص ١٢) : « ولوددتُ مهلة من العمر لأشرح إبدال أبي الطيب اللغوي أو فائت إبداله مما جمعته من كتب اللغة على طريقته ، ممحصاً لها وباحثاً عن أصولها وفروعها وذاكراً آراء فقهاء اللغة فيها من المتقدمين والمحدثين . »

ولا شك أنه لا يقوى على نشر هذا الكتاب وضبطه وتخريجه والتعليق عليه إلا الراسخون في العلم ، فتحقيق كتاب لغوي ليس بالأمر اليسير ولا ميسراً لم تصل إلينا منه إلا مخطوطة واحدة . وهذا الكتاب يعالج زاوية عسيرة من اللغة ، وقد وفق المحقق في التعليق على الكتاب بما يستوجب الحمد والثناء . وبكاد المرء يجد في كل صفحة منه ما يحسبه صنيع لجان مجتمة لا فرد متوحد . وكان التنوخي يعلم أن عمله هذا مجازفة قد يكبو فيها

جواده فقال في المقدمة : فقلنا خلا تحقيق كتاب ، من مباينة لوجه الصواب ؛
والتنزه عن الخطأ معوز ، والكمال لغير الله معجز .

★ ★ ★

أما الكتاب الثاني الذي أود التحدث عنه فهو (تهذيب الإيضاح) .
والحق أن التنوخي لم يكن يرضى بالافتصار على علم واحد من علوم
الأوائل ، بل كان يود الإحاطة بها جميعاً ، ويتطلع إلى إتقانها كلها وتجديدها
وتيسيرها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً .

وعلمو البلاغة ، كما صنعها المتقدمون ، عسيرة المطلب وعرة المسلك ،
قل العارفون بها ، المتمكنون منها ؛ على أنه لا غنية عنها لمن يود فهم
أساليب عصور طويلة من تاريخ أدبنا ، وأنماط كثيرة من تفكيرنا ،
وجوانب عديده من ثقافتنا . وأشهد أن التنوخي كان في هذا الميدان من أبرع
من عرفنا في علوم البلاغة كلها ، ومن أقدرهم على تبيين خصائصها ونقائصها .

ولما نيط به تدريس طلاب جامعة دمشق علوم البلاغة اختار من كتب
المقدمين كتاب (الإيضاح) للقزويني الدمشقي المتوفى عام ٧٢٦ هـ فشذبه
وهذبه وشرحه وعلق عليه في أجزاء ثلاثة يسّرت لطلابه معرفة أصول
هذه العلوم وأذائقهم حلوة درسها وفتحت عيونهم على طريقة في فهم البلاغة
ما كانت متاح لهم لولا كتاب التنوخي هذا .

ولا شك عندي في أن خدمة أبي قيس (لإيضاح) القزويني خدمة
جليلة محمودة ، ولا أكتمم أنني كنت قد قرأت منذ سنوات طويلات (مفتاح
العلوم) للسكاكي و (تلخيص المفتاح) للقزويني ، و (مختصر تلخيص
المفتاح) للتفتازاني ، و (مواهب الفتح في شرح تلخيص المفتاح) لابن
يعقوب المغربي و (عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح) لبهاء الدين

السبكي و (الابيضاح لتلخيص المفتاح) للقزويني ، و (حاشية الدسوقي على شرح السعد التفتازاني لتلخيص المفتاح) ، كل هذه المفاتيح والشروح والخواشي المتعلقة (بايضاح) القزويني لم تَسُنْ لي أبواب البلاغة ، ولم تُنير لي ظلماتها ، وكنتُ أجد في نفسي انصرافاً عن القزويني وزهداً بما ألف ، فلما رأيتُ كتاب التنوخي قلت : وهذا مفتاح آخر لن يزيد الباب إلا إرتاجاً . ولكني مضيت في قراءته فأدركت وهمي ، وعرفتُ أنه كم ترك الأول للآخر وكم فات السابق ما أدركه اللاحق ، فقد يسر التنوخي علوم البلاغة وأضاء مجاهلها ، برهف ذوقه ودقة فهمه وسعة حفظه وسلاسة شرحه واستحضاره الشواهد المينة الواضحة ، واستكثاره من النصوص المحكمة المنخيرة ، وتعليقاته المفيدة النافعة . وقد أعانه ذلك على أن يذيل كل باب بأمثلة كثيرة متخيرة جميلة يسوقها لتدريب القراء وتمارينهم والأخذ بيدهم لأدراك وجوه الجمال في التعبير وضروب البلاغة في الأداء . وليس لنا أن نقضي التنوخي وضع أسس جديدة لعلوم البلاغة واستكمال ما فات القزويني وغيره منها ، ليس لنا ذلك ، لأنه في هذا المقام شارح للكتاب لا مؤلف . ويبدو أنه كان يود أن يصنع شيئاً من ذلك ، ولكن لم يقيض له قصر الزمن بلوغ غرضه .

★ ★ ★

كان التنوخي -- كما سبق القول -- متمدّد جوانب المعرفة ، متّسع آفاقها ، فقد بدأ حياته العلمية بدراسة شيء من اللغات الأجنبية كالفرنسية والتركية والفارسية ، ثم انصرف إلى تعمق العربية والعلوم الدينية في الأزهر ، ثم عكف على دراسة العلوم الزراعية في فرنسا ، ثم اتجه إلى العلوم الوضعية في العراق ، وعاد لتدريس علوم الآلة في دمشق ، واشتغل

بتحقيق عيون تراثنا المجيد في اللغة والأدب والنحو . على أن من آخر الكتب التي حقق ونشر كتاباً في الحديث يثق به الاباضية من الخوارج ، عيّنتُ به الجزء الثالث من (شرح الجامع الصحيح 'مسند الإمام الربيع ابن حبيب بن عمرو الفراهيدي الأزدي) وقد طبع بدمشق عام ١٩٦٣ م . وأنتم تعلمون أيها السادة أن هذا الجامع الصحيح هو عمدة الاباضية في الحديث ، لا يعدلون به شيئاً من كتب السنة والشيعة ، وأن لهذا الجامع شأنًا — وأي شأن — عند الباحثين ، لأنه لم يسلم لنا من كتب الخوارج الأولين غيره في بابه . وقد توفر التنوخي خريج الأزهر على تحقيق متن هذا الجامع وشرحه ، ووطأ له بمقدمة أرّخ فيها أولية تدوين الآثار والأخبار والأحكام عند المسلمين ، ثم أفاض في بدء تدوين الحديث وشرح رتب الصحيح من أحاديث الرسول والأنبياء الثلاثة ورجالها ، ومقام مسند الربيع بن حبيب ، وجلا ثلاثيات الربيع وكيف أن أحاديثها في مسنده من أصحابها رواية وأعلها سنداً ، وقد ترجم لرجال هذا المسند : أبي عبيدة التميمي وجابر بن زيد الأزدي والبحر عبد الله بن عباس . وجابر هذا هو — كما تعلمون — أصل المذهب الاباضي في عُمان والمغرب ومن أصحاب عبد الله بن عباس .

وكأن التنوخي كان يخشى أن يُرمى ' بنصرة المذهب الاباضي — وهو الجاهر بسنيته المعتز بها — ، فقال في مقدمة الكتاب : « وما آثرت تخريج أحاديث المسند والشرح ، ولا سيما مارواه الشيخان ، إلا لتطمئن قلوب اخواني أبناء السنة بأن مسند الربيع الذي بُني عليه المذهب الاباضي هو صحيح الأحاديث ، وأكثرها مما جاء في الصحيحين ، وجابر بن زيد ممن روى عنهم البخاري وغيره ، ليكبل يقيم الناظر في هذا الكتاب فيما وقع

فيه خصوم الاباضية أو من لم يعرف حقيقة مذهبهم وعقيدتهم فيظنهم من الخوارج الغلاة .

أما تحقيق التنوخي لهذا الجامع الصحيح فيـدلّ على تمكن من علم الحديث قلّ في عصرنا من يضارعونه فيه ، فهو يقابل ما جاء فيه بكتب أهل السنة ويشرح وينقد ويترجم للرواة ويعدّل ويجرّح ، وقد يعدل إلى شيء من العربية يعينه على إيضاح الغامض وتقويم المناد .

ومن الطريف أن آخر تعليقة للتنوخي في هذا الجزء من الكتاب عادت به إلى ما اعتاده رفاقه وطلابه منه حين كانوا يسمعون أحاديثه الطلة الحلوة ، وأستمحكم العذر في تلاوة هذه التعليقة الأخيرة عليكم لصلّة ما فيها لبعض أعمال مجتهدكم ، ولتصويرها جانباً من جوانب الغزّ التنوخي رحمه الله . فقد جاء في تعليقه على شرح الحديث الشريف : « من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة » :

« يقول الشارح : نكّره (نكّر علماً في قوله : يلتمس فيه علماً) ليندرج فيه القليل والكثير ؛ فيضيف التنوخي : كما نكّر العلم في قوله تعالى : هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، ليكون شاملاً لجميع العلوم النافعة ، فليس مقصوراً على الفقه والنحو والصرف وحدها ، بل يطلق أيضاً على العلوم الرياضية والفيزياء والكيمياء وعلم الحيكّل (الميكانيك) وعلى كل علم يقوى به المسلمون والعرب ويعينهم على اختراع الأسلحة الحديثة الذريّة التي يقاتلون بها الأعداء من المستعمرين ، ويدافعون بها عن حوزة الوطن والدين ، وهل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ؟ صدق الله ؛ لا يستوي عالم وجاهل ولا دارع عالم وأعزل غافل ؛ ولو أن شاعرنا العربيّ الشدّاخ عاش في عصر العرب المسلمين هذا لقال :

أَبَيْنَا فلا نعطي السلاطينَ طاعةً ومستعمراً إلا الصُّروخَ المضرباً
ولا ننتضي هذا الحسام مجرداً ولا نرتضي ذاك الوشيح المقوِّماً

ثم يضيف التنوخي الجمعي : الصُّروخ وزن فعول هو الصاروخ الذي
يصعد بتضريم النار إلى السماء ، ويبتا الشدّاخ بن عوف الكناني ها :

أَبَيْنَا فلا نعطي مليكاً ظلاماً ولا سوقاً إلا الوشيحَ المقوِّماً
وإلاّ حساماً يبرقُ العينَ لمُحْه كصاعقةٍ في غيثِ مزنٍ تركبها .

هذا ولا أعلم أن للتنوخي كتباً أخرى نشرها في الحديث النبوي ،
ولكنه كان في أواخر أيامه معنياً بكتاب (الدلائل في غريب الحديث)
لقاسم بن ثابت السرقسطي ، فقد عرّف به في مجلة المجمع في مطلع العام
١٩٦٦ م في مقالة ضافية جميلة ، واشتغل بتحقيق الكتاب ، ولكن وافاه
الأجل قبل الفراغ منه . وقد عزم المجمع على إتمام تحقيقه ونشره .

وصفوة القول كان التنوخي حافظاً للكثير من الأحاديث النبوية ، واقفاً
على معانيها المستفادة منها عارفاً بمظانها ورواتها قادراً على تنخلها وتبيين
صحيحها من موضوعها .

وهذا جانب آخر يدل على فضل الفقيه واتساع آفاق علمه .

★ ★ ★

وبعد فما يجمل بي أن أجتزئ بالإلماع إلى آثار التنوخي وأغفل الحديث
عن صاحب هذه الآثار ، ولكن استيفاء هذا الحديث يشغل من وقتكم
فوق ما يتسع له صدركم ، فاسمحوا لي أيها السادة بأن أقصر على كلمات قليلات
أقولها في التنوخي المجدد والتنوخي الشاعر والتنوخي اللغوي .

★ ★ ★

مُعرف الأكثر من رجالاتنا في فاتحة عصرنا هذا بالمحافظة والوقوف عند ما وقف عنده المتقدمون فهم لا يميلون للتجديد إلا بقدر، ولا يرضون من الإصلاح إلا بما تشتد الحاجة إليه؛ ولئن غلبت نزعة التجديد — ولو إلى حد — عند بعض رجال السياسة والفلسفة والاجتماع والثقافة والفكر والأدب، فإن نزعة التجديد هذه كانت تطرق على استحياء وخفر أبواب اللغويين ولا تلجها إلا بحذر وتردد، تقدم رجلاً وتؤخر أخرى. وكانت دواعي الإصلاح والتجديد في بادئ الأمر وافرة غزيرة، ولكن عوامل البيئة المحافظة، وغلبة الثقافة التقليدية، والخشية من التردّي في موامي المنبت كانت تدعو إلى القصد في التجديد والتغيير، ومن أجل ذلك كانت صدور رجال اللغة مثلاً تخرج بتقبل الدخيل والمولّد، وتحجم عن مجازاة ما استنّته أبناء اللغات الأخرى في المستحدث من الألفاظ للدلالة على المستجدّ من المعاني. وتفسير ذلك عندي أن الأمة العربية كانت في مطلع هذا القرن في معركة حياة أو موت، وأن مقومات النصر في هذه المعركة لضمان بقاء الأمة كادت تنحصر يومئذ في الحفاظ على اللغة، فزوال اللغة مؤذن بزوال الأمة، وبقاء أبنائها بقاء لغتهم، فكانت صدور علمائنا تضيق بالمولّد والدخيل وتود الرجوع إلى المأثور الأصيل. فلما اطمأنت الأمة إلى وجودها وبقائها (أو لما خيّل لها ذلك) اتسمت صدور علمائنا، فرضوا بتسنية أبواب اللغة وبالاقتصاد فيها، وغدا علماءنا أقلّ زمناً وتصلباً، وأصبحوا أميل إلى التيسير والتجديد، وقد يختلفون في تعيين الحد الذي ينبغي لهم أن يقفوا عنده، وقد يغلو أحدهم فيجاوزه بأشواط أو يتصلّب بعضهم فلا يبلغه إلا من بعد، ومردّ ذلك اختلافهم في التقدير وتباعد نظرتهم في الأصلح والأمثل.

وبروعنا أن نجد التنوخي — وقد ولد في القرن الماضي ونشأ نشأة أزهرية في بيئة دينية وتكوّنت ثقافته ونفسيته في هذه الفترة الأولى — يروّعنا أن

نجدّه ، عمره كله ، منادياً بالتجديد ، راضياً به ، داعياً له ، ما أعانه عليه إعداد الفكري وتفتحه الذهني وتقديره الشخصي ، فهو يقول مثلاً في واحد من أوائل كتبه وقد نشره في العراق عام ١٩٢٧ :

« وما زالت هذه الصناعة (صناعة الإنشاء) تتبع في تهذيبها وترقيتها سير العلوم وتكامل الصنائع حتى أوشكت أن تبلغ بين الفرنجة تمامها ، ونحن لم نزل على تركّة أسلافنا جامدين ، وسادّين أبواب الاجتهاد في الفقه بأنواعه : فقه اللغة وفقه البيان والتبيين وفقه الآداب الرفيعة وفقه الصنائع المفيدة وفقه السلم وفقه الحياة بحذافيرها أي فقه الدين والدنيا معاً . »

ويقول في مقدمة كتاب آخر أصدره بعد أكثر من ثلاثين سنة :
« ولو توقّر لسلفنا الصالح من وسائل دراسة الأصوات السمعية والآلية وعلم أمراض الكلام والاطلاع على اللغات السامية ومقارنة اللغات القديمة والحديثة كما توفرت لفقهاء اللغة في ديار الغرب في هذا العصر ، لرأينا من حلّ مشكلات الابدال واستبطان أمرار لغتنا العربية ما هو مقطع الصواب . »
ويقول في موضع آخر (مقدمة الابدال) :

« ثم ماذا كان علينا لو انتفعنا بأبحاث علماء التجويد الحديث Phonologie من الغربيين ، بعد أن نضجت على نار الاختبار مباحثهم الصوتية ...
... إن أساتذة اللغة المحدثين الذين كتب لهم الاطلاع على المباحث الصوتية الحديثة ودرسوا علم الأصوات اللغوية وتطور الأصوات في اللهجات العربية القديمة والحديثة ثم تابعوا سير الدراسات اللغوية في ديار الغرب وتطور أصوات الصبيان في مراحل النمو أو درسوا علم أمراض الكلام ، وأبحاث آفات اللثغات وأسباب حدوثها وطرق معالجتها هم لعمري أصدق نظراً في أحوال الابدال وأصح أحكاماً على نظائره وأقوى على حلّ مشاكله

واستبطن دخائله ممَّن لم يطلّع على غير فن التجويد أو بحث الفصاحة من كتب البلاغة أو آراء ابن جني وأتباعه وغيرها
ويقول في مقدمة كتاب آخر (مقدمة الإتياع) :
« ولقد آن لنا أن ندرس لفتنا العامة دراسة علمية .. »
كما يقول في مقدمة (الايضاح) :

« إن البلاغة العربية التي تشتمل على هذه الفنون الثلاثة (المعاني والبيان والبديع) إنما تبحث عن الجملة والصورة وهما شطر من الأسلوب الذي أغفلته بلاغتنا . والأسلوب لا تخلد الكتابة ولغة الأمة إلا به ، ولم تبحث معه عن الفكرة والعاطفة والخيال وعن قواها وأنواعها ، ولئن كانت الجملة والصورة قوام جسم البلاغة فالفكرة والعاطفة والخيال روح ذلك الجسم السويّ الجميل ، والتعبير المستوفي لشرائط الحسن إذا ما خلا من روحه أشبه التمثال الذي استوفى نحتة شرائط الإتقان ولكنه يظلّ معها جامداً بارداً لفقده الروح والحياة .

ثم إن هذه الفنون أو الفصول الثلاثة من البلاغة أنواعاً أدبية أخرى Les genres littéraires لها بها اتصال وثيق ، وبجملتها يتم بيان الإنسان كالوصف والخطابة والقصة والرسالة والبحث والمناظرة ، فلها بلاغات فنية خاصة ، وعسى أن نوفق يوماً لإتمام البحث عنها في رسائل أو كتب مستقلة تدل طالب البلاغة الإنسانية على أصولها وأساليبها وشرائط الإتقان والإحسان فيها . »

والتنوخي في كتابه (إحياء العروض) يشير الى النزعات الانتقادية في العروض وغلبة سلطان التقليد وتحكّمه في أصحاب هذا العلم ، وينعّي عليهم موادعتهم له ورضاهم به ، كما يجاهر بإنكاره على الجامدين جمودهم ويقول :

« والعلماء الاتباعيون لا يمدون ما تستحدثه الحاجة من فروع العلم علماً ،
ولذلك لا يعتبرون ما استحدثه الأندلسيون من الموشحات شعراً ، على أنها
أرق فنون الشعر العربي ، ومن أقوى الدلائل على حيويته وخلوده بتطوره ؛
وأمتنا العربية اليوم في حاجة حافية إلى هذه الأوزان الموسيقية ... »
هذه النية الحسنة في التماس الإصلاح ، وهذه الدعوة الصريحة إليه
هل وليتها عند التنوخي جرأة على العمل تعدل الجرأة على القول ، هل
حاول التنوخي أن يلج باب الاجتهاد والتجديد في فقه الدين والدنيا كما دعا
أكثر من مرة ؟

الحق أنه حاول التجديد والإصلاح ، وحاوله صادقاً ، ولكن البيئة
والنشأة والتربية كبحت جماحه وكبَلَّت يده وحَبَسَتْ قدمه ، فلم يقوَ على
السير إلى غاية الأمد وقنع ببلوغ القليل مما كان يدعو إليه . فهو في تجديده
العروض مثلاً لا يزيد على تغيير ترتيب بحور الشعر ، فيبدأ العروض بالتدارك
والتقارب ثم الهزج والوافر .. وهكذا دواليك حتى ينتهي بالمنسرح ؛ وهو
يثبت دوائر البحور ولكنه يذكر أقوال من نقدها . وقد يورد في الحين
بعد الحين (أحوطات) و (نظرات) ترجّح رأي ابن الحاجب أو الزجاج
أو الزمخشري على آراء آخرين من أقرانهم ، أو يجلو قرابة الخفيف والمديد
إلى الرمل ، أو المجتث إلى البسيط ، أو المضارع إلى المتقارب . وقد
يستشهد بما اختاره من شعر المحدثين ولكنه لا يمضي في الشوط إلى أبعد
من ذلك ، فلا يحاول مثلاً وضع علم جديد للعروض لا يقوم على أسس
الخليل ولكن على أسس من الدراسات الموسيقية والصوتية التي تيسرت لنا
اليوم ، ولا بدلي برأيه في هذا التحلل من الوزن الذي عاذ به الناشئون
من شعرائنا ، ولا يصرفهم عن هذا الذي يسمى (بالشعر الحر) بوضع
ما يرضيهم من قواعد طريفة مستحدثة سليمة مقبولة .

ويحاول التنوخي التجديد في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع) فيقنع بأن يقلب ترتيبها المأثور المؤلف فيقدم علم البديع ثم يثنّي بالبيان ويختّم بالمعاني ، ويضيف إلى شواهد (الإيضاح) تمرينات اختارها مما حفظ أو مما نظم ؛ أما إنجاز ما وعد به من التأليف في (البلاغات الفنية) وأساليب إتقانها فلم يقيّض له الوفاء به .

والتنوخي يدعو إلى دراسة اللغة العامية دراسة علمية ، وهي دعوة جريئة لايزال الكثيرون يُصمّون آذانهم دونها ، ويرمون دعاها بنجث النية وسوء الطوية ، كما يدعو التنوخي إلى الانتفاع بما جاء به علماء الصوت ومقارنة الألسن لتجديد البحث في العربية ، ولكنه في هذا المجال لاينطلق بمبدأ ، ولا يزيد على شرح بعض الفصح بما يقابلها من العامية ، أو مضارعة الألفاظ الدارجة بالألفاظ الصحيحة ، ثم يقف عند هذا لايعدوه .

والحق أن التنوخي كان فيما يدعو إليه من التجديد حذراً متأنياً ، وكان فيما يأخذ به منه أكثر حذراً وحيلة ، لم يكن يصدر في هذا الحذر والحيلة عن مصانعة أو مداواة ، وإنما كان يخشى استبهام الحجّة وخفاء نهاية المطاف . ولخَيْرُ ألف مرة أن نسير الهويني ولكن على بصيرة ويقين من أن نلقي بأنفسنا في مجاهل لانعرف صيورتنا فيها .



إلى جانب التنوخي المجدّد يمكن أن تقال كلمة في التنوخي الشاعر . وقد أدرك أبناء جيلنا أباقيس يعلو المنابر وبلقي الشعر بصوته الجمهوري الرفيع ، وقرأ الكثيرون شيئاً من النظم الذي كان يطالع به الناس بين الحين والحين . ولكني لا أعلم أن شعره جمع في ديوان برأسه . وقد يجد المتبّع لآثار فقيدنا في الصحف والمجلات والكتب شعره على ضربين : مقطعات

وقصائد ، أما المقطعات القصيرة فتناز بسلاسة أسلوبها وجمال نكتتها وخفتها على اللسان وعلوها بالحفظ ، فمن ذلك قوله وقد نقل مقر عمله إلى دمشق من السويداء بعد أن ضاق ذرعاً بمقامه فيها :

الحمد لله الذي أنقذني ولم أصب
وردني بلدي (وسلي بلا عنب)

ومثال ذلك ما كان يكتبه أو ينشده لإخوانه أو يرتجله لمناسبة عرضت أو نكتة حضرت . وكثيراً ما كان ينثر بعض المقطعات في كتبه ولا سيما في أجزاء تهذيب (الايضاح) و (إحياء العروض) ، فهو يؤلف مقطعة لكل من ضروب الوجوه البديعية والبيانية والأعاريض والأضرب الشعرية . وإلى جانب هذه المقطعات القصيرة قصائد يحرص التنوخي فيها على قوة الحوك وشدة السبك ومتانة الأسر وسمو الغرض . ومثال هذه القصائد ما قاله إبان الثورة السورية عام ١٩٢٥ وقد قذف المستعمر المدن والقرى بقنابل المحرقة الفاتكة وقتل الرجال ومبى النساء ومثل بالأطفال :

قف في المنازل نادياً أطلالها ماذا يفيدك أن تطيل سؤالها
قد أحرقت عمداً دمشق فلم تعد تصف الجميلة الورى وجمالها
النار تظمرها العشية وابلأ والملج ويل الملج جاس خلالها
يارب آمنة هناك بسرهما تغدو لتصلح دارها وعيالها
برزت تصيح وشعرها متفرق سترت به حذر العيون جمالها
وهناك نائحة تنوح لبعليها الـثاوي وتندب بعده أطفالها
الله للأطفال كيف غدت لقي صرعى القنابر بعثرت أوصالها
تشجيك أيدي صبية بثرت وأر جلا ثرن يمينها وشمالها

والتنوخي قصائد وطنية واجتماعية كثيرة كقصيدته التي قالها في الجامع الأموي بدمشق عام ١٩٤٥ يستنهض الهمم لجهاد الفاصب والمحتل ، أو قصيدته في العيد الألفي للمنتبي . على أن من أجمل شعره ما كان ينشده في الإشادة بالدروز بني عمه ، ومن ذلك قوله :

سل الوغى عن تنوخ فهي تعرفهم من كل أروع في الهيجاء مشهود
تسلسل الملك فيهم قبل ذي وزن إلى المناذرة الغرّ الأماجيـد
أهل السدير وأصحاب الخورنق والـ خيل السوابق والمهربة القود
أبناءؤهم في ذرى لبنان تملكهم صباة بالعلى لا الخردّ الفيد
ولم تزل بحمي الفيحاء هابطة بقية السيف منهم والصناديد
عصاة لو رأى حسان طلعتهم لقال قول امرئ بالحق مهبود
هذي وجوههم هذي أنوفهم الأبيض والشمّ ما شيّ بمفقود



جانب آخر من جوانب حياة التنوخي الخصب : انتوخي اللغوي . وقد يعفّي الزمن على تصانيف فقيدنا في الأدب والشعر والنقد ، وقد تنسّر الأجيال القادمة لصنيعه في مضامير البلاغة والحديث والعلوم ، ولكن مستنقضي أعوام وأعوام قبل أن تُنسى آثار التنوخي في ميدان اللغة .

لقد أحب علامتنا لغته وافتتن بها وسمى في إحياؤها منذ صباه إلى يوم لقي وجه ربه ، حافظ على تراثنا اللغوي وحقّق منه ما استطاع وعلق عليه ونشره نشرًا علميًا ، ودعا إلى التآزر في بعثه وحثّ على التكاتف في الإفادة منه ، ثم حاول جاهدًا أن يجبّب العربية إلى الناشئة فعمل على تقريبها إلى أفهامهم وتيسيرها على أعلامهم وترويض ألسنتهم بها ، وحضّ على اصطناعها في الدار

والمدرسة في الجامع والمجتمع في الجدل واللاه في السراء والضراء ، وكان القدوة الصالحة لهم في هذا كله .

وقد أعانه على ذلك حافظة واعية وذوق مرهف واطلاع واسع وصبر على الدرس لم يؤتته غيره ، وقد راعني عندما كنت في الظاهرية أن التنوخي أشار بخط يده على المخطوطات التي قرأ فوجدتها تتجاوز المئين عدداً وأكثرها عسير القراءة عدا الزمان على ورقه وخطه وحمل قارئه عناءً وعتلاً لا يحتمله إلا أولو العزم من عشاق العربية المخلصين لها ولأبنائها .

وقد وضع التنوخي لأبناء هذا العصر الكثير من المصطلحات الجديدة شاع بعضها وذاع ، والتزمه الناس في دنيا العروبة كلها قاصيها ودانيها . نظر يوماً في الدراجة وأحصى أسماء أجزائها بالفرنسية ثم وضع لكل من هذه الأجزاء كلمة عربية سائغة ونشرها في مجلة دمشقية وعاش بعض هذه المصطلحات وتناقلها الناس ونسوا من وضعها لهم .

وقبل ذلك عندما كان في العراق وترجم كتاب (فرنان ماير) عربّ كلمة Physique بـ (فيزياء) كما صنع أسلافنا عندما وضعوا كلمة (كيمياء) على وزن ميمياء ، وهي - كما يقول التنوخي - أدق علمياً من كلمة (الطبيعة) التي تشمل علوم الأرض والسما ، وأخص من (الحكمة) أو (الفلسفة الطبيعية) . وقد انتشرت كلمة (الفيزياء) على ألسنة الناطقين بالضاد في المشرق والمغرب .

وقد شارك أبو قيس في لجنة كان على رأسها الأستاذ المرحوم الأمير مصطفى الشهابي كلفت ترجمة المصطلحات العسكرية بمصطلحات عربية سائغة ، فقامت اللجنة خير قيام بما وكل إليها ، وأخرجت للناس معجمين اثنين قيمين تستأنس بهما اليوم جميع الجيوش العربية وترضى أكثر ما وضعه التنوخي وصحبه من مصطلحات .

م (١٩)

وقد وضع المجمع - والتنوخي من أوائل أعضائه - في مطلع تأسيسه مصطلحات كثيرات فصيحات عرفناها وأليفناها اليوم ، ولولا التنوخي ورفاقه لكانت ألسنتنا ترطُن - في أغلب الظن - بما جرى على ألسنة آبائنا منها كالجرنال والكزيطه والدركنار واستاتيتستيق ورابور وبول وقوجان وماصه وقاصه وقومسيون ودوسيه وغيرها وغيرها .

كان التنوخي رحمه الله يحرص على ألاّ تستبدل العربية الخبيث الأعجمي بالطيب من كلها أو صيغها ، وقد كرر الدعوة في آخر مقالة كتبها قبيل وفاته إلى تغليب (تلفاز) على (تلفزيون) إذ أن إقحام أمثال هذه الكلمة بصيغتها الأعجمية سيضعف شأن اللغة ويدخل الضيم على شخصيتها وعبقريتها - وسيمحو خصائصها التي انفردت بها ورُكبت عليها .

وقد وضع التنوخي ألفاظاً كثيرة رشيقة البنية صحيحة التركيب خفيفة على اللسان ، ولكن لم يتح لكلها الذبوع ، فقد اقترح مثلاً (المكيني) لما نعر عنه اليوم بـ (الميكانيكي) فلم تشع وإن كنا نحار اليوم في التعبير عن معناها ، ووضع كلمة (الأصولي) ترجمة لـ (كلاسيكي) و (مكفل) لـ (بانسيون) ومصطلحات أخرى كثيرة .

ولم يقنع التنوخي باللفظ الفصيح الصحيح يستعمله ويدعو إليه ، وإنما كان ينشر أيضاً الأسلوب الأصيل القويم ، ويدلّ على ما تسرّب إلى آثار كتاب عصره من تراكيب قد تكون مفرداتها - متفرقة - سليمة قوية ، ولكنها في مجموعها وتأليفها ضعيفة سقيمة ، كقولهم : رحنا صباحاً .. وفصيحتها غدونا صباحاً ، أو : فعابه الأستاذ على كسله ، وصحيحها : فعاب الأستاذ كسله ... والتنوخي في هذا يجاوز دائرة العالم اللغوي إلى حيز البياني البلاغي فيقول مع صاحب (المثل السائر) : إن أسرار الفصاحة

لا تؤخذ من علماء العربية ، وإنما تؤخذ منهم مسألة نحوية أو صرفية أو نقل كلمة لغوية وما هو من هذا الجرى ، أما أسرار الفصاحة والعلم بالموسيقى اللغوي فلها قوم مخصوصون بها .

وبعد فمراد القول في التنوخي رحب نسيح ، ولكن صبركم على حديثي لن يتسع لأكثر مما قدّمت ، فلأجتزئ به ولأتوجه في الختام بالحمد أصدقيه وأصفاه ، والشكر أوفره وأوفاه ، إليكم وإلى الزميل الكريم الدكتور عدنان الخطيب فقد أسبغ عليّ من الثناء حلة زاهرة لا تليق إلا بفضله ، وفوقها بألوان زاهية أخذها من كريم نبله ، ولملّني أبلغ في مقبل الأيام بعض ما شام فيّ من كفاية وما نوسم من اجتهاد .

« ربِّ هب لي حكماً وألحقني بالصالحين واجعل لي لسان صدق في الآخرين . »

والسلام عليكم ورحمة الله .

عبد الرهادي هاشم

٦٩/٤/٢٤



حول التأثيل اللغوي

ظاهرة في المعجم العربي

مقدمة بالدراسة

(مادة الباء في ترتيب الصحاح ، تشتمل على أكثر
مواد المعجم التي يدخل الماء عنصراً في تعريفها)

- ٤ -

ع ز ب عَزَبَ : غَابَ ، وَأَعَزَبَ : بَعُدَ ، وَعَزَبَ بِمَا شِئَتْهُ : بَعُدَ
بِهَا يَتَّبَعُ مَسَاقِطَ الْغَيْثِ . الْعَازِبُ مِنَ الْكَلَالِ : الْبَعِيدُ الْمَطْلَبُ
وَأَرْضٌ عَزُوبَةٌ : بِحَرَاءٍ قَلِيلَةِ الْكَلَالِ .

ع ص ب الْعَصْبُ : مَاءٌ الْفَحْلُ .
الْعَسْقَبَةُ : جَمُودُ الْمَيْنِ فِي وَقْتِ الْبُكَاءِ .
عَسَنْبَتُ الْمَاءِ : ثَوْرَتُهُ .

ع ش ب الْعُشْبُ : الْكَلَاءُ الرُّطْبُ .
وَعَشِبَ الْخُبْزُ : يَبِسَ .

ع ص ب الْعَصْبُ : شِدَّةٌ فَخِذِي النَّاقَةِ لِتَدْرِ الْبَنَ كَالْعِصَابِ ،
وَنَاقَةٌ عَصُوبٌ : لَا تَدْرِ إِلَّا بِالْعَصْبِ .

وَالْمَصْبُ : جَفَافُ الرِّيقِ ، وَعَصَبَ الْمَاءُ : لَزِمَهُ .
وَالْمَعْصُوبُ : الْجَائِعُ الَّذِي كَادَتْ أُمْعَاؤُهُ تَيْبَسُ جَوْعاً .

ع ط ب العَوْطَبُ : لُجَّةُ البحر ، أو أعمق موضع فيه ، أو المطمئن بين الموجتين .

ع ظ ب عَظَبَ الجلد إذا يَبَسَ .

ع ق ب العُقْبُ : نُوبُ الوَارِدَةِ ، ترد قطعة فتشرب فاذا وردت قطعة بعدها فشربت فذلك عُقْبَتُهَا ، والعِواقِبُ الإبلُ تشرب الماء ثم تعود إلى المَعْطِنِ ثم إلى الماء .

وَأَعْقَبَ مستعيرُ القِدَرِ : ردّها وفيها العُقْبَةُ ، وهي مَرَقَةٌ تَرَدُّ في القِدَرِ .

العُقَابُ : مسيلُ الماء إلى الحوض ، والحَجَرُ يقوم عليه السَّاقِي ، وحَجَرٌ نَاقِيٌّ في جوف البئر ، والرجُلُ الذي ينزل في البئر فيرفعها يسمى المُعَقِّبُ .
انتعاقب الورْدُ مَرَّةً بعد مَرَّةٍ .

ع ك ب عَكَبَتِ القِدَرُ : ثار عُكَابُهَا . والعُكَابُ : البُخَارُ وشِدَّةُ الغليان .

ع ل ب عَلِبَ النباتُ : جَسَأَ (أي صَلَبَ) . واستعلبت الماشية البَقْلَ : أَجْمَتْهُ واستغلظتْهُ إذا ذَوِيَ .
عَلَبَ : غَلِظَ وصلب ولم يكن رخصاً . والمكان العَلِبُ : الغليظ من الأرض الذي لو مطبر دهرأ لم يُنْبِتْ خضراء .
والعَلَبُ : الصَّلابةُ والشِدَّةُ والجُسُوءُ .

المُثَبَّةُ : مُحَلَّبٌ من جلد أو خشب يحلب فيه ؛ أو هي جِلْدَةٌ تُؤْخَذُ من جَنْبِ جِلْدِ البعير إذا سُلِّخَ ، يُعَلِّقُهَا الرَّاعِي أو الرَّاكِبُ فيَحْلُبُ فيها أو يَشْرَبُ بها .
عَلْبِيَّةٌ : مُؤَبَّهَةٌ في بلاد أسد .

- ع ن ب العُنْبَبُ : كَثْرَةُ الماء ، ومن السَّيْل : مُقَدَّمُهُ .
 العُنَابَةُ : ماءٌ في ديار بني كلاب .
 عُنْكَبُ : ماءٌ بِأَجَاٍ لبني فَرِير بن عُنَيْن .
- ع ي ب عَابَ السِّقَاءُ : خَشُرٌ مَا فِيهِ مِنَ اللَّبَنِ . والعَائِبُ : الخَائِرُ .
- غ ب ب غَبَّ : شَرِبَ غِيًّا كَالغُبُوبِ . والغِيبُ : وَرْدُ يَوْمٍ وَظِيمٌ آخِرُ .
- الغُبُّ : الضَّارِبُ مِنَ الْبَحْرِ حَتَّى يُمِيعِنَ فِي الْأَرْضِ .
 الْغَيْبَةُ : الرَّائِبُ مِنَ اللَّبَنِ .
 الْمُغْبَبَةُ : الشَّاةُ تُحْلَبُ يَوْمًا وَتَتْرَكَ يَوْمًا .
 وَمِيَاهُ أَغْبَابٍ : بَعِيدَةٌ . يُقَالُ مَاءٌ غَبٌّ أَيُّ بَعِيدٌ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ :
 غَبَّ السَّلَامُ .
- الغَيْبُ : الْمَسِيلُ الصَّغِيرُ الضَّيِّقُ .
 غَثَلَبَ الْمَاءَ إِذَا جَرَعَهُ جَرْعًا شَدِيدًا .
- غ و ب الْغَرَبُ : الرَّأْوِيَّةُ الَّتِي يَحْمِلُ عَلَيْهَا الْمَاءُ ، وَالذَّلْوُ الْعَظِيمَةُ ،
 وَمَسِيلُ الدَّمْعِ ، وَكَثْرَةُ الرَّبِقِ ، وَيَوْمُ السَّقْيِ ، وَأَعْلَى الْمَاءِ
 أَوْ هُوَ الْمَاءُ نَفْسَهُ الَّذِي يَقْطُرُ مِنَ الذَّلْوِ بَيْنَ الْبَرِّ وَالْحَوْضِ ،
 وَغَوَارِبُ الْمَاءِ أَعَالِيهِ أَوْ أَعَالِي مَوْجِهِ .
 أَغْرَبَ الْحَوْضَ وَالْإِنَانَا : مَلَأَهُمَا .
- غَرَّبُ : اسْمُ جَبَلٍ أَوْ اسْمُ مَاءٍ عِنْدَهُ ، وَكَذَلِكَ غُرْبَةٌ .
- غ س ب غَسَنَبَ الْمَاءَ : ثَوَّرَهُ وَهَيَّجَهُ .
- غ ض ب مَكَانٌ غَضْرَبٌ وَغَضَارِبٌ : خِصْبٌ ، كَثِيرُ النَّبْتِ وَالْمَاءِ .

غ ي ب الْغِيَابَةُ فِي الْأَصْلِ : قَمَرُ الْبَرِّ ، ثُمَّ ثَقُلَتْ لِكُلِّ غَامِضٍ خَفِيَ .

هَدِيَّةٌ مَجْمَعُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِالتَّعَاوُنِ مَعَ شَبَكَةِ الْأُلُوكةِ

www.alukah.net

ق أ ب قَابُ الماء : شَرِبَهُ ، أو أَكثَرَ مِنْ شُرْبِهِ أو تَمَلَّأَ مِنْهُ .

ورجلٌ قَوُوبٌ : كثيرُ الشُّرْبِ .

إناءٌ قَوُوبٌ : كثيرُ الأخذِ للماءِ .

ق ب ب قَبَّ النَّبْتُ يَبِسُ . وَقَبَّتِ الرُّطْبَةُ : جَفَّتْ .

القَابَةُ : القَطْرَةُ مِنَ المَطَرِ .

ق ر ب قَرَبَ وَقَرَّبَ وَأَقْرَبَ : سارَ إِلَى الماءِ أو كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الماءِ

لَيْلَةً . والقَرَبُ : طَلَبُ الماءِ لَيْلًا ، أو أَنْ لَا يَكُونَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ

الماءِ إِلَّا لَيْلَةً ، أو هُوَ اللَّيْلَةُ الَّتِي تَرُدُّ فِي صَبْحَتِهَا الماءُ .

القَارِبُ : طَالِبُ الماءِ لَيْلًا ، أو طَالِبُ الماءِ . والحَمَارُ القَارِبُ الَّذِي

يَقْرَبُ القَرَبَ ، أَي : يُعَجِّلُ لَيْلَةَ الوُرُودِ ، وَمِنْهُ

السَّفِينَةُ الصَّغِيرَةُ .

قَرَبَ : طَلَبَ ، والأَصْلُ فِيهِ طَلَبُ الماءِ ، ثُمَّ اتَّسَعَ فِيهِ ،

فَقِيلَ فِيهِ : فَلَانٌ يَقْرُبُ حَاجَتَهُ ، أَيِ يَطْلُبُهَا . والقُرْبَانُ :

مَا يُتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، أَيِ يَطْلُبُونَ القُرْبَ مِنْهُ بِهَا .

القَرَبُ : البَيْتُ القَرِيبُ الماءِ .

القِرَابُ : الدُّلُوقَارِبُ أَنْ يَمْتَلِئَ ؛ وَإِنَاءٌ قَرَبَانُ : قَارِبُ الامْتِلَاءِ .

وَأَقْرَبْتُ القَدَحَ : إِذَا قَارَبَ أَنْ يَمْتَلِئَ .

القَوْرَبُ : الماءُ لَا يَطْأُقُ كَثْرَةً . وَظَهَرَ تَقَرُّبَاتُ الماءِ ،

أَيِ : تَبَاشِيرُهُ .

قُرْبِي : ماءٌ قُرْبَ تَبَالَةٍ .

عمر ناه الخطيب

(يتبع)



الرُّبَاعِيَّاتُ والمَثْنِيَّاتُ

قرأت في الجزء الرابع من المجلد الثالث والأربعين من هذه المجلة البارة رأياً الأستاذ الدكتور الحقق عمر موسى باشا عنوانه « الرباعيات أو الدوبيتات » استمدرك به على الأستاذ الدكتور الحقق علي جواد الطاهري في هذا الفن من فنون النظم وتسميته ، وقد رأيت فيه بعض النقصان في البحث فوددت إتمامه :

إن « دوبيت » اسم مركب من كلمتين فارسية هي « دو » بمعنى اثنين ، و « بيت » العربية ، فمعناه « بيتان » فتسمية الدوبيت « الرباعيّة » أو « الرباعي » وإن كانت شائعة متداولة ، مخالفة للمعنى الأصلي الفارسي وموافقة للاصطلاح الذي شاع في دنيا العرب الأدبية ، لأنها استندت إلى « الأَشْطَر الأربعة » لا إلى البيتين ، ولا مُشاحّة في الاصطلاح .

والظاهر لي أن الرباعيّة لم تكن تسمّى دائماً في فنون العرب النظامية هذه التسمية بل كانت تسمّى أيضاً « المَثْناء » وتجمع على « المَثْنِيَّات » وهي التسمية الأصلية الحقيقية ، قال الجوهري في ثنى من الصحاح : « وفي الحديث : من أشرط الساعة أن توضع الأخيار ، وترفع الأشرار وأن تُقرأ المَثْناء على رؤوس الناس فلا تُغيّر . يُقال هي التي تسمّى بالفارسية (دوبيتي) وهو الغناء . قال (١) أبو عبيد يذعب في تأويله إلى غير هذا . وورد في مختار الصحاح قول مؤلفه : « قلت : ذكر في التهذيب أن الحديث

(١) هكذا ورد الفعل في طبعة بلاد العجم وهو تصحيف « كان » بدلالة ما ورد في طبعة أخرى ومختار الصحاح .

عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنها - وفسره لما سُئل عنه بما استُكتب من غير كتاب الله تعالى ، وقال أبو عبيدة : قيل إن الأخبار والرهبان بعد موسى - عليه السلام - وضموها كتاباً فيما بينهم على ما أرادوا من غير كتاب الله تعالى فهو المثناة (١) ، فكأن عبد الله بن عمر - رضي الله عنه - كره الأخذ عن أهل الكتاب ولم يُرد به النهي عن حديث رسول الله - ﷺ - وسنته ، وكيف ينهى عن ذلك وهو من أكثر أصحابه حديثاً عنه ؟ ! وجاء في الفائق للزخشمري « ابن عمر - رضي الله تعالى عنها - من أشراط الساعة أن توضع الأخيار وترفع الأشرار وأن تقرأ (المثناة) (١) على رؤوس الناس لا تغيّر . قيل : وما المثناة ؟ قال : ما استُكتب من غير كتاب الله . قيل : هو كتاب وضعه أحبار بني إسرائيل بعد موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام على ما أرادوا من غير كتاب الله الذي أنزل عليهم أحلّوا فيه ما شاؤوا وحرّموا ما شاؤوا على خلاف الكتاب وقد وقعت إلى ابن عمر كتب يوم اليرموك فقال ذلك لمعرفته بما فيها (٢) . وذكر المبارك بن الأثير مثل ما ذكر الزخشمري » وذلك في النهاية وأضاف إليه ما أثر الجوهري في الصحاح من كون « المثناة » الدويقي وهو الغناء .

والذي يهمنا من هذه الأخبار في هذا البحث حاقّ الإهام هو أن « المثناة » الدالة على الاثنين 'تقابل' « الدويقي » أي البيتين ، وأنها كانت تُنقّش

(١) الصحيح أنها « إيشنة أو المشنا » بالسين المعجمة وأشهرها « مشنة يهودا بن شمعون الثاني أو الناسي » ١٣٥ - ٢٢٠ م ، وهي جبهة تفاسير التوراة في الزراعة والأعياد والزواج والطلاق والجنائيات وللعاملات والعقوبات والمفدسات وغيرها من رحلة بنيامين (ص ٧٣) وغيرها . وهي الآن تقرأ على رؤوس الناس بقيام دولة إسرائيل كما جاء في الحديث ، فهل ظهرت أشراط الساعة ؟

(٢) الفائق ١ : ١٥٩ طبعة دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة ١٣٦٤ = ١٩٤٥ .

ولشيوخ الفناء بها سميت « غناء » أما حقيقة الاسم اللغوية فلا تفيد الفناء البتة ، و « الدوبيتي » تصحّف في لغة العامة إلى « الذوييت » بالذال المعجمة ، قال المحبي : « وقد اشتهر بأعجام داله وهو تصحيف وهو ثلاثة أقسام يكون بأربع قواف كالمواليات وأعرج بثلاث قواف ومردوف بأربع أيضاً وكله على وزن واحد (١) . والدوبيتي أو الذوييت أو الذوييت القديم لا يزال يُغنى عند عوام العراق الجنوبيين ، وقد اعتراه القلب المكاني بعد التصحيف ، فصار الذوييت إلى « البوذيت » ثم صار « البوذيت » بتشديد الياء ومنهم من يسميه « الأبوذيت » وقد حارت الظنون واختلفت في أصلها ، وهو ما اهتمت إليه ، ولا يصح الالتفات إلى غير هذه الحقيقة ، من مختلقات الأوهام ، و « البوذيت » من وزن الوافر « مُفَاعَلَتُنْ مُفَاعَلَتُنْ فَعُولُ » ولحنها مُحْزَن يشبه البكاء ، وتحتوي على الندبة أو النسب أو آلام النوى والفراق ، وما أشبه ذلك ، وأقبل الأمور عندنا التغني بها في الأفراح .

وقد اخترع الفرس دوبيتاً جديداً على وزن « لا حول ولا قوة الا بالله » ومن أربعة مصاريع أيضاً ، وهو الذوييت الذي شاع في أوائل القرن السادس للهجرة أو أواخر القرن الخامس في دنيا العرب الأدبية ، وذكره المرجوة له الرحمة الأديب الكبير مصطفى صادق الرافعي في كتابه في تاريخ أدب العرب (٢) ، وبعد أن فسر اسمه المركب قال : « وقد أخذه أدباء العرب عن الفرس ويعرف عندهم بالرباعي واختصّ بالاجادة فيه بعض شعرائهم كعمر الخيام ... ولا نعرف أول من استعمل هذا النوع في العريّة ولكن نشأته كانت في بغداد ... ونحن نرجّح أنّ هذا النوع لم يكن في

(١) خلاصة الأثر « ٢ : ٢٥١ طبعة القسطنطينية سنة ١٢٩١ » .

(٢) تاريخ آداب العرب « ٣ : ١٧٢ طبعة مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٣٥٩ = ١٩٤٠ » .

العربية قبل القرن السابع لأننا لم نجد في شعر أحد قبل ذلك الزمن ولا وجدنا إشارة إليه ، ولم نجد للشعراء ولماً به إلا في أواخر تلك المائة وما بعدها ، والرابعي يُبعد من المخترعات الحديثة في اللغة الفارسية لأن أول من وضعه أبو سعيد بن الخير المتوفى سنة ٤٦٥ وبعضهم يقول إنه كان موجوداً قبل ذلك ولا يرجع اختراعه إلى تاريخ معين ، غير أن ممّن عرفوا بنظمه أبا جعفر رودكي^(١) الشاعر المتوفى سنة ٣٠٢ حتى أفتنّ فيه الخيام وأجاده فاشتهر بما نظمه فيه شهرة بعيدة لأنه ضمّنه أفكاراً سامية وانتقادات مرّة ثم أقبل الأدباء عليه من بعده « وبعد تقط ثلاث جاء قول الرافعي : » وقد عارضها في العربية سديد الدين الأنباري ، كما ذكر صاحب خلاصة الأثر (٤ : ٣٩٠) ولم يقع لنا شيء من رباعيّاته . وللدوبيت وزن واحد وهو فَعْلُنْ (بسكون العين) مُتَفَاعِلُنْ (وتارة يغيّر إلى متفاعيلن) فَعْمُولُنْ فَعْمُولُنْ (بتحريك العين ومسكونها) وأمثله (٢) كثيرة .

(١) الصحيح « الرودكي » بالتعريف والذال المعجمة المفتوحة بعد الراء المضمومة والواو المسكنة قال السمعاني في الأنساب : « الرودكي ... هذه النسبة إلى روذك ناحية بمرقند وبها قرية يقال لها مسح (؟) وهذه القرية قطب روذك وهي على فرسخين من سمرقند ، والمشهور منها الشاعر المليح القول بالفارسية الساثر ديوانه في بلاد العجم أبو عبد الله جعفر بن محمد بن حكيم بن عبد الرحمن بن آدم الرودكي الشاعر السمرقندي كان حسن الشعر متين القول . قيل أول من قال الشعر بالفارسية هو ، قال أبو سعد الادريسي الحافظ : « أبو عبد الله الرودكي كان مقدماً في الشعر بالفارسية في زمانه على أقرانه ... وكان أبو الفضل البلعي وزير إسماعيل بن أحمد والي خراسان يقول : ليس للرودكي في العرب والعجم نظير . ومات بروذك سنة ٣٢٩ » . قلت لا نشك في أن أبا الفضل البلعي كان شعوبياً فقال ما قال .

(٢) قوله « وأمثله كثيرة » متناقض السكمتين لأن « أمثلة » جمع قلة و « كثيرة »

وقد ظهر للقارىء الكريم أن في تاريخ وفاة الروذكي الذي ذكره الرافعي أو ذكره من بعده غلّت في السنين ، أما المعارض العربي للرباعيات الفارسية فهو «سديد الدولة» لا سديد الدين ، كما جاء في خلاصة الأثر ونقله الرافعي ، قال الذهبي : «محمد بن عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم بن رفاعة الشيباني سديد الدولة ابن الأنباري ، كاتب الانشاء بالديوان العزيز ، له معرفة بالأدب والشعر والترسل ، بقي بديوان الانشاء نحو خمسين سنة ويؤنب في الوزارة ، ونُفّذ رسولاً إلى الشام وخراسان وكان محموداً إذا رأي وتدير ، وكانت بينه وبين أبي محمد القاسم بن علي الحريري رسائل وقد دُوّنت . سمع عبد الله بن أحمد ابن السمرقندي وهبة الله بن الحصين وروى عن أحمد بن محمد الخياط وأبي عبد الله محمد بن نصر القيسراني من شعرهما . سمع منه أحمد بن صالح بن شافع وعلي بن أحمد الزبيدي والمبارك ابن عبد الله بن النقور وعبد المحسن بن خطّاح الأميري . توفي سنة ثمان وخمسين وخمس مئة وشيعه الوزير والأكابر . عاش نيّفاً وثمانين سنة (١) . وقال ابن الديلمي مؤلف أصل المختصر : «وذكر صدقة بن الحسين النامخ في تاريخه أن سديد الدولة ابن الأنباري توفي ما بين الظهر والعصر من يوم الاثنين تاسع عشر رجب سنة ثمان وخمسين وخمس مئة ووصّاه عليه يوم الثلاثاء بجامع القصر الشريف وحضر الصلاة عليه الوزير يحيى بن هبيرة [الحنبلي] وأرباب المناصب ودُفن بالجانب الغربي بالمشهد - يعني مشهد الإمام موسى [بن جعفر الصادق] - رحمة الله عليه - وكان من مشايخ الدولة القدماء ، وكان سنّه دون التسعين بسنة أو سنتين ، وكان فيه فضل وأدب .

(١) المختصر المحتاج إليه من تاريخ الحافظ أبي عبد الله ابن الديلمي « ١ : ٧٣ ، ٧٤ » ، طبعة المجمع العلمي العراقي سنة ١٣٧١ = ١٩٥١ .

وقال غيره : مولده يوم الاثنين سادس ذي القعدة سنة سبعين وأربعمائة - رحمه الله وإيانا - (١) .

وكنْتُ قلتُ في التعليق على ترجمته في « المختصر المحتاج إليه » ، ما هذا نصه « ترجمه العماد في الخريدة (نسخة باريس ، الورقة ٧) وابن الجوري في المنتظم ١٠ : ٢٠٦ وابن الأثير في حوادث سنة ٥٥٨ وغيرها لأنه كان من كبار رجال الدولة العباسية وقضى عمره في خدمتها مخلصاً ، وله ذكر كثير في التواريخ والظاهر أن القبور التي كانت في الكاظمية المعروفة بقبور الأنباريين كانت له ولأبنائه على ما نصت عليه التواريخ من موضع دفنهم ، (٢) . ثم نشر الجزء الثالث من « الوافي بالوفيات » للصفدي سنة ١٩٥٣ بدمشق وفيه ترجمته « ص ٢٧٩ » وفي سنة ١٣٧٥ = ١٩٥٥ نشر المجمع العلمي العراقي الجزء الأول من خريدة القصر للعماد الاصبهاني الكاتب بتحقيق الأستاذ الكبير محمد بهجة الأثري ، وفيه ترجمته « ص ١٤٠ - ١٤٤ » قال العماد : « وترددت إليه ببغداد وما كان يتعاطى الشعر تغانياً عنه وكنْتُ أهابه وأكبره من أن أستنشدته ، لكنني أثبتُ من شعره البيتين والثلاثة على حسب ما أنشدتها فمن ذلك رباعياته الخالصة للخلب ، السالبة لللب فمنها (٣) :

يا قلبُ إلام لا يُفيد النصحُ دع مزحك كم هوى جناء المزح ؟ !
ما جراحة منك خلاها جرحُ ما تشعر بالخمثار حتى تصحو

(١) ذيل تاريخ بغداد « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٥٩٢١ الورقة ٧٤ والورقة ٧٥ » .

(٢) المختصر المحتاج إليه « ١ : ٧٣ » .

(٣) ذكر هذا الرباعي أو هذه الرباعية الصفدي في الوافي بالوفيات « ٣ : ٢٧٩ ، ٢٨٠ » .

ومنها :

الدهر يعوقني عن الإلمام مع ما (١) أُنِّي إلى التصابي ظام
لا تأخذني بما جنت أيامي ما ذنب السهم حين يخطي الرامي؛!

ومنها :

ياريح تحملي من المهجور شكواه إلى المعسكر المنصور
قولي لمعدّبي شبيه الحور ما أنت عن الجواب بالمعذور
ثم ذكر له من رباعياته :

الآن وما روضه العمر فدي لا تخلص من الكؤوس والراح يدي
في باقي العمر فز بعيش رغدي إن الدنيا إذا مضت لم تعد
فإن كانت هذه الرباعيات من نظم أيام الشباب أمكننا أن نقول إن سديد الدولة
نقل وزن الدوبيت الجديد إلى أدب العرب في أواخر القرن الخامس للهجرة
أو أوائل القرن السادس كما ذكرنا آنفاً .

وبقي البحث عن حقيقة الرباعيات التي ذكرها الدكتور المحقق عمر موسى باشا
مأثورة في رسالة « آداب العشرة وذكر الصحبة والاخوة » لبدر الدين محمد
الغزي ، ومذكورة بلسان الجنيد الصوفي الكبير الشهير أبي الدوبيتي القديم
أم الدوبيت الحديث ؟ فورودها مقرونة بالطرب والوجد يدل على أنها من
المنشأة القديمة لا الحديثة ، قال القاضي أبو علي المحسن بن علي التنوخي المتوفي

(١) يستعمل كتاب العصر بدلاً من هذا التعبير « بالرغم من كذا وكذا » وهو ترجمة
حرفية للعبارة الفرنسية En dépit de ... وباب المجاز مفتوح في العربية استثناساً
واقتراساً إلا أن عبارة بالرغم من كذا تأتي أحياناً منافضة لقول الكاتب ومُراد
وذلك عند استعمالها للنفي كقول بعضهم : « بالرغم من أن الأشغال لم تسمح لي
فقلت كذا » .

سنة ٣٧٤ : « حضرني أبو أحمد عبد الله بن عمر الحارثي وعندي صوفي يتنم بشيء من الرباعيات ، فلم يستطع أبو أحمد فقال له على البديهة : يا أخي لا أقطع حديثك إلا بخير (١) » . فالتسمية بالرباعية كانت شائعة بالعراق في القرن الرابع .

وذكر العهد الكاتب في ذلكم الجزء من الخريدة ترجمة الوزير جلال الدين أبي علي الحسن بن صدقة (٢) المتوفى سنة ٥٢٢ هـ وأورد له شعراً قال : « أنشدني له محمود الكاتب المعروف بالمولد البغدادي بالشام (٣) ، وذكر أنه رآه يكتب بخطه إلى المواقف المسترشدية هذه الأبيات ... وتنسب إليه هذه الرباعية :

آتيك غداً ولو سحماك الأهل لا أرجع عنك أو يتم الوصل
آتيك ولو سئل علي النصل السيف أو الفراق كل قتيل .
فإن صح عزو الرباعية إلى الوزير جلال الدين الحسن بن صدقة تأكد شيوع الدوييت الحديث في الأدب العربي بالقرن الخامس للهجرة ولم يبق مجال تصديق لقول الرافعي بترجيح أنه لم يكن معروفاً عند العرب قبل القرن السابع للهجرة ، وأختم بحني بتقديم الشكر الأوفى إلى الدكتور المحقق البارع عمر موسى باشا لاغنامه إياي فرصة الكلام على الرباعية والدوييت والمثناة والمترادفات .

(بغداد)

مصطفى جواد



- (١) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة « طبعة مطبعة أمين هندية بالقاهرة ١ : ٥٤ » .
- (٢) خريدة القصر « ١ : ٩٤ - ٩٦ قسم العراق » .
- (٣) في هامش نسخة المتحف البريطانية بلندن « وكان مليح الخط توفي بدمشق سنة سبعين » اهـ . يعني « سنة سبعين وخمس مئة » . (وأرقام النسخة ١٨٥٢٤ والترجمة في الورقة ٣١ منها) .

السلطانة رضية الدين

لا

جلالة الدين

ورد في الصفحة ٨٩٤ من الجزء الرابع من المجلد الثالث والأربعين من هذه المجلة البارعة في نقد كتاب « النساء الحاكيات في الدول الإسلامية » تأليف الدكتورة التركية بحرية أوج أوق « السلطانة جلالة الدين رضية بنت السلطان شمس الدين إيلتتمش التي تولت الحكم سنة ٦٣٤ في دولة المماليك الأتراك في شمالي الهند » ، والذي علمناه وحفظناه أنها « رضية الدين » لا جلالة الدين ، بله أن الاسم الثاني غاية في الغرابة ، فلم نعرف إنساناً لقب بجلالة الدين ، جاء في حوادث سنة ٦٣٥ من كتاب الحوادث « وفيها توفي شمس الدين التمش بن قطب الدين أيك مملوك شهاب الدين محمد بن سام الغوري ملك الهند وملك بعده ولده ركن الدين فيروزشاه فلم يستقم له الأمر ، وتفرق عنه المسكر فقبضت عليه أخته وملكته بعده وأطاعها الجند والرعية وتلقبت (رضية الدنيا والدين) واستقام لها الأمر (١) » . واستطرد الفضل بن أبي الفضائل المؤرخ في حوادث سنة ٧٢٥ هـ إلى ذكرها وذكر أسرتها قال : « ولما قتل السلطان شهاب الدين محمد بن سام الغوري تولى بعده قطب الدين أيك [مملوكه] مدة قليلة ، ثم تولى الملك شمس الدين ايتمش وأقام أربعين سنة وخلف جماعة أولاد فتولى الملك بعده علاء الدين

(١) كتاب الحوادث الذي صممي غلطاً الحوادث الجامعة « ص ١٠٤ » .

ثم أخوه ركن الدين تترشاه ومن بعدها أختها (رضية خاتون) وأقامت ثلاث سنين وقد ذكر ذلك ابن الساعي في تاريخ بغداد قال : وصل الخبر إلى بغداد أن ركن الدين تترشاه بن شمس الدين ايتمش ملك إلهند ولّي بعد وفاة أبيه وذلك في سنة أربع وثلاثين وستمائة للهجرة وأقام سنة فلم يستقم أمره وتفرقت عنه عساكره فقبضت عليه أخته وملكته بعده وأطاعها الجند والرعية واستقام لها الأمر وتلقبت (برضية الدنيا والدين) قال المؤرخ : وتولى بعد رضية خاتون أخوها ناصر الدين وكان متزهداً ملكاً أربعاً وعشرين سنة (١) وفصل تاريخ الأسرة ابن بطوطة قال : « ذكر السلطان شمس الدين للمش : وضبط اسمه بفتح اللام الأولى وسكون الثانية وكسر الميم وشين معجم ، وهو أول من ولي الملك بمدينة دهلي مستقلاً ، وكان تملكه مملوكاً للأمير قطب الدين أيك وصاحب عسكره ونائباً عنه ، فلما مات قطب الدين استبد بالملك وكان عادلاً صالحاً فاضلاً ولما توفي السلطان شمس الدين خلف من الأولاد الذكور ثلاثة وهم ركن الدين الوالي بعده ومعر الدين وناصر الدين وبنثاً تسمى (رضية) وهي شقيقة معز الدين منهم فتولّى بعده ركن الدين ولما بويع ركن الدين بعد موت أبيه افتتح أمره بالتعدّي على أخيه معز الدين فقتله وكانت رضية شقيقته ، فأنكرت ذلك عليه فأراد قتلها ، فلما كان في بعض أيام الجمع خرج ركن الدين إلى الصلاة فصعدت رضية على سطح القصر القديم المجاور للجامع الأعظم وهو يسمى دوله خانه ، ولبست ثياب المظلومين وتعرضت للناس وكيّتهم من أعلى السطح ، وقالت لهم : إن أخي قتل أخاه وهو يريد قتلي معه . وذكّرتهم أيام أبيها وفعله الخير وإحسانه إليهم ، فثاروا عند ذلك إلى السلطان ركن الدين وهو في المسجد فقبضوا عليه وأتوا به إليها فقالت لهم : القاتل يقتل .

(١) النهج السديد والدرّ الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد للفضل بن إبي الفضائل ، نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٤٥٢٥ و ٤٢٠٢ . م (٢٠)

فقتلوه قصاصاً ، وكان أخوه ناصر الدين صغيراً فاتفق الناس على تولية رضية ، ولما قتل ركن الدين اجتمعت المساكر على تولية اخته (رضية الملك) فولّوها واستقلت بالملك أربع سنين وكانت تركب بالقوس والترکش والقربان ، كما يركب الرجال ، ولا تستر وجهها ، ثم إنها اشتهت بعدد لها من الحبشة فاتفق الناس على خلعه وتزويجها ، فخلعت وزوّجت من بعض أقاربها ، ووُلّي الملك أخوها ناصر الدين . . . ولما خلعت رضية ولي ناصر الدين أخوها الأصغر واستقل بالملك مدة ، ثم إن رضية وزوجها خالفاً عليه وركبا في مماليكها ومن تبعها من أهل الفساد ، وتهايأ لقتاله وخرج ناصر الدين ومعه مملوكه النائب عنه غياث الدين بلبّين متولي الملك بعده فوقع اللقاء وانهزم عسكر رضية وفرّت بنفسها فأدركها الجوع وأجهدها الإعياء فقصدت حرّاً ثأراً أنه يحرق الأرض فطلبت منه ما تأكله فأعطاه كسرة خبز فأكلتها ، وغلب عليها النوم وكانت في زيّ الرجال ، فلما نامت نظر إليها الحراث وهي نائمة فرأى تحت ثيابها قباءً مرصعاً فلم أنها امرأة فقتلها وسلها وطردها فرسها ودفنها في فدانه وأخذ بعض ثيابها فذهب إلى السوق يبيعها ، فأنكر أهل السوق شأنه وأتوا به الشحنة وهو الحاكم فضربه فأقرّ بقتلها ودلّهم على مدفنها ، فاستخرجوها وكفنوها ودفنت هنالك وبني عليها قبّة وقبرها الآن يُزار ويتبرك به ، وهو على شاطئ النهر الكبير المعروف بنهر الجون على مسافة فرسخ واحد من المدينة ، واستقل ناصر الدين بالملك بعدها واستقام له الأمر عشرون سنة ، وكان ملكاً صالحاً ينسخ نسخاً من الكتاب العزيز ويبيعها فيقتات بثمنها (١) ، فهذه طراغوديا (٢) رضية الدين أو رضية الملك .

(بغداد)



مصطفى جواد

(١) تحفة النظر في غرائب الأمصار المعروفة برحلة ابن بطوطة ٢ : ٢١ ، ٢٢ طبعة

طبعة التقديم بالقاهرة سنة ١٣٢٢ .

(٢) أي تراجيدي كما جاء في تاريخ مختصر الدول لابن العربي « ص ٣٤ » .

التقرير السنوي (لدورة ١٩٦٧ - ١٩٦٨ م)

لمجمع اللغة العربية

يتفق تاريخ عقد هذه الجلسة ، وهي جلسة مجلس المجمع الختامية لدورة عام ١٩٦٨ - ١٩٦٩ م مع ذكرى مناسبة عزيزة هامة هي ذكرى مرور خمسين عاماً على مولد المجمع العلمي العربي الذي أصبح فيما بعد مجمع اللغة العربية بدمشق فلقد استقلت سورية العربية عام ١٩١٨ بعد جهاد طويل وولدت مع هذا الاستقلال فكرة إنشاء هيئة علمية رسمية تعنى باللغة العربية التي طفت عليها العجمة خلال العهد التركي الطويل ، ونعمل على حفظها وصيانتها ووضع المصطلحات العلمية والفنية والادارية الجديدة تمشياً مع حاجة عهد الاستقلال الجديد .

وعن هذه الهيئة انبثق المجمع العلمي العربي عام ١٩١٩ م أي قبل خمسين عاماً خلت وضمت إليه دار الكتب الظاهرية وجعل مقره المدرسة العادلية الكبرى بعد أن حررت من واضع اليد عليها ، وبعد أن رمت لتأخذ شكلها الحاضر ، وهذه المدرسة العادلية تعد من أقدم المدارس بدمشق وأشهرها وأجملها ، أنشأها السلطان نور الدين الزنكي وأتمها الملك العادل أخو السلطان صلاح الدين الأيوبي لتكون تربة له ، والمدرسة العادلية هي الوحيدة بدمشق التي لم ينقطع فيها طلب العلم والتدريس منذ تأسيسها حتى يومنا هذا لقد درس فيها عدد من أئمة العلماء الأعلام منهم ابن خلكان وابن مالك وابن خلدون وغيرهم ، كما أسس المجمع داراً للآثار الإسلامية وعرض في إحدى غرفه ما تيسر له جمعه يومئذ من الآثار البعثة جمعها من مختلف جهات سورية ، وكانت هذه البهجة نواة المتحف الوطني الحالي .

كان من حق المجمع علينا أن نحتفل بعيدة الذهبي على نطاق عربي شامل اعترافاً بجميله وخدماته التي أسداها للغة العربية وثقافتها .

إن تأسيس مجمع دمشق مهد السبيل لتأسيس مجامع علمية في أقطار عربية أخرى كالأردن ولبنان ولم يكتب لمجمعي هذين القطرين الحياة الطويلة ، إلا أن مجمع اللغة العربية في القاهرة أصبح سباقاً إلى العمل من أجل الحفاظ على اللغة العربية كما يقوم مجمع علمي آخر في القطر العراقي الشقيق بما يقوم به مجمع دمشق الذي هو أقدم المجامع في العالم العربي .

ولئن فانا تحقيق أمنية التكريم على الوجه الذي كنا نرجوه فلا نعدم وسيلة الدعاء له بالبقاء والاستمرار وأن تكتب له السلامة والازدهار على مر الأيام ليستمر في أداء رسالته حتى يتمها خدمة للغة العربية وثقافتها .

وقد يطول بنا الوقت لو أردنا لإحصاء جميع ماحققه هذا المجمع خلال سنواته الماضية وإني لأكتفي بالحالة من يرغب في معرفة ذلك إلى مقال الأستاذ الدكتور حسني مباح الذي نشره في عدد مجلة المجمع الخاص الصادر حديثاً ، والذي وزع في حينه ليجد فيه ماينقع القلة وبطن الأوار أو أن يعود إلى مجموعة مجلة المجمع التي هي مرآة صادقة وسجل حافل لأعماله منذ تأسيسه .

ولقد صدر من هذه المجلة حتى الآن (٤٤) مجلداً يبلغ مجموع صفحاتها نحو (٣٠) ثلاثين ألف صفحة تضم مختلف الأبحاث اللغوية والثقافية والتاريخية والفلسفية والأدبية ، وتعتبر هذه المجلة بحق موسوعة غنية بشتى فروع المعرفة ، كما تعتبر صورة مشرقة للملامح لنشاط المجمع في سبيل دعم النهضة الأدبية واللغوية الحديثة في سائر الأقطار العربية .

إن اللغة العربية شأنها شأن سائر اللغات الأخرى فهي لا تقوم على جهد فرد أو أفراد وإنما هي حصيلة التفاعل العميق بين أفراد أسرتها جميعاً ،

وكذلك خدمتها والسهر على سلامتها فان أمرها يعود على أفراد أسرتها جميعاً لا إلى فئة معينة من الناس .

وتقوم مجلة مجمع دمشق بنشر ما يصلها من علماء العربية في الأقطار كافة وهي ترحب دائماً بالأبحاث القيمة والمقالات الرصينة ، وكثيراً ما نشرت من هذه البحوث وساعد المجمع على طبع بعض ماحققه العلماء من تراثنا القديم الخالد . ولم يغفل المجمع في بدء عهده ناحية هامة كانت وما تزال من أهم أغراضه وهي بعث الوعي الثقافي في البلاد ، فعمل على إلقاء سلسلة من المحاضرات الثقافية تناوب الاستماع إليها الرجال والنساء ، وقد جمع بعض هذه المحاضرات في ثلاثة مجلدات كبيرة ، كما أخذ المجمع في جملة جهوده ، بمراقبة الأقلام وتتبع هفواتها في باب (عثرات اللسان وعثرات الأقلام) فكان لهذه الناحية أثرها الطيب في تهذيب اللغة وتقويم الأقلام .

وطبع المجمع منذ تأسيسه (١٢٥) كتاباً من عيون تراثنا الأدبي القديم وحقق أكثر هذه الكتب أعضاء المجمع وغيرهم من العلماء المرموقين في سورية وغيرها من الأقطار العربية والأجنبية ، يضاف إلى هذا (٤٤) مجلداً من مجلته ، كما أسلفنا القول ، فيكون بذلك مجموع ما طبعه (١٧٩) مجلداً هي من أمهات كتب المراجعة ، وهذا العمل في مجموعه عمل كبير لا سيما إذا علمنا ضعف قدرة المجمع العادية ووسائله القليلة .

لقد عمل المجمع على أن يختار لمضويته أصحاب الكفايات من المؤمنين برسالة اللغة العربية وآدابها فضم إليه خلال مدة وجوده (٢٥١) عضواً بين عامل ومراسل وجلهم من أعلام العرب والمستشرقين ، وقد توفي منهم إلى رحمة الله (١٦٦) عضواً وبقي منهم (٧٥) عضواً مازالوا بحمد الله يعملون وينتجون ، مد الله بعمرم وبارك أعمالهم .

هذا أيها السادة ، لحظة عاجلة من ماضي مجمعنا ، وإليكم ملخصاً مما أنجزه في الدورة السابقة (١٩٦٧ - ١٩٦٨) .

لقد كان المجمع في دورته السابقة هذه ، قرر بعض الأعمال وعهد إلى مكتب المجمع أمر تحقيقها وقد أنجز منها أو كاد المطبوعات التالية :

- ١ - ديوان الخالدين ، طبع وتحقيق الدكتور سامي الدهان .
- ٢ - قطب المرور في أوصاف الخُور لأبي أسحق إبراهيم المعروف بالزريق النديم القيرواني تحقيق الأستاذ أحمد الجندي .
- ٣ - التنبية على حدوث التصحيف لحزمة بن الحسن الأصفهاني ، تحقيق محمد أسعد طلس ومراجعة السيدة أسماء الحمصي والأستاذ عبد المعين الملوحي .
- ٤ - سابق البربري ، شاعر من المغرب عاش في بلاد الشام ، بقلم الأستاذ عبد الله كنون .
- ٥ - خريدة القصر وجريدة العصر (بداية شعراء الشام) للمهاد الأصفهاني الكاتب تحقيق الدكتور شكري فيصل .
- ٦ - فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (قسم الحديث) وضع الأستاذ ناصر الدين الألباني .
- ٧ - فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (قسم الطب) وضع الدكتور سامي خاف حمارة .
- ٨ - ديوان ابن هرمة ، جمع وتحقيق الأستاذ محمد النفّاخ والدكتور حسين عطوان .
- ٩ - فهرس المجلدة الماثرة من تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر . وضع الآنسة ملك هنانو .

١٠ - مجلة مجمع اللغة العربية المجلد (٤٣) لسنة ١٩٦٨ .

ويوجد تحت الطبع :

- ١ - كتاب التلخيص في أسماء الأشياء لأبي هلال العسكري ، تحقيق الدكتور عزة حسن .
- ٢ - نظرة عيان وتبيان في مقاله أسماء أعضاء الإنسان ، للدكتور صلاح الدين الكواكي .
- ٣ - كتاب اللامات للزجاجي ، تحقيق الدكتور مازن المبارك .
- ٤ - ترويح القلوب في ذكر ملوك بني أيوب ، تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .

المجلة :

صدر من مجلة مجمع اللغة العربية المجلد (٤٤) لعام ١٩٦٩ العددان الأول والثاني في عدد خاص عدد صفحاته (٤٣٨) صفحة اشترك في تحريره أعضاء المجمع العاملون والمراسلون .

الانتخابات :

- ١ - انتخب اللواء الركن محمود شيت خطاب (العراق) عضواً مراسلاً
- ٢ - الأستاذ ناصر الدين الأسد (الأردن) عضواً مراسلاً
- ٣ - الدكتور فيصل دبدوب (العراق) عضواً مراسلاً
- ٤ - الأستاذ الدكتور ناجي معروف (العراق) عضواً مراسلاً

استقبال أعضاء :

استقبل المجمع بجلستين عامتين زميلين كريمين رشحها لعضوية المجمع علمها وفضلها وإخلاصها لمبادئ المجمع وهما الأستاذان : وجيه اليمان وعبد الهادي هاشم وكلاهما من الصفوة الممتازة من أعلام الفكر والمعرفة والنشاط .

اتصالات المجمع :

قام الأستاذ الرئيس برحلة إلى مصر والعراق واتصل بمجمعي القاهرة وبغداد وبجث معها أمر تعزيز العلاقات الأخوية فيما بين المجمع الثلاثة والتعاون فيما بينهم عن طريق تبادل المطبوعات وغيرها . وكانت الاتصالات مثمرة ومفيدة تكلمت بالنجاح ، وقد تم التبادل في المطبوعات فعلاً .

إهداء مكتبات :

١ - نفذ ورثة المرحوم الرئيس الأمير مصطفى الشهابي وصية مورثهم وسلموا المجمع جميع ما أوصى به المرحوم من كتب وأثاث وخلفات وتم تسلمها ، وهي الآن قيد التسجيل والإحصاء .

٢ - كذلك نفذ ورثة المرحوم الشيخ حامد التقي وصيته وسلموا المجمع خزانة كتب المرحوم مورثهم ، وذلك بمساعي الأستاذ الزميل الشيخ محمد بهجة البيطار .

٣ - وأهدى الأستاذ خالد خليل مكتبة المرحوم والده الدكتور خليل خالد .

فلأوائك جميعاً شكر المجمع وتقديره .

إنشاءات :

إن مشروع دار الكتب الظاهرية قد بلغ مرحلته النهائية وسيتم المشروع في وقت قريب وسيجد الرواد القاعة الكبيرة من هذا البناء مجهزة بكل أسباب الراحة .

الوفيات :

ولن ينسى المجمع في حديثه عن هذه الدورة أن يذكر بالأسف والرحمة الأعضاء الراحلين ممن وافقهم المنية هذا العام وهم المغفور لهم : الأساتذة ساطع الحصري وحسن حسني عبد الوهاب ومنير القاضي رحمهم الله رحمة واسعة وأجزل ثوابهم .

المؤتمرات :

وقد دعي المجمع للمشاركة في مؤتمرات عدة منها ، المؤتمر الرابع لعلوم الرياضيات في بخارست (رومانيا) والمعرض الدولي للمطبوعات العلمية الذي سيعقده المجمع العلمي في بولون (ايطاليا) .

وقد لبى المجمع دعوة مؤتمر المصطلحات الطبية الذي عقد في الموصل (العراق) ومثل المجمع فيه الأستاذ الرئيس الدكتور حسني مبيح ، كما شارك المجمع بشخص رئيسه وعضوه الدكتور شكري فيصل في الحفل الذي أقامه مجمع اللغة العربية في القاهرة تأيئاً للمغفور له الأمير مصطفى الشهابي رئيس مجمع دمشق ، وأحد أعضاء مجمع القاهرة سابقاً .

كما زار المجمع وفود شخصيات علمية كثيرة منها ، وفد المكتب الدائم للتعريب في الرباط ووفد الصداقة الآزريجانية .

دار الكتب الظاهرية :

وإليكم في النهاية تقرير مديرية دار الكتب الظاهرية السنوي وخلاصة عن نشاطها وأنواع الكتب والمطبوعات فيها :
إلى الأمانة العامة لمجمع اللغة العربية

نرفع إليكم التقرير السنوي لدار الكتب الوطنية الظاهرية عن عام ١٩٦٨ .

أ - الكتب المخطوطة :

- ١ - بلغ عدد المخطوطات التي دخلت الدار خلال العام المنصرم (٦٦) مخطوطة .
- ٢ - بلغ عدد الأفلام المصورة لمخطوطات دار الكتب الظاهرية (٢٥٧) فلماً .

ب - الكتب المطبوعة :

- ١ - بلغ عدد الكتب التي دخلت الدار (١٤٢٥) كتاباً منها :
 أ - (٤٩٣) كتاباً مشترى .
 ب - (٧٤٩) = مهدى .

ج - الدوريات :

هناك (٤٩٥) عدداً من مجلات مختلفة سجلت في سجلات الدار .

د - الرواد :

بلغ عدد قراء دار الكتب الظاهرية ١٨٩٣٣ مطالماً .
 يرجى التفضل بالاطلاع وأخذ العلم .

مدير دار الكتب الظاهرية
 الدكتور عزة حسن

١٩٦٩/٤/٢٧

بيان في مشروعات

دورة المجمع لعام ١٩٦٩ - ١٩٧٠

أرحب بالسادة الزملاء أعضاء المجمع أطيب ترحيب وأتمنى لهم في دورتهم الجديدة نشاطاً موفوراً وجهداً مشكوراً ، كما أتمنى لهم دوام الصحة والعافية ، وآمل أن تكون العطلة الصيفية وما كان فيها من استجمام وراحة حافزاً على الجهد وباعثاً على الدأب في كل مجال من مجالات العمل المجمعى الذي يجتمع مجلسكم الموقر من أجله .

أيها الاخوة الزملاء ، إننا بدأنا في جلستنا هذه مرحلة جديدة ، بعد انقضاء خمسين سنة على تأسيس مجعنا هذا ، ولقد كانت المرحلة التي مرت بنا مرحلة إنشاء وتأسيس ، وفترة وضعت فيها القواعد العلمية والركائز التي يستند إليها هذا الصرح ، أما المرحلة الجديدة فهي مرحلة نشاط جديد ، يرمي إلى رفع مستوى المجمع وإعلاء شأنه في كل هدف من أهدافه وكل غاية من غاياته العلمية المقدسة .

وأول ما نفتتح به عهد المجمع الجديد هذه المناسبة الكبرى التي هي أسبوع العلم العاشر الذي سيقع في الأيام الأولى من شهر تشرين الثاني من هذا العام ١٩٦٩ وسيدشارك المجمع في هذا العيد الكبير ايمحتفل بمرور خمسين عاماً على إنشائه ، وقد خصصت له أيام خاصة يتحدث بها المجمعيون عن تاريخ المجمع ونشاطه والخدمات التي أسداها للغة العربية وثقافتها وآدابها وصراحة على ما قامت به هذه المؤسسة من خدمات كبرى وقد دعا المجمع إلى المشاركة في هذا الاحتفال رئيسي ونائبي الرئيسين والأمينين العامين لمجمعي القاهرة وبغداد والأمين العام لكتب التعريب في الرباط .

المشروعات :

إن لدى المجمع في هذه الدورة الجديدة مشروعات كثيرة نرجو أن يتحقق جلها إن لم تساعد الظروف على تحقيقها كلها ومن أهمها :

- ١ - ملء الشواغر بانتخاب الأعضاء العاملين والمراسلين في المجمع .
- ٢ - وألفت نظر السادة الزملاء في هذه المادة إلى ضرورة السعي لتعديل ملاك المجمع ودار الكتب الظاهرية فإن كثرة الأعمال أصبحت تتطلب هذا التعديل ، كما أن وضع المجمع قد أصبح يقضي بتعديل بعض المراتب والدرجات في المديرية المنبثقة عن هذه المؤسسة العلمية الجليلة .

المطبوعات :

- ١ - سيعمد المجمع إلى إكمال المطبوعات التي بوشر بها سابقاً وهي :
- آ - فهرس المجلدة العاشرة من تاريخ ابن عساكر وضع الأنسة ملك هنانو .

- ب - فهرس مخطوطات قسم الطب للأستاذ سامي حمارنة .
- ج - كتاب «ترويح القلوب في ذكر الملوك بني أيوب» تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .
- د - فهرس مخطوطات علوم الحديث من وضع الأستاذ ناصر الدين الألباني .
- هـ - طبع الجزء الثاني من كتاب التلخيص في أسماء الأشياء للمسكري . تحقيق الدكتور عزة حسن .

٢ - المباشرة بطبع الكتب الآتية :

أ - ديوان الشاعر ابن أحمر تحقيق الدكتور محمد عطوان الأستاذ في الجامعة الأردنية .

ب - ديوان عرقله السكبي تحقيق أحمد الجندي .

ج - طبع ديوان ابن القيسراني تحقيق السيدة أسماء الحمصي .

د - طبع ديوان الغزي تحقيق الدكتور شكري فيصل .

هـ - طبع رسائل الصابي تحقيق الدكتور سامي الدهان .

و - طبع « الحقيقة والمجاز في رحلة الشام ومصر والحجاز »

للشيخ عبد الفتي النابلسي وتحقيق الأستاذ عارف النكدي .

ز - طبع فهرس مخطوطات علم الهيئة والفلك عند العرب وضع الأستاذ إبراهيم الخوري .

ح - طبع فهرس مجلة المجمع (الجزء الرابع) من الجزء ٣١ - ٤٠ وضع الأستاذ عمر رضا كحالة .

ط - طبع فهرس مخطوطات قسم الأدب واللغة في دار الكتب وضع السيدة أسماء الحمصي .

ي - طبع القسم الثاني من الجزء الثاني من تاريخ دمشق لابن عساكر تحقيق الأنسة ملك هنانو .

ك - طبع المجلد (٤٥) من مجلة المجمع .

٣ - وقد قرر المجمع إعادة طبع أكبر عدد من مطبوعاته ومن أعداد مجلته التي نفدت وبأشر طبع المجلد الأول من المجلة .

أما المشروعات التي تتعلق بدار الكتب الظاهرية خاصة فأهمها :
 أ - السعي إلى إنجاز المرحلة الثانية من توسيع بناء دار الكتب
 لتصبح وافية بالغرض الذي أنشئت من أجله .
 ب - تصوير ما بقي من مخطوطات دار الكتب .

الوفيات :

فجع المجمع بوفاة عضو بارز من أعضائه المراسلين وهو الدكتور
 عبد الرحمن الكيالي رحمه الله .
 هذا ما أمكن الإشارة إليه في بياننا الجديد لدورة عام ١٩٦٩ - ١٩٧٠
 من أعمال ومشروعات راجياً أن تتوفر الأسباب لتحقيقها .

مجمع اللغة العربية
 الأمين العام
 جعفر الحسني



إهداء كتب

١ - نفذ ورثة المرحوم الرئيس الأمير مصطفى الشهابي وصية مورثهم ، وسلموا المجمع جميع ما أوصى به المرحوم من كتب وأثاث ومخلفات وتم تسلمها ، وهي الآن قيد التسجيل والإحصاء .

٢ - كذلك ونفذ ورثة المرحوم الشيخ حامد التقي وصيته ، وسلموا المجمع خزانة كتب المرحوم مورثهم ، وذلك بمساعي الأستاذ الزميل الشيخ محمد بهجة البيطار .

٣ - وأهدى الأستاذ خالد خليل مكتبة المرحوم والده الدكتور خليل خالد ، فلاولئك جميعاً شكر المجمع وتقديره .



الوفيات

ويذكر المجمع بالأسف والرحمة الأعضاء المجمعين الراحلين ممن وافقهم منيتهم هذا العام وهم المفقور لهم : الأستاذ الكبير ساطع الحصري من العراق والأستاذ حسن حسني عبد الوهاب من تونس ، والأستاذ منير القاضي من العراق رحمهم الله رحمة واسعة وأجزل ثوابهم .



الكتب المهداة إلى مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق

خلال عام ١٩٦٩

العدد

- ١ — أنشودة لينفغراد ترجمة محمد جديد وميشيل كيلر ١
- ٢ — الفكر لألماني من لوثر إلى نيتشه تيسير شيخ الأرض ١
- والدكتور أسعد درقاوي ١
- ٣ — العالم الثالث ترجمة حسام الخطيب وهيفاء هاشم ٢
- ٤ — دستور ألمانيا الديمقراطية ١
- ٥ — سعدي الشيرازي (البستان) ترجمه شعراً محمد الفراتي ٢
- ٦ — من دفتر الصامت محمد عفيفي مطر ٢
- ٧ — جرائم الحرب في فيتنام برتراند رسل محمود فلاحه ١
- ٨ — تاريخ خليفة بن خياط (القسم الثاني) ١
- ٩ — الحياة الجديدة ذكرى شوقي (عدد ممتاز) ١
- ١٠ — ديوجين مصباح الفكر (العدد السابع) ١
- ١١ — ميمونه عبد الله ساجي ١
- ١٢ — مخطوطات عربية في مكتبة صوفيا البلغارية (المجمع العلمي العراقي) ١
- ١٣ — داود باشا ونهاية الممالك في العراق (المجمع العلمي العراقي) ١
- ١٤ — مجلة المجمع العلمي العراقي المجلد ١٦ ١
- ١٥ — في الأدب العربي الحديث يوسف عز الدين ١
- ١٦ — فهارس مجلة المجمع العلمي العراقي ١

العدد

- ١٧ - مع الريح عبد السلام عيون السود ١
- ١٨ - الأرض والسماء ترجمة أدهم الشبان ١
- ١٩ - بيت الإنسانية أكبر عمار خاتم ترجمة ١
- ٢٠ - الفن الإسلامي جورج ماسيه عفيف بهنسي ١
- ٢١ - افلاطون طيماوس ترجمة فؤاد برّبارة ١
- ٢٢ - دروس في الكيمياء الفيزيائية (الجزء الأول) ١
- ٢٣ - مجلة كلية الآداب . جامعة الاسكندرية (العدد ١٩) ١
- ٢٤ - ديوان قيس بن الخطيم ناصر الدين الأسد ١
- ٢٥ - ديوان الطرماح عزة حسن ١
- ٢٦ - القيان والغناء في العصر الجاهلي ناصر الدين الأسد ١
- ٢٧ - محاضرات في الشعر الحديث ناصر الدين الأسد ١
- ٢٨ - محاضرات عن خليل ييدس ١
- ٢٩ - التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ١
- ٣٠ - الكيمياء العامة (الجزء الأول والثاني) التعليم العالي ١
- ٣١ - مختصر لوازم الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية ١
- ٣٢ - درر الفوائد المنظمة في أخبار الحج وطريق مكة المعظمة ١
- ٣٣ - مناقشات مع الدكتور مصطفى جواد رؤوف جمال الدين ١
- ٣٤ - الاجراءات الادارية للخطيب ١
- ٣٥ - الأدب العربي المعاصر في سورية لسامي الكيالي ١

م (٢١)

العدد

- ٣٦ - الأعلام العربية للسامرائي ١
- ٣٧ - المعجم العربي حسين نصار (جزآن) ١
- ٣٨ - أمراء البيان ١
- ٣٩ - حكاية الأيام الثلاثة ١
- ٤٠ - مجموعة القواعد القانونية التي قررتها محكمة النقض في قضايا العمل ١
- ٤١ - العمل العلمي في البلاد المتدثرة شيث سليمان ١
- ٤٢ - الاسلام والثقافة العربية أنور الجندي ١
- ٤٣ - امارة بهدينان العباسية محفوظ محمد عمر ١
- ٤٤ - نصف العيش الدكتور عادل البكري ١
- ٤٥ - ألوان من الجزائر (شعر) محمد الأخضر عبد القادر السباعي ١
- ٤٦ - مالك حداد رصيف الأزهار ١
- ٤٧ - البحرية الجزائرية ١
- ٤٨ - تاريخ الجزائر في القديم والحديث مبارك محمد الهلالي (٣ أجزاء) ١
- ٤٩ - عيون البصائر محمد البشير الابراهيمي ١
- ٥٠ - الفوائد المهمة وجيه الجباوي ١
- ٥١ - التين عماد حاتم ٢
- ٥٢ - يا مال الشام سهام ترجمان ١
- ٥٣ - قول على قول حسن سعيد الكرمي ١
- ٥٤ - نساء متفوقات سلمى الحفار الكزبري ١

العدد

- ٥٥ - عينان من اشبيلية سلمى الحفار الكزبري ١
- ٥٦ - الكيمياء الفيزيائية (الجزء الأول ، المجلد الثالث) ١
- ٥٧ - رسائل في النحو واللغة ١
- ٥٨ - سورية الثورة في عامها السادس وزارة الاعلام السورية ٣
- ٥٩ - تاريخ فن الحرب ستروكوف ٢
- ٦٠ - رسائل في النحو واللغة الدكتور مصطفى جواد ١
- والأستاذ يعقوب مسكوني ١
- ٦١ - مدخل إلى فلسفة التاريخ عند هيجل ترجمة أنطون حمصي ١
- ٦٢ - لبيب فرحي دائماً جان جيونو ترجمة سعيد القضائي ١
- ٦٣ - رباب الكاظمي - دراسة وشعر عبد الرحيم محمد علي ١
- ٦٤ - الكيمياء العامة (الجزء الثاني) كلية العلوم بجامعة دمشق ١
- ٦٥ - بطارقة الشرق أغناطيوس يعقوب الثالث ١
- ٦٦ - الغابة المنسية أحمد نخيمر ١
- ٦٧ - النبوة سمدي لين ١
- ٦٨ - اللمعة الدمشقية (الجزء ٧) محمد جمال الدين مكي العاملي ١
- ٦٩ - الفيزياء النظرية (الجزء الأول) وزارة التعليم العالي ١
- ٧٠ - معجم تج المروس (الجزء ٥) الزبيدي ١
- ٧١ - من الثورة العربية الكبرى إلى المراق الحديث ابراهيم الراوي ١
- ٧٢ - عبر وعبرات جواد المرابط ١

العدد

- ٧٣ - معجم الهندسة الميكانيكية رومي عربي كيفورك مينارجيان ١
- ٧٤ - المعجم الفني = = = = ١
- ٧٥ - الحياة السياسية ونظم الحكم في العراق فاضل الخالدي ١
- ٧٦ - المقدّمين في تاريخ البلد الأمين (٧ أجزاء) أبو الطيب الفاسي ١
- ٧٧ - المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية تأليف محمد بن أحمد العقيلي (قدّم الكتاب الأستاذ حمد الجاسر) . ١



فهرس المجلد الرابع والأربعين الجزء الأول والثاني

صفحة

٣	مجمعنا بعد نصف قرن من تأسيسه	الدكتور حسني سبيع . . .
١٤	خمسون عاماً	الأستاذ شفيق جبري . . .
١٨	سابق البربري : شاعر من المغرب عاش في الشام . . .	الأستاذ عبد الله كنون . . .
٤٥	العربية بين الفصحى والعامية	الأستاذ عارف النكدي . . .
٦١	الألفاظ المتشابهة في السريانية والعربية	قراءة مار أغناطيوس : نقوب الثالث . . .
٧٤	مجلة المجمع العلمي العربي بمناسبة بلوغ المجمع خمسين عاماً . . .	الأستاذ محمد بهجة البيطار . . .
٩١	عهد الرئيسين : محمد كرد علي و خليل مردم	الدكتور سامي الدهان . . .
١١٣	صفحة من تاريخ النقد	الدكتور جميل صليبا . . .
١٣٧	النظم القرآني	الأستاذ محمد المبارك . . .
١٥٥	المجمعون في خمسين عاماً	
	القسم الأول - الأعضاء المؤسسون :	
	١ - الأستاذ الرئيس محمد كرد علي	
	٢ - الشيخ أمين سويد	
	٣ - الأستاذ أنيس سلوم	
	٤ - الشيخ سعيد الكرمي	
	٥ - الشيخ عبد القادر المغربي	
	٦ - الأستاذ عز الدين التنوخي	
	٧ - الأستاذ عيسى إسكندر المعلوف	
	٨ - الأستاذ متري قندلفت	
٢٥٦	امارة مجهولة	الأستاذ خير الدين الزركلي . . .
٢٦٦	العقل بين النظريتين المادية والروحية	الدكتور عبد الرحمن الكيالي . . .
٢٨٩	العوامل الخفية في التطور اللغوي	الأستاذ أنيس المقدسي . . .
٣٠٩	الجهاد ومسوغاته الشرعية	الدكتور صبحي المحمصاني . . .
٣٢٣	تطور النهضة الثقافية في بلاد الشام والمجمع العلمي اللبناني . . .	الأستاذ محمد جميل بيهم . . .
٣٤٣	العالم القديم بين الشرق والغرب	الدكتور عمر فروخ . . .
٣٥٥	بعض الكلمات عن الأدب العربي الحديث في المغرب الأقصى	الدكتور عبد الكريم جرمانوس . . .
٣٦٣	لمحة عن التاريخ اللبي	الأستاذ علي المفيقه حسن . . .
٣٧٥	المتحف الوطني بدمشق	الأستاذ محمد أبو الفرج العش . . .
٣٩٢	ذكريات... المجمع العلمي العربي والأستاذ محمد كرد علي	الأستاذ محمد الشريقي . . .
٣٩٧	نظرة في مجمع اللغة العربية في دمشق	الأستاذ عباس الغزاوي . . .

آراء وأبناء

٤٠٠	أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق في سنة ١٣٨٨ / ١٣٨٩ هـ = ١٩٦٩ م . . .
٤٠٣	أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق الراحلون
٤٠٨	بيان أعمال مجمع اللغة العربية بدمشق لدورة سنة ١٩٦٧ - ١٩٦٨ م . . .
٤١٣	تقرير عن الاشتراك في الحفل التأسيسي في القاهرة للرئيس الراحل الأمير مصطفى الشهابي . . .
٤٢١	مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق خلال خمسين عاماً (منذ إنشائه إلى سنة ١٩٦٨ م) . . .

الجزء الثالث

صفحة

٤٣٩	بقايا النضاح	الأستاذ شفيق جبري
٤٤٦	فميد العروبة الأستاذ ساطع الحصري	الدكتور عدنان الخطيب
٤٦٤	نظرة عيان وتبيان في مقالة أسماء أعضاء الإنسان (٧)	الدكتور صلاح الدين الكواكبي
٤٧٩	صفحات من تاريخ الاستشراق (٥)	الدكتور كامل عياد
٤٨٨	فوات الوفيات في طبعته الجديدة (الجزء الثاني) (٤)	الدكتور مصطفى جواد
٥٠٥	شعر الوقوف على الأطلال (٤)	الدكتور عزة حسن
٥١٥	أبو علي الفاي وكتابه الأمالي	الدكتور عمر الدقاق
٥٣٨	ملاحظات على الموسوعة العربية الميسرة (٥)	الدكتور علي جواد الطاهر
٥٥٤	كتاب « الجوهريتين »	الأستاذ حمد الجاسر
٥٦٩	وصف الطبيعة في شعر الصنوبري (٢)	الأستاذ فواز أحمد طوقان
٥٧٧	محكمة المياه في بلنسية	الدكتور فيصل دبوب
٥٨١	مجتمع الحمداني من خلال مقاماته (٤)	الدكتور مازن المبارك
٥٩٦	نافذة تطل على تاريخ اليزيدية	الأستاذ محمد أحمد دهمان

التعريف والنقد

٦٠٣	كتاب (الأثيقون)	الدكتور كامل عياد
٦٠٦	المعلم رفيق قيريش	{ الدكتور صلاح الدين الكواكبي
٦١٣	نظرة في معجم الطحانة والحجازة والفرانة	
٦١٩	مدينة دمشق	{ الأستاذ عارف النكدي
٦٢٣	الملكة زنوبيا	
٦٢٥	كتاب الهفوات النادرة	الدكتور عزة حسن

آراء وأنباء

٦٣٢	تأين المرحوم الأمير مصطفى الشهابي في القاهرة
٦٦٠	كلمة الدكتور حني سبيع في الجلسة التي عقدت لاستقبال الأستاذ وجيه السمان
٦٦٤	كلمة المهندس الأستاذ وجيه السمان في حفلة استقباله عن سلفه المرحوم فارس الخوري
٦٨٤	أغلاط مطبعة

الجزء الرابع

- ٦٨٧ تطور اللغة في العصر العباسي الأستاذ شفيق جبري . . .
- ٧٠٠ الاصطلاحات الفلسفية (٣٣) الدكتور جميل صليبا . . .
- ٧٤٠ الثقافة الإسلامية بالمغرب بين المرابطين والموحدين الأستاذ محمد الفاضل ابن عاشور .
- ٧٦٨ نظرة عيان وتبيان في مقالة أسماء أعضاء الإنسان (٨) الدكتور صلاح الدين الكواكبي .
- ٧٨٩ صفحات من تاريخ الاستشراق (٦) الدكتور محمد كامل عياد . . .
- ٨٠٠ فوات الوفيات في طبعته الجديدة (الجزء الثاني) (٥) الدكتور مصطفى جواد . . .
- ٨١٣ شعر الوقوف على الأطلال (٥) الدكتور عزة حسن . . .
- ٨٢٤ شيء من الفعل في العربية الدكتور ابراهيم السامرائي . . .
- ٨٣٥ مجتمع الهمداني من خلال مقاماته (٥) الدكتور مازن المبارك . . .
- ٨٤٧ دراسات في العربية والألسنية الدكتور خليل سمعان . . .
- ٨٦٦ بين كاتب وشاعر الأستاذ أحمد الجندي . . .
- ٨٧٥ الكلمات التركيبية في اللهجات العربية الحديثة (١) الأستاذ ف. عبد الرحيم .

التعريف والنقد

- ٨٨٣ أسماء البيان الأستاذ شفيق جبري . . .
- ٨٨٥ حكاية الأيام الثلاثة الأستاذ شفيق جبري . . .
- ٨٨٧ اتجاهات النقد الحديث الأستاذ ظافر النقاسمي . . .
- ٨٩٤ دراسات في فقه اللغة الدكتور عزة حسن . . .
- ٨٩٧ المورد (قاموس انكليزي - عربي) الدكتور ميشيل الخوري . . .
- ٩١٣ المعجم العربي الأستاذ سعيد الأفغاني . . .
- ٩٢٥ الأعلام العربية الأستاذ سعيد الأفغاني . . .
- ٩٢٧ طب الحبشة ونباتها الأستاذ حسن السقا . . .
- ٩٣٠ مجل تاريخ الأدب التونسي الأستاذ عمر رضا كحالة . . .
- ٩٣٢ الأصول العربية للدراسات الدوائية الأستاذ عمر رضا كحالة . . .
- ٩٣٤ كتاب الطبقات الأستاذ عمر رضا كحالة . . .
- ٩٣٥ العصا في حياتنا وتراثنا الأستاذ عمر رضا كحالة . . .
- ٧٣٦ ديوان كمال نصرت الأستاذ أحمد الجندي . . .
- ٩٣٧ ديوان محمد العيد محمد علي خليفة الأستاذ أحمد الجندي . . .
- ٩٣٩ الأمثال البغدادية المقارنة (الجزء الثاني) الأستاذ أحمد الجندي . . .
- ٩٤٠ ديوان ابن الدهان الموصل الأستاذ أحمد الجندي . . .

تابع فهرس الجزء الرابع

صفحة	آراء وأنباء
٩٤٢	المرسوم ذو الرقم (٧٥٤) بانتخاب الأستاذ عبد الهادي هاشم عضواً عاملاً .
٩٤٣	خطاب الدكتور عدنان الخطيب في حفلة استقبال الأستاذ عبد الهادي هاشم .
٩٥٢	خطاب الأستاذ عبد الهادي هاشم في حفلة استقباله
٩٧٨	ظاهرة في المعجم العربي جديرة بالدراسة (٤) . الدكتور عدنان الخطيب .
٩٨٢	الرباعيات والمثنيات
٩٩٠	السلطنة رضى الدين لاجل الله الدين { الدكتور مصطفى جواد .
٩٩٣	التقرير السنوي (لدورة ١٩٦٧ — ١٩٦٨ م)
١٠٠١	بيان في مشروعات دورة المجمع لعام (١٩٦٩ — ١٩٧٠ م)
١٠٠٥	إهداء كتب ، الوفيات
١٠٠٦	الكتب المهداة إلى مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق خلال عام ١٩٦٩ م

